

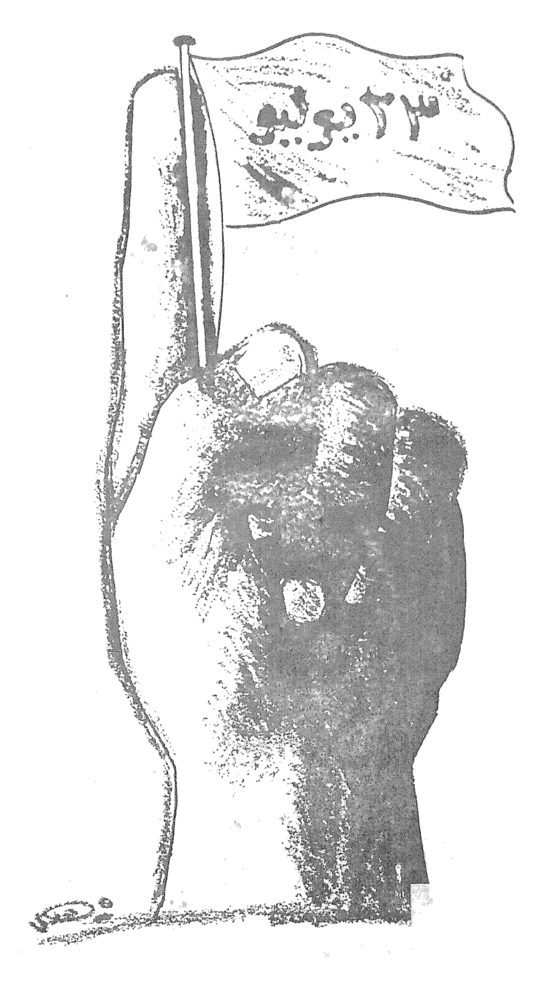
- النفط والنضال المعادى للامبريالية
- إعادة بناء القرية المصرية
- الدعاية المرئية فى الظروف الراهنة
- كراسة نظرية :

من يخدم الجيش!



يوليو ١٩٧٤

CIALISM • СОЦИАЛИЗМ • SOCIALISMUS • CHU NGHIA XAHOI • SOZIALISM



ـــوليــووالراية ما زالت تزداد رسـوخا وعلوا



دراسات اشتراكية

مجلة شهرية • تصدر عن دار الهلال • السنة الثالثة "٧" • يوليو ١٩٧٤

٢٢ عاما على ثورة يوليو

المنجزات وأخطار المستقبل

لقد جاء فى « ورقة اكتوبر » وهى آخر وثيقة دستورية للثورة ··

« ان شعبنا قد غير ظروف حياته منذ يوليو ١٩٥٢ وعلى مدى الاثنين والعشرين عاما الماضية ·· وبهذا المعنى كانت (ثورة يوليو) وستظل من اهم الاحـــداث التى غيرت وجه مصر منذ قرون »

وجاء فى ورقة اكتوبر ··

« ان وثائق الثورة لا تنسخ بعضهـا ولكنها تكمل بعضـــها البعض ، قلت فى خطابى (الســــادات) فى ٢٨ سبتمبر الماضى اننى اؤمن بالاشتراكية وبأنها الحل الوحيد لمشكلة التقـــدم ومبادىء الميثاق الاساسية قد استقرت فى دستورنا ·· ان المادة الاولى من الدستور تعلن أن جمهورية مصر العربيــــة دولة نظامها ديمقراطى اشتراكى يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة » ·

وهكذا ، وخلال المعـــارك التى خاضتها ثورة يوليو ومنذ قيامهـــا ، ومن موقع العداء للاســـتعمار والامبريالية والاحلاف العسكرية ومناطق النفوذ ، امتد هـــذا الصراع وكان لا بد أن يمتد ليشمل الوضع الاجتماعى فى وطننا · ودخلت الثـــورة وعلى مراحل ــ بدأت منذ صـــدور قانون الاصلاح الزراعى الاول ــ فى معارك ضارية لتصفية النظام الملكى ولتصفية القـــوى الحليفة للاستعمار والتى ظلت تشاركه فى استغلال ملايين العمـــال والفـــلاحين والجماهير الكادحة · ومن اجل هذا الهدف وجهت الثـــورة ضرباتها المتلاحقة الى الاقطاع والرأسمالية المســتغلة وفى نفس الوقت خطت خطوات ايجـــابية وهامة لتحقيق حياة جديدة بأسـس جديدة لقوى الشعب العاملة فى وطننا · وهكذا وصلت الثورة الى اليقين بأن النظـام الرأسمالى الذى يقوم على استغلال العمال والفلاحين والجماهير الكادحة مرفوض من أساسه ، وانه لا طريق أمام مصر لبناء المجتمع المتقدم الذى يحقق آمال وطموح جماهيرنا الكادحة الا بناء المجتمع الاشتراكى الذى يتفق مع خصائصنا القومية ويســـتفيد فى نفس الوقت من تجارب وخبرات الدول الاشتراكية الاخرى · ومنذ قرارات يوليو ١٩٦١ وضح للعالم كله ان مصر قد اختارت مثل العديد من الدول الاخرى الطـــريق اللارأسمالى كطريق لتطورها وللانتقال بها الى بنـــاء المجتمع الاشتراكى ·

ومن خلال المعارك التى خاضتها ثورة يوليو داخليا وفى اطار الوطن العـــربى والدول الافريقية وحركات التحرر الوطنى العالمية تاكد دورها كفصيلة وفصيلة طليعية فى المعارك التى تخوضها الشعوب من اجل تصفية الاســـتعمار والاستغلال وضمان سيادة كل شعب على أرضه وحماية أمن وسلام العالم · وتاكد دور مصر كقلعـــة نضالية فى جميع التغييرات الثورية التى حدثت فى منطقتنا وفى القارة الافريقيـــة وعلى نطاق العالم كله · وكان حصـــاد كل ذلك تلاحم ثورتنا مع القـــوى الاخرى

المعادية للامبريالية والتى تشمل الى جانب حركات التحرر الوطنى الاحزاب والتنظيمات والهيئات الثورية والتقدمية فى جميع بلاد العالم وعلى راسها احزاب الطبقة العاملة والاحزاب الشيوعية فى الدول الاشتراكية وفى الدول الرأسمالية نفسها ، وبعد كل ذلك المعسكر الاشتراكى بكل ثقله وبكل امكانياته وعلى راسه الاتحاد السوفييتى . لقد سبقت ثورة يوليو ومن خلال اصعب واعقد الظروف الطريق نحو هذا التعاون الوثيق الذى نشهد آثاره الان بين الدول العربية التقدمية وبين الدول الاشتراكية والاتحاد السوفييتى بالذات . واذا كانت ثورة يوليو قد قامت بدور الطليعة فى هذا المجال فانها ظلت وستظل حريصة على ان يقوى هذا التعاون ويتدعم باعتباره ركيزة وركيزة أساسية لا يمكن الاستغناء عنهما سواء فى معارك التحرير او فى انجاز مهام التحول الاجتماعى وبناء صناعة ثقيلة واقتصاد وطنى مستقل .. وقد حققت ثورة يوليو فى هذا المجال انجازات كبيرة أدت الى تغيير جذرى فى التركيب الطبقى لمجتمعنا بحيث « اصبح « تحالف قوى الشعب العامل » هو البديل حقيقة لا قولا لتحالف السراى والاقطاع والراسمالية المستغلة .

لقد جاء فى ورقة اكتوبر ..

« لقد اراد اعداء مصر اعداء التحرير والتقدم بعدوان ١٩٦٧ ابعاد مصر عن مسيرة التقدم وعزلها عن الامة العربية مستهدفين ان تنزوى على نفسها تطحنها مشكلات داخلية حقيقية أو مصطنعة فتنسى ماضيها او تتنكر لرسالتها وهى لها من الموقع الجغرافى والطاقات البشرية والتراث الحضارى والروابط القومية ما يؤهلها للكون فى الطليعة بين شعوب العالم المناضلة من اجل الحرية والتقدم والسلام والرخاء .

وكانت حرب اكتوبر الخالدة هى رد شعب مصر العظيم من خلال امته العربية وبها . وكان ردا على مستوى مصر تجاوزت اثاره قضيتنا المباشرة لتغير اوضاع المنطقة كلها وتنعكس على الاوضاع العالمية ذاتها » .

وهذا ما كنا نود ان نصل اليه منذ بداية هذه الكلمة ..

اننا نعتبر ان معارك اكتوبر المجيدة كانت اكبر الانجازات التى حققتها ثورتنا وحققها شعبنا منذ هزيمة ١٩٦٧ ، اننا لا ننسى أبدا ما قامت به قواتنا المسلحة فى الماضى ومنذ فجرت ثورة يوليو ٥٢ من اعمال ومهام مجيدة لمساندة حرب التحرير الجزائرية والنظام الجمهورى فى اليمن وحركة المقاومة الفلسطينية وكافة حركات التحرر الوطنى والكفاح المسلح فى القارة الافريقية ، اننا لا ننسى أبدا ان الاهداف الرئيسية المشورة كان بناء جيش وطنى قادر على حماية سيادة شعبنا على ارضه وقادر ايضا على التصدى لاية محاولة أو مؤامرة فى الداخل والخارج للانقضاض على الحكم الثورى فى بلادنا وعلى نظامنا الاجتماعى . اننا ندرك الآن وبيقين كامل ان معارك اكتوبر المجيدة والدور البطولى الذى قامت به قواتنا المسلحة والتضحيات الغالية التى قدمتها خلال تلك المعارك كانت التاكيد بان مصر اصبحت تملك القوة الضاربة القادرة فى المستقبل كما تمكنت فى الماضى القريب على ان تردع القوات الاسرائيلية العميلة والمرتزقة التى استخدمتها الامبريالية طوال السنين الماضية لضرب حركات التحرر الوطنى والنظم التقدمية فى البلدان العربية وفى القارة الافريقية ايضا . ان ما تحقق خلال معارك اكتوبر وبعدها لم يكن من الممكن ان يتحقق اذا كانت قواتنا المسلحة تقف فى جانب ويقف شعبنا فى جانب آخر .

لقد جاء فى ورقة اكتوبر ايضا ..

« ان معارك اكتوبر قد وحدت صفوف الشعب المصرى على مستوى لم يسبق له مثيل وعلينا ان نستخدم هذه التعبئة الشاملة لكل القوى الوطنية على اختلاف منابعها الفكرية ومواقعها الاجتماعية لنخوض حربا فاصلة ضد بقايا التخلف ونبنا فى أسرع وقت مرحلة الانطلاق .. »

ان كل ما حدث بعد معارك اكتوبر كان يمثل انتصارات جديدة وخطوات ايجابية

الى الامام فى صالح حركة التحرر الوطني العربية وقوى السلام والاشتراكية فيجميع بلاد العالم • ان فك الاشتباك على الجبهة المصرية كان انتصارا لقوى التحـــرر في الوطن العربى والقوى المحبة للسلام فى العالم • وفك الاشتباك فى الجبهة السورية يعتبر التاكيد بأن ما تحقق على الجبهـة المصرية كان من الحتمى أن يتحـــقق فى الجبهة السورية لانمعركتنا ومعركة سوريا واحدة وقد خضنا معارك اكتوبر معا ومع اقوى تضامن شهده الوطن العربى ، ومع اقوى تضامن ومساندة من الجبهة المعادية للامبريالية ومن الدول الاشـتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى •

ان زيارة نيكســـون الاخيرة الى مصر وسوريا وغيرهما من الدول العربية ليست الا خطوة وخطوة أولى الى الامام لاننـــا كنا قد وصلنا فعلا الى الوضـــع الذى اصبحت فيها قواتنا المسلحة الباسلة تواجه مباشرة ووجهـا لوجه الامبريالية بكـــل شراستها وبكل ما تملك من أســــلحة ، ولان الوضـــع العـــالمى كان بالتالى قد وصل الى وضع احتمال المواجهة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحـــدة الامريكية بعد ان أعلنت الاخيرة حـــالة التاهب القصوى لقواتها وفى قواعد حلف الاطلنطى مما كان ســـيؤدى الى نسف سياسة الوفاق من أساسها وهى الرصيد السياسى الاساسى الذى يعتمد عليه نيكسون داخل بلاده نفسها • اننا لم نتراجع عن موقفنا خطوة واحدة والبيان المشترك الذى اعلن هنا بعد زيارة نيكسون يضـــع فى نصوصه بل ويرتكز أساسا على التعاون واحترام السيادة بين الدول على اختلاف نظمها الاجتماعية ، وهى نفس الاسس التى يتعامل بها الاتحاد السوفييتى وكافة الدول الاشـتراكية مع الولايات المتحدة الامريكية ومع دول أوربا الغـربية واليابان ، وهى نفس أسس التعايش الســلمى التى ظلت قوى السلام والحرية والتقدم فى جميع بلاد العالم تناضـــل من أجلها سنين طويلة • ان ما حققته معارك أكتوبر قد نقلنا ونقل الوطن العربى ونقل العالم الى أوضـــاع جديدة أرغمت الولايات المتحدة الامريكيـة على أن تواجهها وعلى أن تواجهـــا بالتعامل مع الدول العـــربية من موقـــع جديد •

ان أحداث المستقبل هى التى ستحدد لنا وللعالم كله ما اذا كانت امريكا راغبـــة وقادرة فى نفس الوقت على المساهمة فى وضع أسس سلام عادل فى المنطقة •• لقد اعترف نيكسون فى بيـــانه مع الرئيس السادات بالحقوق المشروعة للشــــعب الفلسطينى • ولم تكد تمر ساعات أو أيام حتى اعلنت الولايات المتحـــدة الامريكية اصرارها على الاستمرار فى امداد اسرائيل بالسلاح (١٥٠٠ مليون دولار ســـنويا ولمدة خمس سنوات متواصلة) وعلى انها ستظل تمد اسرائيل بمساعدات اقتصـادية استثنائية تمكنها من مواجهة العجـــز فى ميزانيتها التى ما زال الجزء الاكبر منها مخصصا للاغراض العسكرية • اننا ندرك والعالم كله يدرك معنـــا ان أول شرط لتحقيق السلام فى المنطقـــة يتطلب تقليم اظافر أو انياب المعتدى •

ان اتجاه الولايات المتحـــدة الامريكية الى الاستمرار فى تزويد اسرائيل بالاسلحة رغم انها لم تعلن حتى اليوم اســـتعدادها للانسحاب من جميع الاراضى العــــربية المحتلة والاعتراف بالحقوق الوطنيـــــة للشعب الفلسطينى ، وفى رأينـا ان الحكم العسكرى الارهابى والعنصرى فى اسرائيل لن يتمكن من الاستمرار فى ممارسة دوره كقوة معتـــدية وقوة تلعب دور البلطجى الخارج على القـانون اذا توقفت الولايات المتحدة الامريكية عن مساندته سياسيـــا واقتصادية وعسكريا • ان استمرار تزويد اسرائيل بالاسلحة ليس هو الطـريق الذى سيحقق الامانى ولا يدخل فى اطار سياسة الانفراج أو القضاء على بؤر العـــدوان والتهديد بالحرب واخطرها حاليا الوضـــع القائم فى الشرق الاوسط •

ان اسرائيل يجب ان تعرف ان القضية من أساسها هى قضية الشـعب الفلسطينى وستظل قائمة وستظل الشغل الشـــاغل للبلدان العربية كلها ولشعوبها حتى تتحقق الاهداف التى حددتها منظمة تحرير فلسطين • والوطن العربى لا يتحمل نوع السلام ونوع احترام الاتفاقيات الذى يمارس حتى الان على الارض الفيتنامية • ان مثل هـــذا

السلام لا يمكن أن يتحقق هنا وحتى اذا تحقق فسيكون معرضا وفى كل لحظة الى ان ينهار من اساسه .

والولايات المتحدة الامريكية ما زالت تعلن انها ستزود اسرائيل بمزيد من الاسلحة وبمزيد من المعونات الاقتصادية وانها ستضمن امنها وكان امن اسرائيل سيظل شيئا آخر وشيئا شاذا يختلف عن امن دول العالم الاخرى التى تجمعها الامم المتحدة والذى تضمنه المواثيق الدولية . ان الخطوة الاولى التى كان من الواجب ان تتخذها الولايات المتحدة لترغم اسرائيل على ان تتصرف بحجمها الطبيعى وعلى ان ترضخ لارادة المجتمع الدولى هى ان تعلن وتعلن صادقة انها ستتوقف عن امداد اسرائيل بالسلاح ، وهذا ما لم تفعله الولايات المتحدة بل لقد فعلت نقيضه . لقد تأكدت أمريكا كما أعلن الرئيس نيكسون ان مصر والدول العربية الاخرى تريد السلام ، وأنها لا تستخدم قواتها المسلحة الا لغرض واحد هو تحرير أراضيها والدفاع عن امنها وهو فى نفس الوقت وكما اكدت معارك أكتوبر أمن وسلام العالم . ان الوجه الاخر لسياسة أمريكا هو الذى يشجع اسرائيل على المماطلة والتسويف ويشجعها ايضا على التهديد بالعدوان من جديد وهذا ما أرادت اسرائيل أن تؤكده بغاراتها الاخيرة على لبنان .

بقى أن نحدد وبوضوح كامل موقفنا من الاصدقاء ...

اننا نعرف موقف الاصدقاء من قضيتنا ونعرف ما فعلوه من أجلنا فى الماضى وما يفعلونه من أجلنا حتى الان . اننا ننظر الى الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية من موقع آخر غير الموقع الذى ننظر به للولايات المتحدة الامريكية سواء قبل معارك أكتوبر أو بعد المواقف التى اتخذتها نتيجة لتلك المعارك . لقد قطعت جميع الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى علاقاتها الدبلوماسية

لقد حققنا ما حققناه من انتصارات فى معارك اكتوبر لاننا كنا قد حشدنا فعلا وقبل المعارك القوى العالمية الضخمة التى وقفت الى جانبنا والتى يجب ان نحافظ على استمرار مساندتها وتأييدها لنا حتى تحقيق النصر الاخير . لقد كسبنا باعتبارنا فصيلة وفصيلة امامية وفصيلة طليعية فى حركة التحرر الوطنى كافة القوى المعادية للامبريالية ، ولولا وجودنا فى هذا الموقع لما امكن ان تواجه أمريكا ومن ورائها اسرائيل عزلة كاملة فى المجتمع الدولى ، وتواجه فى نفس الوقت ادانات مستمرة من كافة المنظمات والهيئات والاتحادات الدولية والاقليمية ومن حركة السلام العالمية بمئات الملايين من البشر التى تتجمع حولها . وقد حققنا ما حققناه فى معارك اكتوبر لان الجبهة الداخلية فى مصر ظلت صامدة وظلت قادرة على حشد كافة القوى الوطنية وعلى اختلاف اتجاهاتها الفكرية واوضاعها الاجتماعية لمواجهة اخطر التحديات .

ولنفهم جميعا ان الوفاق مع امريكا لن يحرفنا عن طريقنا ولن ينقلنا من موقعنا كفصيلة وفصيلة امامية وفصيلة طليعية فى حركة التحرر الوطنى العالمية وفى الجبهة المعادية للامبريالية . ولنفهم جميعا ان الوفاق مع أمريكا لن يكون أبدا على حساب صداقتنا وتعاوننا مع الدول الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفييتى . ولن ننسى أبدا ان الاتحاد السوفييتى ورغم حرصه على تأكيد سياسة الوفاق والتعايش قد وضع نفسه فى وضع المواجهة مع الولايات المتحدة الامريكية .

لقد حققنا ما حققناه من انتصارات لاننا ظللنا امناء لمبادىء ثورة يوليو ، ولان كل خطواتنا للمستقبل واخرها ورقة اكتوبر تهدف اول ما تهدف الى تأكيد تحالف قوى الشعب العاملة ، والى تأكيد خطنا الاجتماعى التقدمى الذى يهدف الى بناء المجتمع الاشتراكى على أرض وطننا ، والى تأكيد دور مصر فى المعارك التى ما زلنا نخوضها وما زالت تخوضها الشعوب لتصفية الاستعمار والقضاء على بؤر العدوان ولضمان الامن والسيادة والسلام وامكانيات التقدم لجميع شعوب العالم ..

((ابراهيم عبد الحليم))

رسالة موسكو

النفـــــط

والنضال المعادى للامبريالية

بقلم ر . أندريسيان

ان أزمة الطاقة وما يرتبط بها من ((جوع النفط)) هى ذات طابع هيكلى محض لانها كامنة فى طبيعة رأسماليةالدولة الاحتكارية ذاتها . و ((جوع النفط)) النـاتج بطريقة او اخرى عن نشاط الاحتكارات العملاقة فى الولايات المتحـدة وبريطانيا وهولندا ، له تاثير درامى خاص على الاقتصـاد الراسمالى . فقد لجات هذه الاحتكارات سعيا وراء الربح الى مؤامرات المضاربة ((بالذهب الاسود)) على نطاق لم نشهده من قبل ، وحاولت لكى تتملص من المسئولية ان تلقى تبعة هذه النتائج على بلدان الشرق الاوسط وشمال افريقيـا حيث تتركز ثلثى كل الموارد النفطية للعـالم غير الاشتراكى وحيث يجرى انتاج أكثر من نصف انتاجه من النفط .

حقا ، ان مساندة الامبريالية المستمرة للسـياسة العدوانية للدوائر الحاكمة الاسرائيلية قد أجبرت البلدان العربية على استخدام النفط كأداة فعالة فى النضال من أجل حقوقهم الوطنية . بيد أن العقوبات التى فرضها العرب ، بما فى ذلك حظر شحنات النفط الى الولايات المتحدة وهولندا ، وتخفيض انتاج النفط ورفع أسعار تصديره ، كانت رد فعل طبيعى تماما على تفاقم نزاع الشرق الاوسط فى أكتوبر الماضى .

وفى نفس الوقت تزداد ازمة الطاقة حـدة ، وتؤدى الى زيادة تفاقم مجموع التناقضات السياسية والاقتصادية فى العالم الرأسمالى ، والصراع من أجل اعادة تجميع القوى داخل المعسـكر الامبريالى . وقد كشفت الرأسمالية عن استعدادها المحدود للنتائج المباشرة لهذه الازمة ، كزيادة عجز الميزان التجارى وميزان المدفوعات ، وكساد الانتاج فى عدد من الفروع الرئيسية ، مما يحمل معه خطر كوارث اقتصادية واجتماعية جديدة . كما ازعجتها النتائج البعيدة المدى المترتبة على تزايد نمو نضال شعوب بلدان العالم الثالث من أجل الاستقلال الاقتصادى ، ذلك النضال الذى يلقى مساندة النظام الاشتراكى العالمى ، وحركة العمال الدولية ، والذى يمكنه لهذا السبب أن يضعف بشكل أكبر من مواقع الامبريالية ونظام الاستعمار الجديد .

***

تتطور ازمة الطاقة فى ارتبـاط وثيق مع النفط ، الذى يعتبر السلعة الرئيسية فى السوق الرأسمالى العالمى ، وأحـد المصادر الهامة للطاقة ، وأحد المنتجات الاولية للصناعة الكيماوية فى العالم . ويشكل النفط أكثر من نصف حجم التجارة الدولية وحوالى عشر قيمتها . وخلال العام الماضى بلغ استخراج النفط فى العالم الرأسمالى ٢٣٣٩ مليون طن ، وهو مايبلغ سبعة أضعاف بالمقارنة مع عام ١٩٤٦ .

وللنفط اهمية استراتيجية ضخمة بالنسبة للدولة الحديثة . وتتضاعف قيمة دوره بالنسبة للامبريالية خاصة اذا ماوضعنا فى اعتبارنا أن ٩٠٪ من موارد النفط فى العالم الرأسمالى تتركز فى البلدان النامية . ان البعد عن منابع الانتاج ، والتكاليف الباهظة لخلق احتياطى من النفط والصعوبات التى تعترض ذلك ، والتى لاتزيد فى العادة متوسط احتياجات الاستهلاك لفترة ثلاثة شهور ، والرغبة فى ضمان امدادات مستمرة من الوقود السائل وامكانية فقدان كل سيطرة على البلدان المنتجـة للبترول التى تدخل فى نضال تحرير وطنى ـ كل ذلك يجعل من النفط واحدا من أكبر مشاكل الامبريالية .

وفى هـذه الظروف تعتبر الامبريالية احتمـال وقف أو حتى تخفيض

شحناتها تهديدا خطيرا . ولو توفرت علاقات سوية بين مصدرى البترول ومستهلكيه ، لما نشأ مثل هذا الوضع بالطبع . لكن حيث أنه نشأ فينبغى البحث عن السبب الرئيسى فى طبيعة الامبريالية ذاتها التى ترى دائما أن القاعدة التى تستند عليها علاقاتها مع بلدان العالم الثالث ليست الروابط التجارية العادية وانما استغلال ونهب ثرواتها القومية . ومثل هذا الاستغلال كان ولايزال العمود الفقرى لميكانيكية السوق الرأسمالى ، وأساس لسياسة الاحتكارات .

ويعمل فى اقتصاد النفط الرأسمالى العالمى أكبر احتكارات فى نظام رأس المال الدولى . ويكفى أن نقول أن صناعة النفط فى الولايات المتحدة يسيطر عليها ٢٠ احتكارا رغم أنحوالى عشرة آلاف شركة تعمل فىاستخراج النفط هناك . وفيما يتعلق بالشركات الاحتكارية العملاقة التى تشكل احتكار النفط الدولى الذى يلف بأذرعه الاخطبوطية كل العالم الراسمالى فان عددها هو سبع شركات فحسب ، منها خمس شركات أمريكية هى أكسون التى كانت تعرف من قبل باسم ستاندرد أويل أوف نيو جيرسى ، وتكساكو ، وستاندرد أويل أوف كالفورنيا أو ستكاتكال ، وموبيل أويل ، وجلف أويل ، وشركة يسيطر عليها رأس المال البريطانى والهولندى وهى رويال دتش شل ، واخرى بريطانية تماما هى بريتش بتروليم . وفى أوائل السبعينات كان الاحتكار الدولى يسيطر على ٧٠٪ من كل احتياجاتالنفط فى العالم الراسمالى ، وعلى ٦٥٪ من استخراج النفط ، وعلى أكثر من ٥٠٪ من تكريره وتسويقه .

واحتكارات النفط الاعضاء فى الاحتكار الدولى هى أقوى شركات من نوعها . ففى ١٩٧٢ استخرجت ١٤٠٠ مليون طن من النفط ، منها ٢٨٧ مليونا استخرجتها اكسون بمفردها . وفى عام ١٩٧١ بلغت مجموعتجارتها ٦٣ر٥ مليون دولار ، اى ما يزيد عن القيمة الكلية لصادرات كل بلدانالعالم الثالث . ووصلت أصولها الى ٨٤ر٣ بليون دولار وارباحها الصافية الى ٥ر٢ بليون دولار .

وكل احتكار من هذه الاحتكارات ترأسه شركة تدير نشاط عشرات ومئات الشركاتالفرعية التى تعمل فىدورة النفط : التنقيب ، والاستخراج، والتكرير ، والنقل ، والتسويق . وفى معظم الاحوال يضم الاقتصاد النفطى للبلدان الراسمالية والنامية وحدات انتاجية لنفس الاحتكار ، بينما يعتبر التصدير والاستيراد بين البلدان المختلفة نوعا من العمليات بين الوحدات فى اطار مؤسسة عملاقة تسمى احتكارا متعدد القومية . وهذا البناء يساعد الاحتكارات أن تعوض دون صعوبة خسائرها فى مجال ما بارباح فى مجال آخر على حساب المنتجين أو المستهلكين أو كليهما . وخلال السنوات الاخيرة بدأت احتكارات النفط تندفع نحو شراء أسهم مناجم الفحم

واليورانيوم . وفي الولايات المتحدة تسيطر احتكارات النفط على حوالى نصف مناجم الفحم واليورانيوم ، وعلى قسم كبير من قدرات محطات القوى الذرية ، وعلى حوالى ٨٠٪ من استخراج الغاز الطبيعى لقدتحولت بذلك الى احتكارات متكاملة للطاقة .

والسياسة الخارجية للبلدان الامبريالية ، تلك التي توجد فيهاالشركات الام الاعضاء فى الاحتكار الدولى ، تسير لدرجة كبيرة وفق مصالح اثراء تلك الاحتكارات وزيادة سلطتها . ويتضح ذلك على وجه الخصوص فى البلدان النامية التى تحصل الاحتكارات العملاقة على ٨٠٪ من كل نفطها ولا يزال العالم الثالث مصدرا لاثراء احتكارات النفط .

وفروع احتكارات النفط الامريكية فى البلدان العربية تدر أكبر الارباح . فقد وصلت الارباح على رأس المال المستثمر فى الشرق الاوسط الى ١٢٥٪ عام ١٩٧١ . وليس هناك مجال آخر لاستثمار رأس المال ولا منطقة أخرى فى العالم الرأسمالى تقدم للامبريالية مثل تلك الارباح . وينبغى أن نتذكر على سبيل المقارنة أن الرقم المقابل فى الصناعة النفطية فى الولايات المتحدة لعام ١٩٧٢ يبلغ ٧ر٨٪ فقط .

وتفسر الارباح الضخمة بأن الاحتكارات العملاقة كانت حتى وقت قريب تحصل على جزء كبير من الريع التفاضلى « الذى يتكون نتيجة للانتاجية الطبيعية العالية لحقول البترول ، وخاصة فى البلدان العربية وايران حيث تصل تكاليف الانتاج الى ١٥ ــ ٢٠ مرة أقل عنها فى الولايات المتحدة » رغم أن هذا الريع ينبغى أن يكون من نصيب مصدرى النفط . ويرجع ذلك بصورة مباشرة الى النظام الاستعمارى الجديد لنهب البلدان النامية وتكبيلها باتفاقيات الامتيازات غير المتساوية .

ولما كانت الاحتكارات تسيطر كذلك على العمليات اللاحقة فانها تحصل منها على أرباح اضافية كذلك ، وخاصة من تجارة الجملة والقطاعى فى النفط الخام ومنتجات تكريره . ان الاحتكارات من خلال الدور الذى تقوم به كموزعة للنفط فى السوق الرأسمالى تفرض عليه الاسعار التى تريدها ، وتنهب بذلك لا المصدرين فحسب ، وانما مستوردى الوقود السائل كذلك ، مثل بلدان غرب أوروبا واليابان ، وغيرهم من المستهلكين بما فى ذلك المستهلكين الامريكيين .

ان التناقض بين الطبيعة الاجتماعية للانتاج والشكل الخاص للتملك قد اعرب عن نفسه بشكل خاص فى نشاط احتكارات النفط التى لم تدع فرصة لتدعيم سيطرتها فى العالم الثالث . لقد تدخلت اكثر من مرة فى الحياة السياسية الداخلية لهذه البلدان ، ونظمت انقلابات وتمردات ،

واغرقت فى الدم ثورات شعبية ، وخاصة فى الشرق الاوسط ، ان نمو حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعي لشعوب المنطقة ، المهمة استراتيجيا والغنية بالنفط ، يثير كراهية خاصة لدى الامبرياليين واحتكارات النفط الذين يحيكون المؤامرات ضد هذه الحركة ويشنون الحروب وينظمون الاعمال العدوانية الاخرى .

ويحتل النضال ضد احتكارات النفط ، ومن أجل تاميم امتيازات النفط الاجنبية مكانا بارزا فى تاريخ حركة التحرر الوطنى . فقبل الحرب العالمية الثانية قام شعب المكسيك بطرد احتكارات النفط الاجنبية خارج البلاد . وناضل الشعب الايرانى كذلك من أجل هذا الهدف فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات لكنه فشل فى ذلك الوقت . وخلال السنوات اللاحقة تركز النضال الرئيسى فى بلدان العالم الثالث فى اعداد الظروف اللازمة للتاميم . ورفعت الضرائب المفروضة على الشركات الاجنبية صاحبة الامتيازات فى كل مكان ، واقيم قطاع دولة فى صناعة البترول وتم توسيعه ، وتلقت الكادرات الوطنية تدريبها ووقعت اتفاقيات بشروط أفضل مع الشركات الاجنبية التى لاترتبط بالاحتكار الدولى . وقدم الاتحاد السوفييتى وغيره من البلدان الاشتراكية مساعدة ضخمة لعدد من البلدان من أجل خلق وتطوير صناعات النفط الوطنية بها ..

ولكى تحمى مصالحها من الاحتكارات الامبريالية شكلت البلدان النامية عام ١٩٦٠ منظمة البلدان المصدرة للبترول (أوبيك) . ورغم أن المنظمة تضم بلدانا متباينة الانظمة فقد اكتسب نشاطها طابعا معاديا للامبريالية منذ البداية . والى جانب تلك المنظمة اقامت البلدان العربية تجمعها البترولى الاقليمى الخاص بها عام ١٩٦٨ . وهكذا اتخذ النضال ضد احتكارات البترول طابعا منظما . وفى البداية لم تتمكن المنظمتين من أن تتوصلا الا لنتائج محدودة . ففى ظروف زيادة الانتاج ووجود احتياطيات ضخمة تحت تصرف الاحتكارات ، احتفظت الاخيرة بامكانية تحطيم أى اجراء ضدها باللجوء الى المقاطعة النفطية كما حدث فى حالة ايران . وبدأت البلدان النامية تصعد من هجومها ابتداء من عام ١٩٧٠ عندما تشكلت ظروف دولية مواتية لذلك .

***

تتزايد تكاليف التنقيب عن النفط واستخراجه ، خاصة فى الجزء المتطور اقتصاديا من العالم الراسمالى ، مع نمو استهلاك النفط والغاز الطبيعى . كما يجرى الاستخدام الواسع للنفط الكامن على أعماق كبيرة على الجرف القارى وفى المناطق القطبية . وفى نفس الوقت فان الحاجة الملحة لحماية البيئة وازالة الآثار التى خلفتها أعمال استخراج البترول

والغاز واستخراج الفحم تحد من الامكانيات الجغرافية للاستفادة من الموارد الطبيعية .

وفى نفس الوقت يكتسب نمو استهلاك الطاقة أبعادا مذهلة . فخلال العشرين عاما من ١٩٥٠ الى ١٩٧٠ زادت كمية الطاقة المستهلكة ١٣٠٪ . وبدأ يتطور اتجاه جديد ، يختلف عما كان سائدا فى العقود السابقة عندما كان استهلاك الطاقة بالنسبة للوحدة من اجمالى الناتج القومى ينخفض ، وبدأت كثافة طاقة الانتاج تنمو خلال السنوات الاخيرة بمعدل يفوق كثيرا معدل التنمية الاقتصادية للدول الرأسمالية الرئيسية .

ويرجع ذلك فى المحل الاول الى الزيادة السريعة فى استهلاك النفط ، فخلال العقدين الاخيرين ارتفع نصيبه فى ميزان الطاقة والوقود فى العالم الرأسمالى من ٢٦ الى ٥٠٪ ، بينما ارتفع نصيب الغاز من ١٢ الى ٢٣٪ على التوالى . وفى نفس الفترة انخفض نصيب الفحم من ٥٣ الى ٢٥٪ ، اذ احتل النفط مكانه باطراد .

ولم يكن اقصاء الفحم عن الميدان نسبيا فحسب وانما كان مطلقا كذلك ، فانخفض تعدين الفحم بسرعة فى غرب أوروبا وتجمد عند مستوى معين فى الولايات المتحدة رغم أن كل امكانيات الفحم لم تستغل . ومما يلفت النظر كذلك التباطؤ الكبير فى تطور توليد الطاقة المائية والذرية ، وفى الابحاث المتعلقة بتطوير موارد بديلة للطاقة . وأصبح نموذج موازين الطاقة غير معقول بالتركيز الذى لا مبرر له على النفط والغاز الطبيعى .

وهذا الاتجاه الاحادى الجانب لايرجع الى الثورة العلمية والتكنولوجية فحسب التى أدى تقدمها الى زيادة الطلب على النفط والغاز الطبيعى ، وانما يرجع كذلك الى سعى احتكارات النفط لاضعاف منافسيها فى صناعة الفحم . وأعطى استغلال حقول النفط المربحة للغاية التى تمتلكها فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا الاحتكارات العملاقة السلعة التى استخدمتها كسلاح ضد شركات تعدين الفحم واستخراجه ، للسيطرة على أسواق الوقود فى أوربا الغربية واليابان . وابتداء من الخمسينات خفض احتكار البترول الدولى عن قصد أسعار النفط بفرض عوائد للامتياز على بلدان الشرق الاوسط وشمال افريقيا لاتزيد عن ٥٠٪ من الارباح التى تحصل عليها من تصدير النفط الخام .

ولا يتضمن ذلك أى خسائر لاعضاء الاحتكار الدولى حيث أن أسعار المنتجات النهائية للتكرير فى البلدان المستوردة كانت مرتفعة (فقد كانت تكلفة البنزين ضعف النفط الخام) مما ضمن للاحتكار الدولى درجة عالية من القدرة على المنافسة . ولم تكن الاسعار المرتفعة لهذه المنتجات مفيدة للاحتكارات فحسب ، وانما كانت مفيدة كذلك لعديد من حكومات البلدان

المستوردة التى فرضت رسوما اضافية عالية عليها . ونتيجة لذلك تشكل هيكل أسعار منتجات النفط فى أوروبا الغربية كما يلى : **أرباح حكومات البلدان المنتجة للنفط ٦٫٧٪ ، الرسوم الاضافية ٥٢٫٣٪ ، وأرباح الاحتكارات مع حساب التكاليف فى مختلف المراحل « من الاستخراج حتى التسويق » ٤١٪ .**

واذا وضعنا فى اعتبارنا النصيب المنخفض للغاية للبلدان المنتجة للنفط فى الاسعار النهائية لمنتجات النفط ، والمدى الهائل لنهب رأسمالية الدولة الاحتكارية لبلدان العالم الثالث ، لاتضح لنا أن العالم الثالث يمول ، فى الواقع ، اقتصاد البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا ، ويزيد من قوة عدوه ـ الامبريالية . لكن هذا الوضع لم يقدر له أن يدوم طويلا . فميكانيكية الاثراء التى خلفتها الاحتكارات العملاقة بشكل بطىء فى البداية ثم ازداد سرعة ، بدأت تضعف من نهايتها ـ البلدان الرأسمالية التى تستورد الوقود السائل والبلدان المصدرة للنفط .

لقد عود الاحتكار الدولى الغرب على استخدام منتجات النفط باسراف . وزادت واردات بلدان غرب أوربا ١٧٫٥ ضعفا فى الفترة من ١٩٥٠ حتى ١٩٧٣ ، كما زادت واردات اليابان ١٨٠ ضعفا . وكانت الولايات المتحدة بلدا مصدرا للنفط فى السنوات الاولى التى أعقبت الحرب ولكنها أصبحت تستورد عام ١٩٧٣ حوالى ٣٠٠ مليون طن من النفط ومنتجاته .

وظل استخراج النفط فى الولايات المتحدة ثابتا خلال السنوات الاخيرة لانه كان من الاربح للاحتكارات الامريكية أن تقوم بنقل النفط الرخيص من امتيازاتها فى الشرق الاوسط وأمريكا اللاتينية عن أن تستخرجه من داخل البلاد . وبالاضافة الى ذلك ، تنظر الولايات المتحدة الى الموارد الداخلية للنفط باعتبارها احتياطيا استراتيجيا تلجأ اليه فى حالة الطوارىء . ومثل هذا الاتجاه فى التفكير شجعته الاحتكارات التى أخفت عن عمد أية معلومات عن القدر الحقيقى للموارد النفطية فى البلاد .

وتطلب اقتصاد الرأسمالية نفطا أكثر فأكثر وبأسعار منخفضة . واستندت كل التنبؤات حول التنمية الاقتصادية على هذا الافتراض . وفى نفس الوقت أصبح واضحا أن احتكارات النفط لايمكنها أن تسد (وقد لايكون لها مصلحة فى أن تسد) حاجات الاقتصاد الراسمالى التى تنمو بسرعة بنفط من حقول الولايات المتحدة والبلدان النامية بالاسعار القائمة .

وبدأت مواقع الاحتكار الدولى تضعف بشكل واضح فى العالم الثالث . فبعد أزمة السويس ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ حصلت شركات البترول فى الولايات المتحدة والشركات الخاصة والحكومية فى غرب أوروبا واليابان ، والمستقلة

عن الاحتكار العالمي ، على امتيازات فى الموارد الطبيعية للبلدان النامية بشروط افضل كثيرا للاخيرة بالمقارنة مع الاتفاقيات التى فرضها عليها الاحتكار الدولى . وشكلت الشركات الخارجة على الاحتكار الدولى شركات مختلطة على أساس المناصفة مع الشركات القومية فى البلدان النامية أو بدأت تلعب دور المتعهدين .

وقررت الحكومة الليبية عام ١٩٧١ تخفيض استخراج النفط بسبب الاستغلال الوحشى لموارد الوقود السائل فى البلاد . وبعد ذلك قررت حكومتا فنزويلا والكويت وضع قيود على اســتخراج النفط . وخفض استخراج النفط فى الجزائر عام ١٩٧١ وفى العراق عام ١٩٧٢ بسبب مقاطعة احتكارات البترول لها انتقام لتاميم امتيازاتها . وادى الانخفاض الفعلى لعائدات النفط فى البلاد المصدرة للنفط ، بسبب تدهور قيمة الدولار ، الى الحد من رغبتها فى زيادة الانتاج دون وجود تعويض مناسب . وبالاضافة الى ذلك ، لم يحدث أى نمو فى انتاج النفط فى الولايات المتحدة . ونتيجة لذلك بدأ يتزايد نقص النفط فى السوق الراسمالى . واستنفدت بسرعة الامكانيات الاحتياطية للاحتكارات . وهكذا تشكل وضع فى السوق لم يكن فى مصلحة المشترى وهو الاحتكارات ، وانما فى مصلحة بلدان الاوبك التى بدأت تدافع عن مصالحها بتصميم متزايد .

***

وعبر ذلك عن نفسه فى زيادة جديدة فى عائدات الامتياز وفيما يسمى بالاسعار المعلنة للنفط التى تعتبر أساسا لتحديد دخل البلدان المصدرة ، وكذلك فى الاجراءات الخاصة بالمضى جزئيا فى تأميم الامتيازات الاجنبية . وكنتيجة لذلك ، ارتفع نصيب بلدان الاوبيك فى أسعار منتجات البترول فى أوائل ١٩٧٣ حوالى ٧٠٪ ، وبلغ ٢ر١١٪ . وفى ذلك الوقت على وجه التحديد بدأت الاحتكارات سياسة رفع أسعار استهلاك النفط ومنتجاته . وحاولت أن تحتفظ بل وتزيد من أرباحها بجعل المستوردين يتحملون كل التكاليف الناجمة عن زيادة أسعار الشراء . بيد أن نظام تنظيم الدولة للاسعار فى البلدان الرأسمالية المتطورة بدأ يعرقل أرباح الاحتكارات وزيادة ثرائها . ولهذا قررت احتكارات النفط أن تحد بشكل مصطنع من شحنات النفط الى المستهلك كى تجبر حكومات البلدان المستوردة على الغاء القيود على الاسعار . وجريا وراء مصالحها الانانية عملت الاحتكارات بهذه الطريقة على تدهور الوضع فى السوق وعجلت من ازمة الطاقة .

وفى الولايات المتحدة تلازمت الاوضاع الجديدة فى السوق مع ظهور عدد من العوامل المواتية لسياسة المضاربة التى تنتهجها الاحتكارات . وأدت رغبة الحكومة فى الحد من التضخم على وجه الخصوص ، الى تجميد أسعار الغاز الطبيعى . واستجابت شركات الغاز ، التى هى فى الغالب

نفس احتكارات النفط ، بتخريب التنقيب عن الغاز واستخراجه بحجة أن ذلك غير مربح فى ظروف انخفاض الاسعار . وظهرت قوى ، تشترك معها احتكارات النفط ، حاولت بحجة حماية البيئة وقف بناء مصانع لتكرير النفط وخط للانابيب من الاسكا ، والتوسع فى تعدين الفحم وبناء محطات طاقة كهربائية ذرية ، وكذلك منح تصاريح للتنقيب عن النفط واستخراجه فى مياه البحار الضحلة بالقرب من شواطىء الولايات المتحدة . ولاول مرة فى تاريخها عانت الولايات المتحدة من نقص خطير فى النفط والغاز الطبيعى فى شتاء ١٩٧٢ – ١٩٧٣ . وكان لابد من اغلاق المؤسسات والمدارس فى بعض الولايات . وسمحت الحكومة باستيراد منتجات النفط من غرب أوربا حيث تتركز طاقات الاحتكارات للتكرير ، مما أدى الى « جوع النفط » فى البلدان الرأسمالية الاخرى .

وأصبحت ازمة الطاقة حقيقة كالحة من حقائق الحياة . وبدات مبكرا عما كان متوقعا . وتكرر عدم انتظام شحنات النفط بصورة أكبر . ان ماكان ينبغى أن يحدث ، حسب تقدير المختصين ، فى العقد القادم ، قد وقع فى شتاء ١٩٧٣ – ١٩٧٤ . وفرضت قيود أقسى على استخدام منتجات النفط اللازمة لاحتياجات النقل والتدفئة فى كل البلدان الرأسمالية ، وحدث نقص فى المواد الخام فى المؤسسات البتروكيماوية . وارتفعت أسعار كل السلع تقريبا . وكانت هناك زيادة كبيرة فى أسعار البنزين والمواد الغذائية والصوف والجلود والقطن والمطاط الطبيعى ومنتجات الصناعات المستهلكة للطاقة . وبدات موجة جديدة من التضخم . وأدى تخفيض الانتاج ، فى البداية فى كل صناعات السيارات والبتروكيماوية وفى غيرها من فروع الاقتصاد ، الى زيادة البطالة بدرجة أكبر .

وتنبأ المختصون فى منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية بان العجز التجارى فى الدول الرأسمالية المتطورة اقتصاديا يمكن أن يصل الى ٤١ بليون دولار خلال هذا العام . وسيصبح على بعض هذه البلدان أن تخصص حوالى ثلث مصروفاتها على الواردات لشراء النفط الخام . وتامل تلك البلدان ، فى الحقيقة ، الى خفض هذا العجز بزيادة صادراتها من الاسلحة والسلع المصنوعة للمناطق الغنية بالنفط ، وبتحويل ايرادات النفط الضخمة التى لاتستخدم فى هذه المنطقة الى بنوكها ، وبالحصول كذلك على قروض من صندوق النقد الدولى ومن المصادر الخاصة .

ويقع ثقل الازمة على عاتق الجماهير العاملة . وفى نفس الوقت فان زيادة كبيرة فى نصيب البلدان المنتجة للنفط من أسعار منتجات النفط لاتحول دون المحافظة على المستوى السابق للاسعار فى السوق الداخلى للبلدان الرأسمالية المتطورة اقتصاديا – اذ أن كل ذلك يتطلب فقط تخفيض أرباح الاحتكارات . ولكن اذا ماتم ذلك فستكف رأسمالية الدولة الاحتكارية

عن الوجود ، اى ستكف من ان تكون المستغل للجماهير العاملة فى بلدانها ولشعوب الدول النامية .

وتستجيب الجماهير العاملة بتكثيف نضالها الطبقى ضد زيادة الاسعار ، وكساد الانتاج والبطالة . وقد اكتسبت حركة الاضراب والاعمال السياسية للطبقة العاملة أبعادا هائلة . واهتزت بريطانيا من اضراب عمـــال المناجم الذى أسقط بالفعل حكومة المحافظين . واجتاح ايطـاليا اضراب عام فى فبراير .

ولقد فشلت محاولات احتـكارات النفط لالقاء مسئولية المصـــاعب الاقتصادية على العرب . واتهم مؤتمر الاحزاب الشـــيوعية والعمالية فى البلدان الرأســمالية فى غرب اوروبا ، فى قرار اتخـذه فى ٣٠ يناير فى بروكسل ، اتهم احتكارات النفط ، والحكومات البرجوازية بمحاولة خداع الرأى العام ودفع الجماهير العاملة الى تحمل كافة المصاعب . وأيد القرار الاجراءات التى اتخذتها البلدان النامية المصدرة للنفط لتصفية الاستغلال الاستعمارى الجديد . كما أكد القرار ان تلك السياسة تتفق مع مصالح الجماهير العاملة فى بلدان غرب أوربا . وصرح جورج مارشيه السكرتير العام للحزب الشيوعى الفرنسى قائلا : **ان قرارات البلدان المنتجة للنفط تفتح ثغرة جديدة فى نظام السيطرة الامبريالية . وهى توجه ضربة خطيرة لها . فلماذا لاتعتبر الجماهير العاملة فى بلادنا هذه الضربة مســـاهمة فى نضالها ضد رأس المال الكبير ؟ وفى مواجهة تحالف احتكارات النفط والدولة البرجوازية يقترح الشـــيوعيون تحالفا للقوى المعادية للامبريالية يطالب بتأميم احتكارات النفط .**

ادى « جوع النفط » الى تفاقم حاد للتناقضات بين الدول الامبريالية . ويبدو أن النفط لم يلعب أبدا مثل هذا الدور الكبير الذى يلعبه اليوم فى السياسة العالمية والعلاقات الدولية . ان الصراع من أجل النفط لم يؤد فحسب الى تفاقم العلاقات بين دول الغرب ولكنه تسبب كذلك فى تعميق الخلافات فيما بينها . **ان خوف غرب أوربا من فقدان النفط العربى كان من بين الاسباب التى دفعت بحلفـاء أمريكا فى حلف الاطلنطى الى رفض السماح لها باستخدام اراضيها لارسال الاسلحة الامريكية الى اسرائيل .**

واتضح أن أثر ازمة الطاقة على اقتصاد البلدان الرأسـمالية المختلفة تتباين لدرجة كبيرة من حيث قوتها . ولقد عانى الاقتصاد الامريكى أقل من غيره من ارتفاع أسعار النفط لانه لايعتمد بدرجة كبيرة على استيراد الوقود السائل . وتدعم مركز ميزان المدفوعات الامريكى لدرجة معينـة نتيجة لزيادة الطلب على الدولار ، باعتباره العملة التى يتم بها دفع الجزء الاكبر من عائدات الامتياز للدول الاعضاء فى الاوبك . وقد خلقت زيادة اسعار النفط المستورد لمستوى يزيد على الاسعار المحلية وتكاليف انتاج

الوقود الصناعي الدوافع الضرورية في البلاد لتطوير استخراج النفط والغاز الطبيعي وغيرها من أنواع الوقود . وأعلنت الحكومة تبنيها لبرنامج خاص يهدف الى تأمين الاكتفاء الذاتي لامريكا فيما يتعلق بالطاقة حتى ١٩٨٠ ، رغم أن الاقتصاديين الامريكيين يشكون في امكانية ذلك . وأدركت أوربا الغربية واليابان ضخامة المبالغ المخصصة لهذا المشروع . فخلال السنوات الخمس القادمة تنوى تلك البلدان تخصيص ١٥ بليون دولار من الاعتمادات الحكومية للابحاث والتنمية في مجال زيادة تطوير الموارد القائمة للطاقة وخلق موارد جديدة . ووعد راس المال الخاص باستخدام أكثر من ٥٠٠ بليون دولار لهذه الاغراض خلال السنوات العشر القادمة . ان امكانية المضى في عمليات تنمية واسعة للموارد القومية واستثمار مبالغ ضخمة في توليد الطاقة النووية يضع الولايات المتحدة في وضع أفضل من منافسيها .

لقد أثرت الازمة بشكل خيالى احتكارات النفط الامريكية . وأجبرت الاخيرة حكومات البلدان المستوردة على تقبل زيادة أسعار منتجاتها . ووصلت أرباحها في الولايات المتحدة من تشغيل أصولها القديمة الى ثلاثة أضعاف . وتدر حقول النفط الجديدة أرباحا أكبر . ويقول الاحتكاريون انهم سوف يستثمرون الآن عن طيب خاطر الاموال في تنمية صناعة النفط الوطنية ، بينما خلق تصريح الحكومة الامريكية برفع أسعار الغاز الطبيعي كذلك ، الظروف لاستثمار مواتى لراس المال في هذا الفرع من الصناعة .

وتواصل الاحتكارات الامريكية الاثراء من شحنات النفط الى بلدان غرب أوربا حيث يبلغ نصيبها في السوق على الاقل ٣٠٪ ، والى اليابان حيث تسيطر على نصف السوق . وهى تحصل وفق اتفاقات الامتياز مع بلدان الاوبك على النفط باسعار لاتزال تضمن لها أرباحا ضخمة . ونتيجة لذلك وصلت أرباح ٣٠ من كبريات شركات النفط في الولايات المتحدة الى ١٠ بلايين دولار عام ١٩٧٣ ، وهو مايزيد ٥٠٪ بالمقارنة مع العام السابق .

وأذهلت مؤامرات الاحتكارات حتى الاوساط الامريكية المتعقلة . ولفتت الفضيحة انتباه الكونجرس . وقال و . بروكسمير رئيس اللجنة الاقتصادية المشتركة للكونجرس أن أزمة الطاقة كانت في المحل الاول أزمة للمستهلكين لان شركات النفط تسرق منهم بلايين الدولارات . وأعلنت الحكومة عن نيتها في فرض ضرائب على الارباح الخيالية لشركات النفط . ولم تتخط الفضيحة بلدان غرب أوروبا واليابان ، فقد عرف الرأى العام في تلك البلدان بالاختلاسات والمضاربات الضخمة التى قامت بها الاحتكارات وخاصة الاحتكارات الامريكية .

والولايات المتحدة مستفيدة من الظروف القائمة تحاول في نفس الوقت أن تدعم مواقعها في علاقتها بمراكز القوى الاخرى في النظام الامبريالي ـ أوروبا الغربية واليابان . وبدأت على وجه الخصوص تلح بشدة على فكرة

ميثاق اطلسي جديد لكي تضمن سيطرة الامبريالية الامريكية في غرب اوروبا في الظروف الجديدة . وهي تحاول أن تحول لمصلحتها الموجة الجديدة لازمة النقد التي ولدها نمو أسعار النفط وتلح على اجراء اصلاح للنظام النقدي الرأسمالي ، لا يضعف ، وانما على العكس ، يقوى من مركز الدولار . وقررت الولايات المتحدة ان تفعل كل ما في وسعها كما تحافظ على استمرار سيطرة احتكارات النفط الامريكية في العالم الراسمالي وكي تواجه محاولات البلدان الاخرى تجاهل الاحتكار الدولي وتوقيع اتفاقات طويلة الاجل على وجه السرعة مع بلدان الاوبك لكي تمدها بالنفط مقابل السلع المصنوعة والخدمات . وهذه الصفقات التي تصل الى بلايين الدولارات تضعف من قوة الاحتكار الدولي ومن الشركاء الامريكيين في سوق النفط وتخلق الظروف لتدعيم مراكز منافسي الولايات المتحدة في المستقبل .

ولقد عارضت بلدان الاوبك بشدة محاولات التواطؤ بين الدول الامبريالية على حساب الغير . ونتيجة لذلك ينضج نزاع حاد جديد بين مجموعتى الدول . والسمة الخاصة التي تميز هـذا النزاع ، والتي تتضح أكثر فأكثر ، هي انه يتطور في ظروف تدعم مراكز عدد كبير من البلدان النامية التي حققت نجاحات معينة في النضال من اجل حقوقها .

ان البلدان النامية المصدرة للنفط قد عرضت للخطر كل نظام استغلال ثروتها من جانب رأس المال المالي الدولي وفي مقدمته نظام الامتيازات . وأممت العراق حصص الامريكيين والهولنديين في آخر امتيازات أجنبية للنفط باقية على أراضيها . كما أممت ليبيا عددا من امتيازات النفط الامريكية . وضمنت الكويت وقطر زيادة في حصة مشاركتها في رأس مال امتياز **النفط الانجلو أمريكي الى ٦٠٪** وفي نفس الوقت تطالب البلدان العربية الاخرى في منطقة الخليج الفارسي بالمثل . وتتصاعد في فنزويلا حركة التأميم العاجل لكل امتيازات النفط الاجنبية . **وقد نضجت الظروف** لذلك في كل مكان .

ان الدول الاعضاء في منظمة الاوبك بعد أن زادت سعر تصدير النفط ودخلها منه الى أربعة أضعاف قد ضمنت لنفسها الجزء الاساسي من فائض القيمة ، بل تقريبا كل الريع التفاضلي . ويضمن هذا الظرف انه مهما حدث في السوق من تقلبات فلن تنخفض أسعار النفط مرة أخرى الى مستواها السابق . ان عصر النفط الرخيص قد ولى الى الابد وأصبح في عداد الماضي .

وفسرت الدول الاعضاء في منظمة الاوبك الاجراءات التي اتخذتها على اساس أن الحاجة دفعتها اليها لوضع حد لنهب ثروتها الطبيعية من جانب الامبريالية التي فرضت عليها اسعارا منخفضة دون اعتبار للتضخم ولنمو اسعار السلع الصناعية التي تستوردها من الدول الرأسمالية المتطورة

اقتصاديا . لقد زادت اسعار السلع الصناعية التى تصدرها دول غرب اوروبا واليابان ثمانية اضعاف تقريبا خلال العشرين عاما الماضيه ، مما حول صحف الشرق الاوسط . وحققت تلك الدول ربحا صافيا بلغ حوالى ٢٦ بليون دولار عام ١٩٧٣ .

ان دول الاوبك بزيادة دخلها من النفط قد حلت مشكلة التراكم التى كانت حادة بالنسبة لها . وربما تنمو أرباحها خلال العام الحالى أربع مرات بالمقارنة مع العام الماضى حيث بلغت حوالى ٢٠ بليون دولار ، كما قدرها البنك الدولى للانشاء والتعمير . ولقد بلغت الموارد الذهبية والنقدية للبلدان المصدرة للنفط وحدها ١٦ بليون دولار . ان نمو مداخيل النفط تخلق ظروفا لتطور القوى المنتجة لتلك المجموعة من الدول التى تضم بلدانا بدأت السير فى الطريق غير الرأسمالى .

ان مشكلة الاستخدام المرشد لمداخيل النفط الضخمة تواجه الآن البلدان الغنية بالنفط . ومن الواضح أن جزءا من هذه الاموال لن يجد الفرصة لتوظيفه فى عدد من البلدان بسبب ضيق السوق الداخلية . ولهذا السبب يامل الغرب فى أن تتدفق هذه الأموال الفائضة الى البلدان الراسمالية المتطورة اقتصاديا ، وأن تستثمر فى سندات واسهم الشركات المختلفة ، مما يجعل فى الامكان الاحتفاظ ببلدان العالم الثالث فى فلك الاقتصاد الراسمالى العالمى . وكما يرى الاستراتيجيون الغربيون ، فان تصدير رأس المال بهذه الطريقة سيؤدى الى التحام رأس المال الاحتكارى مع العائلات العشائرية الحاكمة فى بعض البلدان المنتجة للنفط ، والى انقسام فى صفوف الدول الاعضاء فى الاوبك ، والى اضعاف النضال المعادى للامبريالية . وتامل الدوائر الرجعية فى الاستفادة من معونة بعض البلدان الغنية بالنفط للبلدان النامية الافقر (سواء بشكل مباشر أو من خلال الاموال المودعة فى البنوك الدولية) لتدعيم النظام الرأسمالى فى العالم الثالث .

ويلاحظ أن هناك الآن نشاط قوى غير عادى للشركات الغربية فى البلدان المصدرة للنفط فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا . وتريد هذه الشركات ان تسيطر على أكبر عدد ممكن من بناء المشاريع التى تستهدفها خطط التنمية الاقتصادية فى هذه البلدان . وتعرب الشركات الامريكية والاوروبية الغربية واليابانية الآن عن استعدادها لان تبنى فى هذه البلدان مصانع للتعدين ومصانع بتروكيماوية وغيرها مما سيسهل بالطبع التنمية الاقتصادية لولا الرغبة التى تكمن خلف هذه العروض فى تكبيل هذه البلدان بجعلها تعتمد عليهم فى تقديم التجهيزات والاخصائيين وتسويق منتجاتها . والاحتكارات لاترغب فقط فى تحقيق الارباح من مشاريع التنمية الاقتصادية فى العالم العربى ولكنها تريد كذلك أن تفرض سيطرتها على تنفيذ تلك المشاريع .



إعادة بناء القرية المصرية

"نظرة استراتيجية حضارية شاملة"

بقلم : دكتور محمد محمود عبد الرءوف

طرحت ورقة أكتوبر ، التى قدمها السيد الرئيس أنور السادات للشعب المصرى فى ١٨ ابريل عام ١٩٧٤ ، من بين المهام المطروحة امام الشعب المصرى فى المرحلة المقبلة ، الاعداد لمصر عام ٢٠٠٠ حتى نوفر اسباب استمرار التقدم للاجيال القادمة . كما جاء فى معرض حديثها عن رسم استراتيجية حضارية شاملة ، اتناكيد على اهمية اعادة بناء القرية المصرية . ومع تاكيدنا على اهمية القطاع الريفى حاليا ومستقبلا ، فان هذا القطاع لابد وان تشمله ايضا هذه الاستراتيجية الحضارية ، حتى يمكن اقامة مصر المتقدمة بكل اجزائها .

والهدف الاستراتيجي المطروح أمام تطوير المجتمع الريفي المصرى هو بحق ، **ايجاد التقارب بقدر الامكان وبصفة مستمرة بين القرية والمدينة المصرية (١) ، ليس هذا عن طريق تجميد المدينة المصرية ومحاولة تطوير القرية لكي تلحق بها ، ولكن عن طريق الاستمرار في تطوير الاثنين معا، على أن تحظى القرية بمعدلات نمو أسرع لكى تلحق بالمدينة في مدى زمنى محدد.** وتحديد المدى الزمني اللازم لهذه العملية ذو أهمية قصوى ، حتى يمكن وضع البرامج الكفيلة بتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي ، لكى يؤتى ثماره قبل أن تتجاوزه طبيعة العصر المتقدمة السريعة الحركة .

واذا كان هذا هو الهدف الاستراتيجى ، فان الوصول اليه ، لن يكون الا عن طريق اعادة بناء الفلاح المصرى (٢) ، أى **اعادة بناء اقتصاد القرية المصرية (٣) والمدخل لهذا كله هو التحديد المسبق لنوعية الزراعة المطلوبة في المستقبل طويل الاجل** فى ضوء الاستراتيجية الشاملة لاعداد مصر لعام ٢٠٠٠ . اذ أنها المنطلق لتحديد نوعية الفلاح المطلوب لهذه الزراعة ، وبالتالى تحديد نوعية القرية المطلوب تواجدها في الريف المصرى لخدمة التطور الاقتصادى والاجتماعي والسياسى للمجتمع المصرى بعد ذلك .

واذا كانت المدينة المصرية والتجمعات الصناعية المصرية الكبرى تتجه فى مرحلة التحول الى المجتمع الاشتراكى وفقا لنمو قوى الانتاج الصناعية ، حيث تقوم الصناعة الحديثة والمملوكة للشعب فى كل مكان على أرض مصر ، وتتطور علاقات الانتاج داخل هذا القطاع وفقا للمبادىء الاشتراكية ، فان القرية المصرية ، سوف تتطور بحكم حركة التاريخ وأولوية التطور الصناعى ، ولضمان النمو المتوازن للمجتمع ، وحسب طبيعة الاهداف المحددة سابقا للمجتمع الى قرية تعمل فيها قوى الانتاج المتطورة وكذلك تسود فيها علاقات انتاج تتطور وفقا للمبادىء الاشتراكية .

---

(١) لقد نص الميثاق على أن « وصول القرية الى المستوى الحضارى ليس ضرورة عدل فقط ولكن ضرورة أساسية من ضرورات التنمية .. ان هدفا اساسيا من اهداف التنمية لابد وأن يكون تذويب الفوارق بين القرية والمدينة » .

(٢) لقد كان تقييم القيادة السياسية للوضع الراهن للفلاح المصرى هو الذى حدد لنا طريق الوصول الى الهدف الاستراتيجى عن طريق اعادة بناء هذا الفلاح حيث ذكر برنامج العمل الوطنى « اننا لا يمكن ان نتكلم عن الدولة الجديدة للمجتمع الاشتراكى ، طالما ظلت حياة الفلاح منتج الغذاء للملايين والخامات للعاملين بالصناعة على ما هى عليه .. ان اسلوب الحياة اليومية لفلاحينا الذين يكونون غالبية الشعب لم يلحقه تغيير حقيقى لا فى وسائل واسلوب الانتاج ، ولا فى السكن والغذاء والصحة والتعليم ولا فى تحصيل العلم والثقافة . »

(٣) لقد ذكر برنامج العمل الوطنى فى هذا المجال « ان حجر الزاوية فى بناء الدولة الجديدة هو القرية الحديثة التى توفر لكل فلاح المسكن الصحى الحديث المزود بالماء والكهرباء والتى تمده فى يسر وبدون استغلال بالخدمات الصحية والثقافية والترويحية ، التى تخفف عن طريق تزويده بالالات من مشاق العمل اليدوى » .

وتطوير اقتصاد القرية لن يتم بدون استخدام مستحدثات العلم والتكنيك الزراعيين ، أى بدون الزراعة العصرية باستخدام الآلات والجرارات والكيماويات والتنظيم العلمى للزراعة ، أى تحديث العملية الانتاجية ، وتحديث العملية الانتاجية لن يتم أيضا فى ظل الظروف الراهنة للزراعة المصريه ، أى فى ظل الصغر المتناهى والمستمر للمزرعة المصريه ذات الكفاءة الانتاجيه المنخفضة . **أى ان المدخل لتطوير اقتصاد القرية هو زيادة حجم المزرعه وتحديث العملية الانتاجية بها . ومن ثم فان الواجب أن يكون شكل التطور المرغوب فيه للزراعة المصرية هو خلق القرية الاشتراكية (١) ، اى ان عملية التحول الاشتراكى فى الزراعه المصرية ستزداد عمقا واتساعا وسوف تصبح علاقات الانتاج الاشتراكية هى السائدة فى الريف المصرى ، اى ستكون لدينا فى نهاية هذه المرحلة شكلما من الزراعة التعاونية الانتاجية ذات حجم المزرعة الواسع والتكنيك المتقدم والتى تنتج أساسا للسوق وليس للاستهلاك الذاتى والتى ستكون فيها الملكية التعاونية لوسائل الانتاج الزراعى هى الاساس . وهنا فان مجموعة المتطلبات التى تحتاجها عملية اعادة بناء القرية المصرية الاشتراكية تختلف عن ماهو متصور فى أذهان الكثيرين فى الوقت الحاضر .**

واذا اتفقنا على هذا المنطلق لمعالجة استراتيجية نمو المجتمع الريفى ، فان الجانب الفنى والهندسى فى عملية بناء القرية يترك مكانه فى المقدمة لمجموعة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لابد من التصدى لحلها لتحقيق الهدف الاستراتيجى من عملية اعادة بناء القرية المصرية ، وهو ماسوف نحاول ان نلقى الضوء عليه فيما يلى :

أولا : سنبدأ بطرح مجموعة من المشاكل التى ستعترض عملية اعادة بناء القرية المصرية فى ظروفها الراهنة وبالمفهوم المطروح لهذه العملية ، الا وهو بناء منزل الفلاح الحديث المجهز بالمرافق ومد القرية بالخدمات الصحية والثقافية والترفيهية ، وسنكتفى بطرح هذه المشاكل ومناقشة بعض جوانبها الهامة ، ولن يسعنا فى هذا المجال اكثر من ذلك ، ولكن ستبقى هذه المشاكل فى حاجة الى بحث مستفيض للوصول الى حلول جذرية لها :



اعادة بناء القرية المصرية ، اذا كان عن طريق بناء قرى جديدة ، سوف يطرح مشكلة زحف المبانى على أخصب الاراضى الزراعية، ويكفى أن نعرف انه فى خلال العشر سنوات الاخيرة كان معدل

---

(١) اننا هنا نسعى الى المفاضلة بين اساليب تنمية القرية فى النظم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، اذ ان مواثيق الثورة المصرية وما ارتضته جماهير شعبنا ووافقت عليه فى كل من الميثاق وبيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى وورقة اكتوبر ، تنص على اختيار اسلوب النمو الاشتراكى طريقا للتنمية وخروجا من التخلف بهدف بناء المجتمع الاشتراكى المتقدم .

زحف المباني والمشروعات العامة على الاراضي الزراعية حوالى ٦٠ الف فدان سنويا من اخصب الاراضي الزراعية وذلك لتصريح السيد الدكتور وزير الزراعة في السياسة الزراعية المقدمة في يوليو ١٩٧٣ ، وهذا معناه الحاجة الاكيدة الى ثلاثة اضعاف هذه المساحة من الاراضي الجديدة وفورا لتغطية هذا العجز وللمحافظة على النسبة السكانية الارضية دون أن تتدهور .
هذا بالاضافة الى ان المساحة المخصصة للاسكان الريفي لكل فرد في القرى المتواجدة حاليا والتى قدرت مابين ٢٠ ـ ٢٥ م٢ تعتبر مساحة ضئيلة جدا وغير كافية لأى اسكان صحى ، وان قرى المناطق الجديدة في الأراضي المستصلحة في النوبارية قد خصصت حوالى ٦٥٫١م٢ لكل فرد شاملة الاسكان والطرق والخدمات والحدائق والمساحات الممنوحة ، وأن هذه المساحة ارتفعت الى ١٠٢ م٢ في منطقة النوبارية الجديدة . وبأخذ الرقم المتوسط المتحصل عليه من تحليل القرى في المناطق الجديدة وهو حوالى ٦٨ م٢ لكل فرد ، واذا عرفنا أن عدد سكان الريف سوف يصل وفقا للتقديرات المتوسطة لمعدل نمو السكان الى حوالى ٢٣٫٣ مليون فرد عام ٢٠٠٠ (١) وهؤلاء الافراد يحتاجون للاسكان والمرافق في الشكل الحضارى المناسب لهذا العصر الى حوالى ٤٠٠ ألف فدان سوف تقتطع من الاراضي الزراعية منها حوالى ١١٥ ألف فدان هى مساحة القرى الحالية ، وبذلك تبقى مساحة ٢٨٥ ألف فدان مطلوبة للتوسع العمرانى الريفى خلال هذه المدة .

كما أن الجانب الآخر من هذه المشكلة وهو أن التوسع العمرانى الريفى وفقا للنمط الاسكانى المطروح حاليا (وهو منزل مستقل لكل فلاح بجانب التوسع العمرانى الحضرى ولاغراض التنمية) سوف يطرح مشكلة نزع الاراضي الزراعية على نطاق واسع وزيادة عدد المعدمين وظهور المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الخطيرة المصاحبة لهذه العملية ، خاصة وأن معدلات استصلاح الاراضي لاتفى بتعويض هؤلاء الافراد عن أراضيهم ، كماأن معدلات نمو الاقتصاد خارج قطاع الزراعة لاتمكن من امتصاص فائض قوى العمل الجديد هذا .



اذا كانت عملية بناء القرية سوف تتم في مكان القرية القديمة مع أخذ التوسيعات لتوفير الاسكان الصحى والمرافق والخدمات .. الخ في الحسبان ، على أن تتوسع القرية في الاراضي المجاورة لها . فاننا سنواجه بالمشاكل التالية ، مشكلة نزع ملكية الاراضي المجاورة ومن يدفع

---

(١) سوف يصل سكان الحضر وفقا لهذه التقديرات الى حوالى ٤٢٫٦ مليون فرد وما سوف يترتب على ذلك من اقتطاع مساحات جديدة للاسكان الحضرى والتوسع العمرانى .

التعويض لأصحابها ، كذلك مشكلة من سنبدأ بهدم منزله وبناء منزل جديد له،وهل موقع القرية ونوعية المنازل الموجودة بهاحاليا مناسبة لنوعية الخدمات التى سوف تقدم وفقا لهذا المشروع كما أن هناك حقيقة واضحة تظهرها احصاءات الإسكان الريفى الحالى يتضح منها مايلى :

- ٧٤٫٣٪ من جملة المساكن الريفية بمساحة اقل من ١٠٠ م٢ اى أن اسكانها فى حالة اسكان سىء للغاية .

- ٤٩٪ من جملة المساكن الريفية مكونة من حجرة او حجرتين مع أن متوسط عدد الافراد فى الاسر الريفية يتراوح حول ٦ افراد لكل اسرة ، كما تقدر كثافة الاسكان بحوالى ٣٫٢ فرد لكل غرفة فى الاسكان الريفى فى المتوسط .

- ٦٤٪ من جملة المساكن الريفية مكونة من دور واحد .

- ٨٧٫٩٪ من جملة المساكن الريفية مبنية بالطوب اللبن

- ٨٨٫٣٪ من جملة المساكن الريفية مسقوفة بجذوع النخيل والاشجار ولياسة من الطين .

- ٣٧٫٥٪ من جملة المساكن الريفية بها مرحاض .

- ٣٫٤٪ من جملة المساكن الريفية بها حمام .

- ٤٫٤٪ من جملة المساكن الريفية بها مطبخ .

- ٩٥٪ من جملة المساكن الريفية ذات أرضية ترابية .

من هذه الارقام يتضح لنا أن مسـألة اعادة بناء الغالبية العظمى من مساكن الفلاحين هى فى حكم المفروض وأن البحث عن مكان البناء او أولويات البناء عمل فى غاية الاهمية ولابد من البحث بعناية قبل تقرير ذلك مراعين الاعتبارات السابق عرضها .

٢ شكل المنزل وحجمه ، وفى هذا فان نظرة على التـركيب الاجتماعى للقرية المصرية تضعنا أمام مشكلة محيرة ، هل يتسـاوى منزل العامل الزراعى مع منزل الفلاح الفقير مع منزل طبقة متوسطى الفلاحين أو منزل طبقة أغنياء الريف والعمد والمشايخ ومن على شاكلتهم أى هل سنعيد بناء القرية بشكلها الطبقى حاليا ؟ ان الرد على هذا السؤال هو فى التحديد المسبق لشكل الزراعة فى المستقبل فى اطار الاستراتيجية

الشاملة للنمو . ان طبيعة الاهداف المحددة لتطور مجتمعنا تتعارض مع هذا الشكل ومن ثم وجب البحث على مخرج مرحلى لهذه المشكلة .

٤ من سيتحمل تكلفة البناء ؟ . الدولة أم الافراد أم بجهود مشتركة من الطرفين ،اذا قامت الدولة بالبناء فمعنى هذا ، باعتبارها الممثل للامة والمنفذ لاهداف المجتمع المستقبلية ، انها سوف تبنى منزلا موحدا لكل الفلاحين باختلاف طبقاتهم ، وفى هذا مشكلة حيث سيتعارض مع المكانة الاقتصادية والاجتماعية لافراد القرية الاغنياء . وحتى اذا افترضنا قيامها ببناء منزل موحد لكل المشتغلين بالزراعة وهم مايقرب من خمسة ملايين أسرة ، سوف تزداد فى المستقبل ، اى أنها مبدئيا مطالبة ببناء ٥ ملايين منزل على الاقل وبمتوسط ٧٠٠ جنيه للمنزل الواحد (حسب تكاليف القرى المبنية فى الاراضى الجديدة بمرافقها ومع افتراض ثبات التكاليف عند مستواها فى عام ١٩٧٢ ، فان الدولة محتاجة لاتمام هذا المشروع الى ٣٥٠٠ مليون جنيه . وهذا المبلغ ثلاثة أضعاف ونصف المبلغ المقدر لهذا المشروع ، أى بمعدل ١٤٠ مليون جنيه سنويا خلال الخمس والعشرين سنة القادمة ، وهى أكبر بكثير من أن يتيحها اقتصاد فى حالة التنمية كما هى الحال عندنا . أما اذا ترك لكل فرد أن يبنى منزله وفقا لتخطيط معين تحدده الدولة ، فان هذا سيبطىء المشروع بل ربما يحوله الى مجرد حبر على ورق .

أما اذا تقرر تنفيذ هذا المشروع بالمشاركة بين الدولة والافراد كأن تقوم الدولة بعمل رسم محدد للمنزل حسب نوعية الفلاح . بحيث يقوم الفلاح بمراعاة الشروط العامة فى تصميم المنزل والتى لها علاقة بالمرافق العامة والخدمات الشبكية مع ترك الحرية لكل فرد فى تحديد عدد الحجرات والمساحة الكلية للمنزل (مع ضمان الا تقل المساحة المخصصة لكل فرد عن الحد اللازم للاسكان الصحى) كل حسب ظروفه ، ويمكن أن تساهم الدولة بتوصيل مواد البناء بسعر مخفض لكل من يرغب فيها مثلا ، مثل هذا الوضع ولو أنه سيخفف العبء كثيرا عن كاهل الدولة الا أنه يعنى أن الافراد القادرين على الاستفادة من مساهمة الدولة هم الذين سوف يعيدون بناء منازلهم ، وهم فى الاغلب طبقة أغنياء الريف وجزء قليل من متوسطى الفلاحين ، وهم فى الحقيقة يعيشون فى المنازل الافضل حالا وتجهيزا فى القرية المصرية . فى حين ستبقى منازل فقراء الفلاحين والعمال الزراعيين بلا اعادة بناء لانهم غير قادرين على توفير أى مبالغ لاعادة بناء منازلهم ، وهم مع أسرهم يكونون الاغلبية المطلقة لهذا الشعب .

٥ ان عدد التجمعات السكانية فى الريف المصرى حوالى ٢٨٫٠٠٠ تجمع سكانى، مكونه من قرى كبيرة وصغيرة وعزب وكفور تجمعهم كلها حوالى ٤٠٠٠ تجمع ادارى ، أى أن كل قرية يتبعها فى المتوسط

حوالى ٧ عزب أو كفور او نجوع حسب مسمياتها وهذه التجمعات الادارية تتوزع حسب تعدادها السكاني وفقا للجدول التالى :

عـــد السكان	النسبة المئوية	عدد القرى
تجمعات ادارية عدد سكانها اقل من ١٠٠٠ نسمة	٩١ر١ ٪	٣٦٥
تجمعات ادارية عدد سكانها اقل من ١٠٠٠ ـ اقل من ٢٠٠٠ نسمة	٥٢ر١٩ ٪	٧٨٣
تجمعات ادارية عدد سكانها اقل من ٢٠٠٠ اقل من ٥٠٠٠ نسمة	٠٧ر٤٤ ٪	١٧٦٨
تجمعات ادارية عدد سكانها اقل من ٥٠٠٠ ـ اقل من ١٠٠٠٠ نسمة	٥٨ر٢٢ ٪	٩٠٧
تجمعات ادارية عدد سكانها اكثر من ١٠٠٠٠ نسمة	٧١ر٤ ٪	١٨٩
جملة	١٠٠ ٪	٤٠١١

اى أنه ليس صحيحا أن اعادة بناء القرية المصرية ستقتصر على ٤٠١١ قرية هي عدد قرى مصر ، بل ان هناك ٢٨٠٠٠ تجمع سكاني ريفي تحتاج الى اعادة البناء . وفى هذا الصدد ستنشأ مشكلة تجميع هذه التجمعات السكانية فى قرى كبيرة بعد ازالة العزب والكفور والنجوع يمكن مدها بخدمات الطرق والانارة والمياه والمجارى والتعليم والصحة والنشاط الاجتماعى والثقافى والرياضى والدينى والسياسى . كما أن اختيار موقع هذه القرى الجديدة سوف يشكل صعوبة كبيرة . ولابد من أن يرتبط بسياسة نشوء المدن الجديدة والتوزيع الاقليمي للانشطة الاقتصادية وتكاليف مد الخدمات الشبكية السابق الاشارة اليها . وسوف يترتب على ذلك ابتعاد عدد كبير من هؤلاء الافراد عن أماكن عملهم أو مزارعهم كما أن مشكلة تعديل خطوط الطرق والمياه والكهرباء للوصول الى مواقع القرى الجديدة تحتاج الى دراسة مستفيضة .

٦ اختلاف طبيعة الظروف الطبيعية التى تتواجد فيها القرى فمثلا قرى الصعيد حيث درجة الحرارة المرتفعة والمناخ الجاف تحتاج الى نوع من المساكن يختلف فى تصميمه ومواد بنائه عن أنواع المساكن التى تلائم مناخ مناطق شمال الدلتا والمناطق الساحلية الاخرى حيث المناخ الرطب والجو غير شديد الحرارة واكبر دليل على تأثير الاختلاف فى طبيعة المنزل الريفى هو ما نجده حاليا من اختلاف بين شكل المنزل الريفى فى كل من الصعيد والوجه البحرى ، وهذا ما يطرح ضرورة مراعاة هذه الظروف عند اعادة بناء القرية المصرية .

٧ الخامات التى سوف تبنى منها القرى . وفى هذا نجد اننا امام مجموعة من المشاكل التى لابد من التصدى لها بالبحث والدراسة والتغلب عليها . فمثلا أصبح من غير المرغوب فيه استعمال الطوب الاحمر فى البناء حيث ان انتاجه حاليا مع توقف ورود طمى النيل ، مرهون

بالضياع المستمر للطبقة الخصبة من الاراضى الزراعية التى تستعمل فى انتاج هذا الطوب ، لذلك لابد من البحث عن انواع أخرى ، وأمامنا مثلا فى الوجه البحرى وفى المناطق البعيدة عن مصادر الرمل الاصفر على مشــارف الدلتا ، يمكن الاستعانة بالطوب الاسمنتى المفرغ فى البناء ، اما فى المناطق القريبة من مصادر الرمال الصفراء يمكن تصنيع الطوب الرملى ، وفى الوجه القبلى يمكن الاستعانة بالحجر الجيرى المتوافر فى السلاسل الجبلية المحيطة بوادى النيل فى توفير مادة البناء لاعادة بناء قرى الصعيد . ان هذه مشاكل تستحق الدراسة .

كذلك يجب التنويه مقدما بأن مادة الطين أصبحت بحكم ظروف العصر غير صالحة بتاتا لاعادة بناء القرية المصرية ، اذ أن منازل هذا النوع لاتتحمل ادخال الخدمات الحديثة من مياه ومجارى لتأثر هذه المنازل برشح المياه ، ولانها لاتعمر طويلا ، ناهيك عن أن هذه المبانى لاتتحمل بناء الادوار العليا وبالتالى تعوق عملية توسع الطاقة الاسكانية للقرية رأسـيا والتى تمنع الاعتداء المستمر على الاراضى الخصبة الزراعية من أجل مزيد من بناء المساكن .

٨ شكل وحجم المنزل الذى سوف يتأثر بوجود الحيوان الزراعى من عدمه داخل هذه المساكن وفى هذا الشأن لابد من الاستقرار على حل يرضى الفلاح ويطمئنه على حيواناته اذا تركت خارج منزله فى حالة اذا ما اقترح انشاء حظائر مشتركة لحيوانات القرية . ان هذا متعلق ايضا بالشكل المحدد مسبقا لتطور الزراعة فى المستقبل .

٩ مشكلة مواد الوقود اللازمة للاغراض المنزلية اذ ان الفلاح يستخدم مخلفات الزراعة ويخزنها فوق أسطح المنازل لمده بالطاقة الحرارية اللازمة للاغراض المنزلية ، وفى حالة تصميم المنزل بحيث لا يسع هذه المواد فلابد من حل مشكلة الوقود ، وذلك باحـلال مواقـد الكيروسين أو الكهرباء ، وهذا سيلقى على الصناعة عبء تطوير وانتاج مثل هذه الاجهزة وبأسعار رخيصة جدا ، كما أن تطوير اقتصاد الفلاح لكى يتمكن من استعمال هذه الاجهزة شىء ضرورى .

١٠ عملية التنسيق بين التخطيط الاقليمى للتنمية والتوطن الصناعى وكهربة الريف وأعادة بناء القرية المصرية ، حيث ستؤدى عملية تطوير الزراعة تكنيكيا وزيادة الانتاج الزراعى المســوق ، وتغير التكوين المحصولى الى توطن صناعات جديدة ووجود خطط تنمية اقليمية وفقا لذلك ، وعلى ذلك يصبح اقامة هذه الصناعات ومدها بخدمات الطرق والانارة والطاقة المحركة والمياه والمجارى افيد اقتصاديا لها ولمشروع اعادة بناء القرية المصرية اذا تم ذلك فى اطار كل متكامل موحد . كما أن نوعيات القـرى ستختلف باختلاف التكوين المحصولى ، حيث ستتأثر منـازل الفلاحين

ومبانى الخدمات والمخازن ... الخ باختلاف نوع المحصول الرئيسى المنزرع فى المنطقة ، ومن ثم فانه سوف يكون هناك اختلاف نوعي بين قرى مناطق القطن ، أو الارز ، أو القصب ، أو الفاكهة .. الخ كما أن تغير مصـــدر الطاقة المحركة بناء على مشروع كهربة الريف سوف يغير ثوريا فى شكل مرافق الخدمات ونوعية الآلات والمعدات اللازمة للزراعة المصرية . ومن ثم تغيير أشكال المخازن والورش وحظائر هذه الآلات والمعدات .

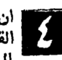
كل هذه المشاكل السابقة وغيرها تحتاج الى البحث قبل البدأ فى تنفيذ هذا المشروع الحضارى ، وهى توضح بجلاء صعوبة بناء القـرية بالمفهوم المطروح حاليا . والآن سنحاول طرح استراتيجية حضارية شـاملة بديلة لهذا المفهوم ويمكن ـ حسب تصورنا ـ أن تؤدى الى تنفيذ هذا المشروع والوصول به الى هدفه الاستراتيجى .

ثانيا : واذا سرح بنا الخيال وتصورنا تطوير القرية المصرية نحو اقامة القرية الاشتراكية والتى تسود فيها علاقات الانتاج الاشتراكية ، فان حجم المزرعة المنشود لن يتحقق الا فى صورة ما من التعاون الانتاجى . وتطوير اقتصاد القرية وفقا للزراعة التعاونية يمكن ان يجعل حلول هذه المشاكل السابق طرحها اكثر معقولية وفى متناول اليد . كما أن متطلبات اقامة هذه القرية ستكون متاحة وبأقل تكلفة ممكنة ، وهذا ماسوف نحاول سرده فى النقاط التالية :

١ الزراعة التعاونية ذات المستوى التكنيكى المرتفع التى سوف يتم الانتاج فيها تعاونيا فى مزارع واسعة سوف تزيد من كمية السلع الزراعية القابلة للتسويق ، وبالتالى ستصبح الزراعة موجهة للانتاج التجارى ، ومن ثم سيزداد ارتباط الفلاحين بالسوق المحلية والدولية ، وسيؤدى ذلك الى ظاهرة التخصص فى الزراعة . ان هذا سوف يخلص منزل الفلاح من مبانى الخدمات الضرورية له حاليا . حيث لن يحتاج الى مخازن خاصة ، بل سيكون التخزين فى مخازن الجمعية التعاونية . كما أن مواشى القرية كلها ستكون فى اسطبلات مجمعة وكذلك الآلات . كما أنه لن يحتاج الى فرن لخبز العيش ومواقد توقد بالقش والاحطاب ومخلفات الزراعة ، حيث ستجد هذه المخلفات طريقها الى التصنيع الزراعى ، ومن ثم سيكون منزل الفلاح للسكن فقط . كما أنه سوف يتم توفير الوسائل لنقل الفلاح الى مكان عمله بالمزرعة ، كما أن انشاء الطرق المزرعية أو الموصلة من المزرعة الى الطرق العامة سيكون اكثر سهولة ويسرا ، وسوف يتناسب مع تنوع الآلات والماكينات ووسائل النقل المستعملة فى الزراعة .

٢ ان تخصيص منزل الفـلاح للسـكن سوف يسـتدعى أن يكون فى القرية مصادر تمويل المعيشة مثل محلات البقالة التعاونية التى تمد الفلاح بكل احتياجاته وكذلك وجود المخبز الخاص بخبز العيش أو وجود العيش جاهزا فى مجمعات البقالة هذه .

٣ ان وجود مثل هذه الصورة يجعل من الممكن التوسع رأسيا فى القرية ، أى بناء عمارات سكنية للفلاحين كل يختص بمسكن (شقة فى العمارة) وبالتالى يمكن التوفير فى مساحة الارض وكذلك يمكن التوسع كلما لزم الامر ببناء عمارة جديدة لاسكان عشرات من الفلاحين أو الاسر الجديدة . أن هذا الوضع بجانب توفيره للارض الزراعية سوف يوفر تكاليف كبيرة فى المبانى ، وفى توصيلها بالخدمات اللازمة مثل الانارة والمجارى والمياه ، كما سيؤدى الى توافر الجماعة بين الفلاحين لسكناهم المشترك فى وسط الجو الريفى ، كما أنه من الممكن عمليا ضغط عدد القرى من ٤٠٠٠ قرية تضم معها ٢٨٠٠٠ تجمع سكانى ، الى ٢٠٠٠ قرية مركزية تشمل مدنا ريفية حديثة .


ان هذا التوفير فى المبانى والخدمات سيجعل من الممكن بناء نادى القرية وتوفير كل الخدمات الثقافية والترفيهية فيها ، بجانب الخدمات الصحية والتعليمية التى يمكن توفيرها فى مدن ريفية صغيرة حديثة .

٥ ان هذا النوع من الزراعة التعاونية سوف يجعل اعادة بناء القرية المصرية اكثر سهولة وأقل تكلفة . فمثلا سوف يسهل على الدولة أن تضع تصميما وتخطيطا موحدا لكل القرى من ناحية الشكل العام يلتزم به كل اهالى القرية ، كما سيسهل ضم التجمعات السكانية فى قرى رئيسية مجمعة . كما ان التخصص فى الزراعة سيجعل من السهل توفير عدد من فلاحى القرية وتعليمهم وتدريبهم على حرفة البناء الحديث حيث يمكن لهذه الفرقة النهوض بأعباء بناء مجموعة العمارات اللازمة لاسكان كل أهالى القرية ، وكذلك بناء باقى المخازن والاسطبلات والحظائر والنوادى ومحلات البقالة وغيرها . وفى هذا يمكن أن يضطلع أهل القرى بالجهود الذاتية بعملية البناء نفسها ، وأن تمدهم الدولة بقروض (تعطى للتعاونية ذاتها من أجل هذا الفرض) من أجل شراء مستلزمات البناء ، مثل هذا الموقف سوف يرفع عن كاهل الدولة هذا العبء الهائل ، وسوف يدخل بجماهير الفلاحين فى صلب هذه العملية حيث يمكن اقناعهم بها وزيادة الحوافز لديهم من أجل هذا العمل وكسبهم للمشاركة فيه بايجابية .

٦ رغم أن هذا الشكل من التنظيم لاعادة بناء القرية المصرية يبدو اكثر بعدا وتصورا فى الوقت الحاضر الا أنه فى الحقيقة أقرب الاشكال الى التنفيذ اذا أردنا فعلا بناء القرية المصرية وفقا للاسس العصرية

بحيث نضمن أن تتطور هذه القرية ذاتيا فى المستقبل ولا تتدهور الى الوراء[1] كما أن هذا الشكل لا يمكن القيام به دفعة واحدة ولكن بالتدريج مع تحديد فترة زمنية لا يمكن أن يتعداها تنفيذ هذا المشروع (حوالى ٢٠ — ٣٠ سنة) ولكن سوف يظل هذا الطريق هو أسهل الطرق واقربها الى الواقع رغم عدم امكان تخليه فى الظروف الراهنة ، ولا يسعنا الا أن نبدأ فقط ونحرك الجماهير مستغلين جميع الاجهزة التنفيذية والشعبية والسياسية لهذا العمل .

ولا يجب أن ننسى أن هذا العمل هو عمل جماهيرى فى الاساس حيث يمس صميم حياة أغلبية هذا الشعب ولابد من تعبئة جميع الجماهير وراءه.

تبقى بعد ذلك مجموعة المشاكل التى لا يمكن تنفيذ مشروع اعادة بناء القرية المصرية الا بتعاصر حلولها مع فترة تنفيذ هذا المشروع ان لم تكن من الضرورى أن تسبقه لتضمن له النجاح الفاصل ألا وهى :

١ — القضاء على الامية فى الريف ومنع حدوثها فى المستقبل اذ أنه لا يمكن تطوير اقتصاد القرية بدون ثورة ثقافية تفتح الطريق للفلاح المصرى للاطلاع على مستحدثات العلم والتكنيك الزراعى .

٢ — تطوير علاقات الانتاج فى القرية المصرية نحو الزراعة التعاونية والانتاجية .

٣ — تطوير قرى الانتاج بالاستفادة من منجزات العلم والتكنيك ومن كهربة الريف .

---

(١) بدراسة تجارب بناء القرى الجديدة فى مصر ، مثل قرى مشروع أبيس مثلا ، نجد ان التقسيم المبدئى للمنزل تم بدون مراعاة لمدى تطور الاقتصاد الفلاحى فى ذلك الوقت ، وكذلك بدون الارتباط بشكل الزراعة فى المستقبل فى هذه المنطقة ، فكان «المنزل لا يحتوى على حظيرة للمواشى ولا فرن للخبيز ولا مكان لتشوين مواد الوقود ولتخزين الحبوب ومواد المعيشة على مدار السنة » وحينما تم تمليك هذه الاراضى للمعدمين ، ونظرا لكونهم ملاكا فرديين لا تربطهم المعيشة الجماعية، فقد تصرف كل فلاح فى منزله وفقا لمقتضيات اقتصاده الفلاحى الفقير فقد هدم الجدار الخلفى للمنزل وأدخل حيواناته فى المكان المخصص للصالة بين الحجرتين كذلك قام ببناء فرن فى الفراغ المخصص له خلف المنزل ، وتم تشوين مواد الوقود فوق المنزل وبناء صوامع طينية لتخزين الغلال ، ويرجع هذا التشويه الذى حدث فى منزل الفلاح ورجوعه الى شكل المنزل التقليدى الى ان التصميم لم يكن يتناسب مع طبيعة الاقتصاد الفلاحى المقترح لهذه الاراضى الجديدة » لذلك لابد من مراعاة العلاقة بين تصميم المنزل المقترح وشكل الزراعة المقترحة والمستقبلة منعا للتعارض بين هذا المنزل وطبيعة الاقتصاد الفلاحى القائم عليه ضمانا لعدم تدهور المنزل والعودة الى شكل القرية القديمة المتخلفة .

٤ ـ تطوير الخدمات وعلى الاخص خدمات الطرق والمجارى ومياه الشرب وخدمات التعليم والترفيه .

٥ ـ الاهتمام بمشروع تنظيم الاسرة وتخفيض معدلات النمو السكانى فى الريف .

٦ ـ الاهتمام بمشاكل الارشاد الزراعى وتطويره لخدمة عملية التحول الاشتراكى فى الزراعة المصرية ومشروع بناء القرية .

٧ ـ اعداد الكوادر سواء من الفلاحين أنفسهم أو الكوادر التنظيمية والقيادية والفنية فى الريف لقيادة عملية تطوير الزراعة المصرية واعادة بناء القرية .

٨ ـ تعميم الديمقراطية وكفالتها فى جميع التنظيمات التعاونية والسياسية والشعبية فى القرية المصرية واستطلاع رأى جماهير الفلاحين فى هذا المشروع العظيم والاستشارة بها فى التخطيط والتنفيذ للمشروع .

٩ ـ دراسة تجارب بناء القرى فى مصر ، ولدينا اكثر من ٣٠٠ قرية تم بناؤها فى مناطق الاراضى الجديدة وسوف يصل عددها الى ١٠٠٠ قرية خلال العشر سنوات القادمة كذلك فان دراسة نتائج بناء القرى فى منطقة مثل ابيس أو كوم أوشيم يمكن أن تمدنا بمجموعة من الاراء والافكار تفيد فى عملية الاعداد والتخطيط لعملية بناء القرية المصرية . وقد تجنبنا الوقوع فى كثير من الاخطاء التى لا داعى لتكرارها .

١٠ ـ دراسة تجارب الدول المختلفة فى تعمير الريف واعادة بناء القرى ، اذ أن هذه التجارب تشكل خبرة انسانية متراكمة يجب الاستفادة منها بقدر الامكان وتطويع ما يمكن تطويعه للظروف المصرية . وأمامنا تجارب كثيرة من الدول الاشتراكية التى اقامت الزراعة الاشتراكية والقرية الاشتراكية الحديثة التى نسعى للوصول اليها .

●

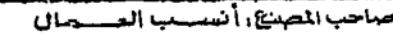


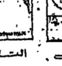


أسلوب الزمرة العسكرية — د. أنجايف



صاحب المصنع: أنسب العمال







لن يسير بعيدا — م. أبراموف



التفاعل المتسلسل — كوكريسكي

حركة التحرر الوطنى

ندوة دولية عن أمريكا اللاتينية

خبرة النضال الثورى ودروسه

تشير التطورات فى أمريكا اللاتينية الى ان الامبريالية تبذل جهدا يائسا لايقاف التغير الثورى الذى بدأ مع ثورة كوبا .. وهذا الوضع يتطلب من كل من الثوريين اليقظة والعمل الموحد .

وقد نظمت لجنة حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية بمجلة ((قضايا السلم والاشتراكية)) ندوة لمناقشة المشكلات الملحة للنضال المعادى للامبريالية فى امريكا اللاتينية . واشترك فى هذه الندوة : أورستيس جيولدى عضو اللجنة التنفيذية وسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الارجنتينى ، وجايمى شميرجيلد عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الارجنتينى ، وسرجيو باردو ولويس باديللا عضوا اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البوليفى ، وسيلفيوجوميز ولويس ريبرو عضوا الحزب الشيوعى البرازيلى ، وفلوريا تيتلبويم عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعى الشيلى ، وفيليب سوارز عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكولومبى ، وتيدوسيو فاريلا العضو الاحتياطى للجنة التنفيذية المركزية للحزب الشيوعى الكولومبى ،

وبرنارد زونيجا عضــو اللجنــة المركزية لحـزب الطليعة الشــعبية فى كوستاريكا ، وأوتو سانشيز عضـــو اللجنة الأيديولوجية للجنــة المركزية لحزب العمال فى جواتيمالا ، وجـاك روســيلين عضـــو اللجنة المركزية للحزب الشــــيوعى المــوحد فى هايتى ، وماركوس ليونيل بوســـاراس عضــــو اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعى المكسيكى ، ولويس سانشيز السكرتير الاول للحزب الاشتراكى فى نيكاراجوا ، وبالدوميرو جونزاليس العضو الاحتياطى للجنة المركزية لحزب الشعب فى بناما ، وكارلوس ماسيبل وبدروفا سكويز عضوا اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى باراجواى ، والفريدو أباركا وبدرو ماتيا عضوا اللجنة السياسية للحزب الشيوعى فى بيرو ، وفرانكلين ايريزارى عضــو المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى بورتوريكو ، وانريكو رودريجز عضو اللجنة التنفيذية وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى أوروجواى ، وبدرو أورتيجا دياز عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى فنزويلا .

وقد افتتح تتيلبويم المناقشة قائلا ان خريطة أمريكا اللاتينية تقدم صورة سياسية متنوعة . فهناك كوبا الاشتراكية ، والدول التى تحكمها حكومات عسكرية وطنية وحكومات بورجوازية ديمقراطية ، والدول التى تحكمها ديكتاتوريات رجعية .

وكان الانقلاب الدموى من الاحداث الحاسمة فى الفترة الاخيرة . وقد اتيحت لنا فرصة مناقشة أسباب الهزيمة المؤقتة للوحدة الشــعبية ، مؤكدين أن دراسة مشكلات شيلى ليست حكرا على شيوعيى شيلى بل ينبغى أن تشترك فيها كل الاحزاب الشقيقة .

ان واجبنا الثورى هو أن نكون دائما حيث توجد الاحداث ، وأن نقود الشعب ، لكن هذا لايعفينا من مسئولية التوصــل الى مفاهيم العملية الثورية ، فلابد أن نبقى عيوننا مفتوحة دائما ، سواء كنا نمتطى صــهوة الجياد المندفعة ، أو نشق طريقنا بحذر على أقدامنا ، ولابد أن يتوافر لنا نحن الشيوعيين خيالا خصبا ، ومعالجة خلاقة للاحداث ، ومبادرة أكثر جرأة من أعدائنا الذين يمتلكون مراكز أبحاث وعقولا اليكترونية تساعدهم فى وضع خططهم وتكهناتهم وعلينا عند وضع استراتيجية الثورة وتكتيكاتها أن ندرس أساليب الثورة المضادة .

ومن المهم كذلك ان ندرس الخبرة المتجمعة للاحزاب الشقيقة خاصة فى مجال توحيد القوى الشعبية ، من المهم أن نتبادل الملاحظات ، وأن نبرز السمات المشتركة والخاصة ، وأن ننسق ــ على هذا الاساس ــ أعمالنا ضد العدو المشترك . ومن هنا فاننا لابد أن نرحب بمبادرة مجلة « السلم والاشتراكية » بتنظيم هذه الندوة .

نطاق النضال التحريري

لاحظ عديد من المتحدثين أن الامبريالية قد انتقلت — مع تعمق الازمة العامة للرأسمالية — الى موقف الدفاع . فالمجموعه الاشتراكيه — وعلى راسها الاتحاد السوفييتي — تزداد قوة باستمرار . وقد تغير ميزان القوى بشكل ملحوظ لصـــالح الاشتراكيه ، وضــــعفت المراكز الاستراتيجيه للامبرياليه . وتمارس حملة السلام التى تقوم بها الدول الاشتراكية تأثيرا حاسما على الوضع الدولى ، وتعد مساهمة ملموسة فى تخفيف التوتر ، وفى النضال ضد أولئك الذين يريدون أن يبقوا البشرية فى جو الحرب الباردة و « توازن الرعب »

ولهذا الوضع الدولى الجديد تأثيره على أمريكا اللاتينية . كما يعد البناء الاشتراكى فى كوبا ، والتغيرات العميقة فى بيرو ، ونضال شعب بناما الجرىء من اجل مطالبه القومية ، والهزيمة الجزئية للاوليجاركية ووصول بيرون الى السلطة فى الارجنتين ، والنضال الشعبى فى أورجواى وغيرها من الدول — يعد هذا كله حافزا للنضال الثورى الديمقراطى المعادى للامبريالية . وكان وصول حكومة الوحدةالشعبية فى شيلى الى السلطة ، وما أعلنته عن عزمها بناء الاشتراكية ، حدثا ذا أهمية دولية بالغة .

وأدت هذه العوامل القومية الى تغيرات كيفية حادة فى الجو السياسى فى أمريكا اللاتينية . فالحصار حول كوبا يتمزق ، ومجموعة لها شأنها من الدول تلتزم سياسة معادية للامبريالية ، وعدد اكبر من الدول يهب للدفاع عن سيادته وثروته القومية ، وضد املاء أمريكا الشمالية لارادتها ، ومن أجل اتصالات أوسع بكل البلاد بغض النظر عن نظمها الاجتماعية .

ولقد شهدت السنوات الخمس الاخيرة اتجاها قاطعا نحو نمو النضال الثورى واتساعه فى أمريكا اللاتينية ، وتطوره الى نضال ضـــد القهر الرأسمالى .

وقال **فاسكويز** ان هذه الامور ينبغى أن ينظر اليها على ضـــوء الازمة الهيكلية المتعمقة نتيجة للتطور الرأسمالى التابع للاحتكارات الامبريالية ، مع استمرار وجود بقايا ماقبل الراسمالية والاشكال البائدة من الانتـــاج الاجتماعى . أن الهيكل الاقتصادى غير المتوازن وضيق الســـوق المحلى الناجم عن انتشار البؤس ، وسيطرة الامبريالية وصنيعتها الاوليجاركية المحلية ، تعوق تطور القوى الانتاجية ، ورفع مستويات المعيشة القومية . ولا تؤثر محاولات الطبقة الحاكمة للاسراع بالتطور الرأســـمالى عن طريق اصلاحات جزئية ، واللجوء الى رأس المال الاجنبى وتصعيد الاستغلال ، على الهياكل الاجتماعية — الاقتصادية القـــائمة . فلا تزال بلادنا متخلفة

تابعة ، لا تنتج سوى نسبة ضئيلة من الانتاج الراسمالى . ويزداد نصيب الشعب سوءا . وتصبح التناقضات الاجتماعية أكثر وضوحا .

ونستطيع أن نرى هذه الازمة الهيكلية فى تعمق الصراع الطبقى فى كل من المدينة والريف ، وفى اصطباغ الفئات الوسطى بصبغة أكثر جذرية . وهى تندمج فى حركة التحرر الوطنى والحركة الديمقراطية العامة لتشكل تيارا واحدا من النضال الديمقراطى المعادى للامبريالية والمعادى للراسمالية

ولاحظ **جيولدى** أن من السمات المميزة لهذه الحركة اتساع أساسها الاجتماعى ، ففى الارجنتين ـ التى أصبحت الان مسرحا لمعارك طبقية قاسية ـ تحقق الحركة العمالية مزيدا من القوة ، ونطاقا أوسع ، ويزداد نشاط جماهير الفلاحين والطلبة والجماهير الواسعة . ويشترك فى الاضرابات سنويا عشرة ملايين شخص فى المتوسط . وقد تحولت الاعمال الجماهيرية فى كوردوبا وروزاريو وتوكومان ومندوزا وغيرها من المدن الى هبات .

ونمت الاحزاب الشيوعية من حيث عدد الاعضـــاء والنفوذ . وقال **رودريجز** ان أى محاولة لتغافل نصف مليون شيوعى فى أمريكا اللاتينيه هى محاولة حمقاء . فقد أصبحت هذه الاحزاب قوة سياسية كبيرة ، وغدت طليعة بروليتارية تسرع بالعملية الثورية .

ولا ينبغى أن تثبط همتنا أو تفزعنا صيحات أولئك الذين أطاش صوابهم الارهاب فى شيلى وغيرها من البلاد . لقد حققنا انتصارات ، وتعرضنا لنكسات ، وتلك هى جدلية الحياة ، لكن المستقبل لنا ، وان لم يكن الطريق اليه قصيرا ولا سهلا ، فالشروط الموضوعية والاتجاه نحو اتساع النضال التحريرى كلها متوافرة ، والواجب الاول للشيوعيين هو توفير الظروف الذاتية الضرورية لتحويل هذه الشروط الى واقع .

وقال **جيولدى** ان الحزب الشيوعى الارجنتينى يزداد قوة : ونحن نريد أن نزيد عدد اعضائه قبل نهاية العام الحالى من ١٢٦ ألف عضو الى مائتى الف عضو . وفى العام الماضى اشترك فى فصولنا الدراسية ٣٥٠٠ دارس ، وهدفنا هذا العام هو الوصول الى أثنى عشر ألف دارس ، ونحن مصممون على تحقيق هذا الهدف .

ولاحظ المتحدثون أن النضال التحريرى قد أبرز بوضوح **الاتجاه نحو وحدة كل القوى التى تقف ضد الامبريالية والاوليجاركية** . ويجد هــذا تعبيرا عنه فى مختلف الاشكال ، وعلى مختلف المستويات ، من المظاهرات الجماهيرية الى تشكيل جبهات سياسية واسعة . وقد جمعنا قدرا كبيرا من الخبرة لا فى تكوين مثل هذه الائتلافات فحسب ، بل ان واحدا من هذه الائتلافات قد وصل الى السلطة بالفعل .

وقال **سواريز** ان كتلة الوحدة الشــــعبية فى شيلى جمعت الشيوعيين

والاشـــتراكيين والراديكاليين والديمقراطيين المســـيحيين اليســـاريين والاشتراكيين الديمقراطيين اليسـاريين والجماعات اليســارية المستقلة . وقد اتحدت هذه القوى حول برنامج يستهدف اقامة حكم شعبى ، وابعاد كبار الراسماليين عن مواقعهم الاقتصادية والســـياسية ، واقامة دولة شعبية عن طريق وضع دستور جديد وبرلمان من مجلس واحد ، ونظـام اقتصادى جديد يشمل ثلاثة أنواع من الملكية « ملكية الدولة والملكية الخاصة والملكيه المختلطة » ، واصلاح زراعى بعيد المدى والالغاء الكامل لنظام الضياع الواسعة « اللاتيفونديا » والتنمية الاقتصادية ، ومستوى معيشة أعلى ، وسياسة خارجية تقوم على احترام حقوق السيادة لكل الشعوب ، والتعاون مع كل الدول بغض النظر عن نظامها السياسى ، ولقد حدد برنامج الوحدة الوطنية الطريق الى التحرر الوطنى والاشتراكية من خلال العمل المنسق بين الاحزاب اليسارية والقوى التقدمية الاخرى .

واصبح لشيلى ـ للمرة الاولى فى تاريخها ـ حكومة بدأت تنفـذ حقا برنامجها الانتخابى . واعتنت الحركة الثورية العالمية بهذه الخبرة حيث تمكنت كتلة من القوى الشعبية تقودها الاحزاب العمالية وتستلهم الماركسية اللينينية من الوصول الى السلطة عن طريق الانتخابات ، وكسب العالم كله خبرة ثلاث سنوات من التطور السلمى نسبيا للثورة .

وقال **رودريجز** ان الجبهة الواسعة فى أوروجواى تشكلت فى عام ١٩٧١ بعد سنوات من الجهود التى بذلها الشيوعيون من أجل الوحدة . وانضم الى هذه الجبهة الحزب الشيوعى والحزب الديمقراطى المسيحى وجبهة التحرير اليسارية والحزب الاشتراكى وعدد من الجماعات اليسارية وكثير من الشخصيات المستقلة المعروفة « وبينهم ضباط فى الجيش » . وكان هذا على حد ما ذكره تقرير اللجنة المركزية الى المؤتمر العشرين للحـزب « خطوة تاريخية » ولا يتناقض التأييد الحار الذى نوليه للجبهة الجديدة مع برنامجنا الاكثر جذرية أو مع السير نحو هدفنا النهائى

وقال **جيبولدى** ان عمليات الوحدة تتطور فى الارجنتين ايضا . فقـد تشـكلت منظمة الحوار الوطني للأرجنتين ، وحـركة الدفاع عن الثروة القومية ، والحركة الارجنتينية لتضـــامن ابناء امريكا اللاتينية ضـــد العسكرية ، والتحالف الثورى الشعبى للاحزاب الاربعة وغيرها من المنظمات الجماهيرية والبلاد لاتزال فى ظل الديكتاتورية العسكرية . واشتركت كلها فى برنامج ديمقراطى مناهض للامبريالية ، وتمكنت من تجميع قوى كبيرة من مختلف أقسام المجتمع يحركها جميعا نفس الهدف وهو تحرير الارجنتين من القهر الامبريالى ، وحماية ثروتها الطبيعية وسـيادتها ، وضـــمان الديمقراطية لشعبها .

وقد تخطى مؤتمر القوى الوطنية المعادية للامبريالية الذى عقد فى نهاية

العام الماضى كل ماكنا نتوقعه . فقد كان هذا المؤتمر يمثل القوى الشعبية تمثيلا واسعا ، وحضره مندوبون عن الاحزاب السياسية وكذلك عن المصالح الحكومية « حتى المستوى الوزارى » والبرلمان والاجهزة الحكومية المحلية. وهناك حاجة ملحة الى عقد مؤتمر على نطاق القارة للقوى المعادية للامبريالية لتدعيم التضامن مع كوبا وبيرو وبناما ومع شعوب شيلى والبرازيل والدول الاخرى .

وقال دياز ان انتصار الوحدة الشعبية فى انتخابات شيلى عام ١٩٧٠ قد سهل وحدة القوى المعادية للامبريالية فى فنزويلا . وفى عام ١٩٧٢ تكللت الجهود من أجل الوحدة بتشكيل جبهة القوى الشعبية الجديدة . ونظرا لتشتت الحركات التقدمية فقد كان ذلك خطوة كبيرة الى الامام . وتضم هذه الجبهة الى جانب الشيوعيين الحركة الانتخابية الشعبية التى انفصلت عن حزب العمل الديمقراطى « التقليدى » وانضمت الى النضال من اجل المصالح القومية . كذلك انضمت الى الجبهة جماعات سياسية اخرى وعدد من الشخصيات السياسية المستقلة التى تمثل مختلف الفئات الاجتماعية . ويحدد برنامج الجبهة المهام الاساسية بأنها تحرير البلاد ويتطلع الى انتقالها الى الاشتراكية ، ويدعو الى تأميم عدد من الصناعات ، ويرسم نشاط الحكومة الديمقراطية الشعبية المقبلة ، ويعدد الاصلاحات والاجراءات الاساسية لتحسين ظروف معيشة الشعب .

وقال سيبيدا ان القوى التقدمية فى كولومبيا أسست فى عام ١٩٧٢ تحالف المعارضة الوطنى الذى يعد نواة لجبهة وطنية متحدة ، وانضم الى هذا التحالف عدد من الاحزاب والحركات السياسية ، وللمرة الاولى منذ سنوات طويلة اصبح لنا حلفاء حقيقيون . وسيطرح تحالف المعارضة الوطنى فى انتخابات العام الحالى برنامجا شاملا من المطالب الديمقراطية المعادية للامبريالية ، غير اننا ينبغى أن نقول ان احداث شيلى قد استقطبت الناخبين ، ووفرت سندا أكبر لمرشحى الاوليجاركية ، ومن شأن هذا أن يؤثر على الجبهة المتحدة .

كذلك يشق الاتجاه نحو الوحدة بين القوى المعادية للامبريالية طريقه فى البلاد التى تحكمها نظم ديكتاتورية . وقال ماسبيل أن انتخابات عام ١٩٧٣ قدمت كثيرا من الامثلة للعمل الموحد ضد الديكتاتورية . وتعد حملة التضامن الواسعة مع شعب شيلى ، والاحتجاجات الواسعة ضد فظائع الرجعية فى شيلى وغيرها من مناطق أمريكا اللاتينية مظاهر حية لهذا الاتجاه نحو الوحدة .

وقال سيبيدا ان الدعاية الامبريالية تسعى جاهدة لاقناعنا بأن عام ١٩٧٣ كان نقطة تحول ، وعاما شهد اندحار الليندى وانتصار بينوشيه . لكن هذا العام قد شهد كذلك تأميم احتكار سيرو دى باسكو الامبريالى الكبير فى بيرو ، وانتصار شعب الارجنتين ، واجتماع مجلس الامن فى

بناما الذى وصل بالحركة الشعبية لاستعادة القناة الى مرحلة جديدة ، وازدياد حدة ازمة منظمة الدول الامريكية ، ونشوب معركة البترول فى فنزويلا . وقد تمكنا فى كولومبيا من توحيد القوى التى تشكل تحالف المعارضة الوطنى ، وتطوير الوحدة فى الحركة النقابية والطلابية . ويدعم حزبنا جهازه العسكرى فى ذات الوقت الذى يواصل فيه نشاطه فى الجبهة البرلمانية وجبهة النضال الجماهيرى . وهكذا فان عام ١٩٧٣ لم يشهد فحسب هجمات العدو وتراجعنا فى بعض قطاعات الجبهة ، لكنه شهد كذلك انتصارات لها دلالتها حققتها الحركة الشعبية (١) .

واكد المشتركون فى الندوة ان المرحلة الحالية للنضال التحريرى فى امريكا اللاتينية تتسم باتجاهين مترابطين نحو اتساع العملية الثورية ، ونحو العمل الموحد بين كل اقسام هذه الحركة . وهذا واقع سياسى يشهد بأن التغير الثورى فى أمريكا اللاتينية لايمكن أن يقهر .

استراتيجية الامبريالية وتكتيكاتها

اهتزت مراكز الامبريالية فى أمريكا اللاتينية الى حد كبير نتيجة لتقدم النضال التحريرى فى السنوات الخمس الاخيرة . لكن سيطرتها لم تتحطم بعد ، وهى تبذل كل ما فى وسعها للابقاء على دول أمريكا اللاتينية داخل فلكها ، وفى اطار النظام الراسمالى .

وقال **أوكو سانشيز** ان هجوم الثورة المضادة الذى نشهده الان ليس سوى تنفيذ لاستراتيجية الاحتكار الاساسية ، تلك الاستراتيجية التى ارسلت الاحتكارات الامريكية مبعوثها نيلسون روكفلر فى جولة فى أمريكا اللاتينية منذ خمس سنوات لوضع تفصيلاتها . وقد اعترف روكفلر بفشل التحالف من أجل التقدم الذى دعا اليه الرئيس كيندى ، ووضع مفهوما جديدا « لتنمية » أمريكا اللاتينية عن طريق استخدام الاستثمارات الامريكية مع تحقيق الضمانات لها ضد « التأميم ونزع الملكية والثورة » . ودعا روكفلر « كما فعل الكثيرون من قبل » الى انهاء « الماركسية والشيوعية والافكار الهدامة » مؤكدا بذلك أن الاهداف الاستراتيجية الاساسية للامبريالية هى الاحتفاظ بسيطرتها الاقتصادية ، وبالتالى السياسية وعرقلة العمليات الثورية .

ولاحظ المشتركون فى الندوة أن التغلغل الاقتصادى **احد الوسائل**

---

(١) فى نهاية يناير وبداية فبراير من العام الحالى اصبحت بوليفيا مسرحا لاعمال جماهيرية واسعة . وقد التهمت حملات التأديب الحكومية اكثر من مائتى فلاح فى وادى كوشابامبا ، ولكن الشعب يواصل رغم اساليب القهر نضاله ضد الديكتاتورية التى بدأت تفقد استقرارها بسرعة

الاساسية لتحقيق هذه الاهداف. وقد كان هناك قدر من التغير فى هيكل الاستثمارات الاجنبية ، مع بعض « التحولات » من الصناعة الاستخراجية الى الصناعة التحويلية والخدمات والاعمال المصرفية . وهـذا امر املته التغيرات فى الهيكل الاقتصادى لبلاد امريكا اللاتينية وكذلك حقيقة ان الاستثمارات فى هذه الصناعات تعتبر أكثر امنا ، لان الهدف الاساسى للتأميم هو انتزاع موارد البلاد الطبيعية من سيطرة راس المال الاحتكارى .

وفى البلاد التى يوجد بها اتجاه ملحوظ نحو التاميم ، وخاصة حيثما تكون عملية بناء قطاع رأسمالية الدولة قد مضت شوطا بعيدا ، تعمل الامبريالية أســاسا تحت لافتات « وطنيــة » ، أو عن طريق الشركات المختلطة . وقال **بوساديس** ان هذا كان هو الوضع فى المكسيك ، فكثيرا مالاتكون عملية « المكسكة » أكثر من ستار للتوسع الاحتــكارى الامريكى والغاء التأميم .

وقال **ريبيرو** ان راس المال الاجنبى قد تغلغل الى الصناعات الرئيسية التى تشكل قطاع راسمالية الدولة فى البرازيل « التعدين والبترول والطاقة والنقل البحرى والسكك الحديدية والبنــوك الخ ... » . وتســـيطر الاحتكارات الاجنبية كلية على الصناعات الهندسية وبناء السفن وصناعة السيارات والصناعات الكيماوية والبتروكيماوية والادوية والاليكترونيات . وهى تتمكن بفضل تكنولوجيتها الحديثة وسيطرتها على السوق وعن طريق مختلف اتفاقات الاندماج من وضع المنشآت الخاصة ومنشآت الدولة تحت سيطرتها (١) .

ويرى **باردو** أن استخدام الدول التابعة التى حققت مستوى معينا من التطور فى استغلال دول أقل تطورا يعد مظهرا جديدا للتغلغل الاقتصادى الامبريالى . والمثل على ذلك تغلغل البرازيل فى منطقة موتوم فى بوليفيا « الموارد المعدنية » ومنطقة ايتايبو فى باراجواى « القوى المائية » .

غير ان **ريبيرو** أكد ان الاوليجاركية البرازيلية رغم نزوعها الى السيطرة ليست سوى اداة فى يد الاحتكارات الامبريالية . فالبرازيل كغيرها من البلاد التى تتبع الطريق الراسمالى لم تقترب من الاستقلال الاقتصادى . ويستهدف نموذج التنمية البرازيلى « تشجيع القطاع الخاص وسياسة الباب المفتوح امام راس المال الاجنبى والاستغلال السافر للشعب العامل »

---

١) الاشارة هنا اساسا الى راس المال الامريكى وان كان راس المال الالمانى الغربى واليـابانى والفرنسى يشق طريقه ايضا

ابقاء البلاد تحت الوصاية الاحتكارية (١) . وهذا هو السبب فى الدعاية الواسعة لهذا النموذج ومحاولة تطبيقه كلما أمكن .

وتواصل الامبريالية الامريكية ـ الى جانب التوسع الاقتصادى ـ تدعيم شبكة الكتل العسكرية والاستراتيجية ، ولايزال التدخل المباشر وغير المباشر واعمال التخريب والهدم جزءا من ترسانتها .

وقال **ايريزارى** ان بورتوريكو قلعة امبريالية للعدوان على حركة التحرر فى أمريكا اللاتينية . فقد درب المرتزقة الذين نفذوا عملية خليج الخنازير الفاشلة لغزو كوبا عام ١٩٦١ فى قواعد أمريكية فى بلادنا ، ومن هذه القواعد أيضا قام الاسطول الامريكى بعدوانه على جمهورية الدومنيكان فى عام ١٩٦٥ . وترابط فى بورتوريكو وحدات برية وجوية وبحرية امريكية كبيرة.

وقال **جونزاليس** ان منطقة خليج بناما حلقة رئيسية فى الاستراتيجية الامبريالية . وتقام هناك قواعد أمريكية للتدريب على عمليات مقاومة العصيان فى كل أنحاء القارة ، وهنا توضع الخطط لقمع حركة التحرير الوطنى . واضاف **لويس سانشيز** ان لدى البنتاجون ووكالة المخابرات المركزية السيطرة بلا منازع على أمريكا الوسطى . وقد أقيم مزيد من القواعد الامريكية للتخريب ضد كوبا الاشتراكية وحكومتى كوستاريكا وبناما . وتوضع الخطط للتكامل العسكرى والسياسى لامريكا الوسطى . وتعتمد الولايات المتحدة كل الاعتماد فى هذا كله على نظم الحكم الرجعية فى جواتيمالا ونيكاراجوا عملية الامبريالية فى أمريكا الوسطى (٢) .

وقال **زونيجا** (٣) ان الامبرياليين ـ كشأنهم من قبل يبذرون بذور العداء بين القوميات ، ويثيرون المنازعات المسلحة « الحرب بين سلفادور

---

(١) خلال السنوات العشر التى اتبعت فيها الديكتاتورية سياسة تجميد الاجور هبطت القوة الشرائية للجماهير بمقدار الثلث فى حين استمرت الارباح الاحتكارية فى الارتفاع . وذكرت مجلة « اوبنياك » الاسبوعية ان الامريكيين حصلوا فى المدة من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٧٠ على ٨ر٣ بليون دولار من الارباح أى ثلاثة اضعاف ما استثمروه خلال نفس الفترة

(٢) فى ٣ مارس عام ١٩٧٤ نظمت مهزلة انتخابية فى جواتيمالا كان هدفها هو اقامة نظام فاشى جديد اكثر مركزية وتسلطا وقمعا . وقام الجنرال ايوجنيو لوجيرود خادم البورجوازية واوليجاركية ملاك الارض الحاكمة والامبريالية الامريكية بمهمة « تهدئة » البلاد باغتيال خصوم نظام آسوريو .

(٣) أوضح الرفيق زونيجا ان حكومة فيجوريز البورجوازية الديمقراطية قد « لفتت انتباه » الامبرياليين باتباع سياسة تطوير علاقات الصداقة مع كل البلاد ، وعدم رغبتها فى ان تكون كوستاريكا راس جسر للعدوان ضد شعب بناما . كذلك اصبح فيجوريز شخصا غير مرغوب فيه بالنسبة للامبرياليين لوقوفه فى طريق احتكارات البترول التى تعمل على شاطىء المحيط الهادى، وقد أحبطت سلطات كوستاريكا عدة محاولات لاسقاط الحكومة ولاغتيال فيجوريز (قامت منظمة « اليد البيضاء » الجواتيمالية الارهابية بارسال عدد من عملائها على انهم سياح) . وفى نفس الوقت شكل الامبرياليون حزبا مواليا لامريكا هو الحزب الوطنى المستقل الذى خاض معركة انتخابات الرئاسة . وانفقت ملايين الدولارات لضمان نجاح صنيعة الاحتكارات لكنه لقى الهزيمة .

وهندوراس وخطر الصدام بين فنزويلا وكولومبيا » ويشكلون الكتل العسكرية العدوانية . وعلى سبيل المثال فان محور جو تيمالا ـ نيكاراجوا ـ سلفادور موجه ضد كوستاريكا .

وقرر المتحدثون أن **الانقلابات المضادة للثورة تستخدم حيثما كانت هناك هبة لحركة التحرر الوطني . وبالاحرى حيثما تصل الى السلطة حكومة تنفذ سياسة معادية للامبريالية . وثمة رغبة جديدة متزايدة وواضحة لنقل عبء هذا العمل الى كاهل الدول الموالية المخلصة** . وقال **ريبيرو** أن سفاحى البرازيل يحتفلون بالذكرى العاشرة لقيام ديكتاتوريتهم فى جو من الحمى الشيفونية ، وانهم يستطيعون بالتأكيد أن يعتمدوا على عرفان واشنطون . ففى عام ١٩٧١ أطيح بحكومة توريز التقدمية فى بوليفيا بتواطئهم المباشر ، كما أنهم ساندوا مؤامرات الرجعية فى أورجواى ، وأخيرا قدموا مساعدة كبيرة لانقلاب شيلى .

وأولى المتحدثون فى الندوة اهتماما كبيرا للاساليب المستخدمة فى الاعداد للانقلابات المضادة للثورة . وقال **باردو** ان انقلاب شيلى كان صورة مكبرة لاحداث بوليفيا ، وان هناك أوجه شبه بين الانقلابين هى :

ـ اشتراك الولايات المتحدة وحلفائها فى الاعداد للانقلاب وتوفير الشروط اللازمة لتنفيذه .

ـ الضغط الخارجى والداخلى والتخريب ونشر الفوضى فى الصناعة والتجارة

ـ الدور الخيانى الذى لعبته أحزاب البورجوازية اليمينية ، وتشجيع المتطرفين والمعادين للشيوعية من كل لون .

ـ استثارة مختلف أقسام السكان القيام بأعمال معادية للحكومة ، ورفع مطالب مستحيلة التنفيذ .

ـ شن حملة واسعة من الاكاذيب والافتراءات ضد الحكومة بمساعدة وسائل الاعلام ، ونشر الشائعات المغادية للشيوعية (١) .

---

(١) واشار باردو ايضاحا فى حديثه الى فيلم قصير معاد للشيوعية عرض فى شيلى موجه الى الاقسام الوسطى من السكان . وكانت الفكرة الرئيسية للفيلم هى : ان الاشتراكية تسوى بين الجميع ، ويعرض الفيلم قصة رجل يخرج من منزله ليرى عامل المصعد وسائق الاوتوبيس وزملاءه فى العمل ورئيسه وكلهم متشابهون . ويسال منتجو الفيلم : هل تريد ان تتبعك الحكومة فى كل مكان ؟ وقد عرضت هذه الدعاية الكاذبة اثناء الفترة السابقة على الانتخابات فى فنزويلا عام ١٩٧٣ . وقبل وصول حكومة الوحدة الشعبية فى شيلى لجا عملاء الامبريالية الى الخدعة التالية : قاموا بتوزيع استمارة استطلاع للراى على سكان سانتياجو تضمنت اسئلة عما اذا كانوا على استعداد للتنازل عن جزء من مساكنهم لكى ينتقل اليه من ليس لديهم مساكن ، وهل هم على استعداد لان يتركوا الحكومة تربى اطفالهم وما الى ذلك . وزعموا ان هذا الاستطلاع قد اعدته الوحدة الشعبية .

وأثار هذا كله صعوبات أمام توريز والليندى ، وكان عقبة امام عملهم ، وخلق جوا من عدم الاستقرار السياسى . ونجح المتآمرون فى بوليفيا وشيلى فى تقسيم صفوف التقدميين ، وعزل الطبقة العاملة عن حلفائها ، وتحريض الجيش على القيام بانقلاب مضاد للثورة .

ولاحظ المشتركون فى الندوة ان انقلاب شيلى ادى الى انتعاش ملحوظ للرجعية والعناصر اليمينية المتطرفة . وقال **دياز** ان من علامات هذا الانتعاش انتصار المرشحين اليمينيين فى انتخابات عام ١٩٧٣ فى فنزويلا . وقال **رودريجز** ان حكومة أوروجواى حظرت قيام الحزب الشيوعى وغيره من المنظمات التقدمية ، وهو أمر يشهد بجلاء على اعتزامها فرض ديكتاتورية على الطراز البرازيلى . ولاحظ **سبيدا** أن هناك سيلا لاينتهى من البعثات العسكرية من أمريكا الشمالية والبرازيل وشيلى لتنسيق النشاط من أجل قمع الحركات الشعبية . وبدأت فى نفس وقت انقلاب شيلى تقريبا الاجراءات التاديبية ضد حركة حرب العصابات « وهى حركة وجدت منذ فترة وأخذت تتطور وامامها مستقبل » . واشترك فى هذه الاجراءات ثلاثون ألف ضابط وجندى فضلا عن المساعدة الفنية والجوية .

وقال **جيولدى** ان الحلقة الامبريالية ضاقت حول الارجنتين منذ انقلاب شيلى . وتحاول التجمعات العسكرية والمدنية الرجعية أن تحول هزيمتها فى العام الماضى الى انتصار ، وأن تغير الوضع لصالح الامبريالية . وهى تتآمر لايقاف العملية الديمقراطية فى البلاد ، لانها تؤثر على القارة بأسرها . وتتعرض حكومة بيرون للضغط سواء من جانب اليمين أو من جانب الشعب العامل والقوى الديمقراطية المعادية للامبريالية . ومن هنا فان أمامها احتمالين للتطور . وينبغى أن تعمل على تجميع الضغط الجماهيرى ، واقامة مركز يوحد كل القوى الديمقراطية المعادية للامبريالية ، واحباط أى انقلاب ، والنضال من أجل سلطة الشعب كبديل لسلطة المستغلين .

وقال **اباركا** ان رجال الثورة المضادة فى بيرو قد ازدادوا بدورهم نشاطا . ومن الواضح أنهم رأوا أن ساعتهم قد جاءت . وهم يحاولون عن طريق الصحافة اثارة النزاع القديم حول الحدود بين بيرو وشيلى ، آملين من ذلك افزاع الحكومة الثورية من احتمال نشوب نزاع مع الطغمة الحاكمة فى شيلى ، واجبارها بالتالى على التراجع والامتناع عن اجراء مزيد من التأميمات . لكنهم أساءوا التقدير ، فبدلا من ذلك دعت الحكومة الشعب الى اليقظة ، والانتباه لمؤامرات رجال الثورة المضادة ، وعدم السماح لهم بتكرار انقلاباتهم الفاشية .

ان قوى الثورة المضادة ــ الامبريالية والاوليجاركية والمتطرفون اليمينيون و « اليساريون » ــ يستغلون بذكاء الصعوبات التى صنعوها هم لاثارة اضرابات معادية للحكومة . وقد لعب الحزب الشيوعى والاتحاد

العام للعمال دورا بارزا فى حل المنازعات ، وتحسنت علاقتنا بالحكومة .

وقال **جونزاليس** ان الرجعية فى بناما بدأت تقلد متآمرى شيلى ، فهى تلجأ الى التخريب الاقتصادى ، وتحاول افساد دورة السلع الاستهلاكية سعيا الى كسب الفئات الوسطى ، واثارة اضرابات كتلك التى سماها الرئيس الليندى «اضرابات البورجوازية» ، والقيام بدعاية محمومة معادية للشيوعية لكى تنشر البلبلة بين المناضلين المعادين للامبريالية والاوليجاركية . وتقف قوانا التقدمية على أهبة الاستعداد للمؤامرات الرجعية ، وتعزز يقظتها الثورية ، وتسعى لتحديد اللحظة المناسبة للعمل الحاسم من أجل منع توجيه لطمة الى حركة التحرير .

ولاحظ **سبيدا** أن الصحافة البورجوازية فى سعيها لتنظير الارهاب القائم فى شيلى تحاول الايحاء بأن الوحدة الشعبية هى التى خلقت بينوشيه ، ومن هنا فاذا كان الشعب لايريد الفاشية فان عليه ألا يسعى الى الوحدة الشعبية . وينبغى فضح هذا اللون من التفكير ، وخاصة لان مثل هذه الافكار كثيرا ماتجد أرضا خصبة وبشكل خاص بين الفئات الوسطى .

واكد المشتركون فى الندوة أن الاستراتيجية الامبريالية لم تتغير ، لكن تكتيكاتها أصبحت أكثر تنوعا ، وهى تستخدم العملاء بشكل أوسع لتحقيق أهدافها الهدامة . **ونتيجة للهجمات المضادة العنيفة نجحت الامبريالية الامريكية والرجعية المحلية فى احراز بعض النجاح فى بلاد أمريكا اللاتينية . وقد كشفت الاحداث الدامية فى الآونة الاخيرة ــ خاصة فى شيلى ــ للعالم كله الوجه الوحشى للامبريالية وشركائها . فالرجعية لاتتورع عن ارتكاب أية جريمة حين تصبح المسألة هى مسالة وجود الرأسمالية ذاته ، واختيار بلد معين الخروج من النظام الرأسمالى .وهى ستلجأ الى العنف الوحشى ، وستطأ باقدامها كل قيم الديمقراطية البورجوازية المزعومة ، وتقيم ديكتاتوريات ذات طراز فاشى .**

القوى الاجتماعية للثورة

اكد المشتركون فى الندوة على أساس استخلاصات الاجتماع الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية فى عام ١٩٦٩ انه : من أجل وضع حد لجرائم الامبريالية والاوليجاركية وصنائعهما ، وشل مبادرتهم ، والبدء فى حل المهام الرئيسية للمرحلة الراهنة لحركة التحرر فى أمريكا اللاتينية فان من الضرورى الاستفادة من الاتجاه القوى الذى ظهر فى السنوات الاخيرة نحو تلاحم القوى الديمقراطية المعادية للامبريالية ، وتوحيد هذه القوى والعمل معها ، وهذا هدف من أهم أهداف النشاط الشيوعى ، وهو يتضمن حل

المشكلات الرئيسية . وتعرضت الندوة لبعض هذه المشكلات مثل طبيعة الجبهات الشعبية التي تجرى اقامتها ، ودور الطبقة العاملة والفلاحين ، ومشاركة البورجوازية ، والعلاقة بين المهام الديمقراطية والمهام الاشتراكية ، وتوسيع أساس الجبهات وتحويلها الى قوة اجتماعية للعملية الثورية .

وتتخذ اقامة الجبهات فى مختلف البلاد أشكالا مختلفة ، تبعا للوضع الفعلى والخصائص القومية ، لكن الجبهات تنشأ فى كل مكان خلال **النضال الجماهيرى** من أجل تحقيق المطـالب الرئيسية للأمة ، تلك المطالب التى تتضمنها **برامج التغيير التقدمى** .

وقال **يوساداى** ان سياستنا فى اقامة التحالفات تحددها الاشكال التى يتطور فيها الصراع الطبقى والحركة الجماهيرية . ولا يعنى هذا اننا نرفض عقد اتفاقات مع الاحزاب السياسية ، لكن ما نهتم به أساسا هو أن تنصهر الوحدة فى لهيب النضال الجماهيرى . ونحن نعـكف حاليـا على تلخيص خبرتنا حتى الان ، لكى تستطيع المنظمات المحلية فى المصانع والمؤسسات التعليمية والقرى أن تتدعم وتتحد حول برنامج مطالب ، وأن تتقارب على اساس اقليمى ، الامر الذى يجعل من فكرة وحدة القوى المعادية للامبريالية فكرة مثمرة .

وأكد المشتركون فى الندوة أن طبيعة الجبهات ترتبط بخصائص المرحلة الحالية للثورة فى بلاد امريكا اللاتينية ، التى حققت غالبيتها الاستقلال فى أوائل القرن التاسع عشر ، وسارت شوطا بعيدا فى طريق التطور الرأسمالى حيث يسيطر رأس المال الاجنبى والمحلى وأساسا أوليجاركية ملاك الارض لكن مهام التحرر الوطنى الحقيقى والاستقلال الاقتصادى لم تحل . وتواجه شعوب أمريكا اللاتينية المرحلة الديمقراطية للثورة التى تؤثر على كثير من القوى السياسية والطبقية . **ومن هنا تنبع الطبيعة الديمقراطية المعـادية للامبريالية وللاوليجاركية للجبهات** .

وقال **فاسكويز** انه لهذا السبب فاننا نعمل على اقامة ائتلاف يعكس التنوع الطبقى والسياسى للقوى ذات المصلحة فى حل المهام التى تثور فى المرحلة الديمقراطية للثورة . لكن البروليتاريا هى المدعوة لان تكون العمود الفقرى لهذه الائتلافات . وتعلمنا خبرة الحركة الثورية العالمية أن توحيد القوى الديمقراطية المعادية للامبريالية فى ائتلاف مستقر ، وضمان اتجاهها الثورى ووضوح أهدافها ، غير ممكن الا حيثما وجدت طبقة عاملة ناضجة وموحدة ، تقودها طليعة سياسية ذات خبرة ، وتعمل فى وحدة وثيقـة مع الفلاحين . وقد قامت كتلة الوحدة الشعبية فى شيلى على أساس الطبقة العاملة المنظمة ، التى كسبت تحالف عمال الزراعة ، وأصـبحت نواة لتوحيد القوى الثورية .

وحيثما لم يتم التغلب على انقسـام حركة الطبقة العاملة وتلقائيتها فلن

يكون لها حلفاء يعتمد عليهم ، وسيكون اى ائتلاف شعبى تقيمه ائتلافا سطحيا محكوما عليه بأن يسير فى ذيل الاحداث . فماذا ينبغى أن تكون نقطة البدء ؟ هل هى توحيد البروليتاريا ، وخلق او تدعيم تحالف العمال والفلاحين أم هى تكوين جبهة معادية للامبريالية ؟ لكن هذا السؤال ليس أكثر من شقشقة نظرية لان هذه العناصر جميعا عناصر اساسية ، ترتبط فيما بينها ارتباطا جدليا وثيقا .

وقال **دياز** ان بعض الايديولوجيين البورجوازيين والتروتسكيين المرتدين ينكرون الدور القيادى للبروليتاريا . وبعضهم يتحدث عن « تحللها » و « فقدانها » لطاقتها الثورية . وينسى هؤلاء ــ فى المقام الاول ــ النسبة الكبيرة للطبقة العاملة فى مجتمع أمريكا اللاتينية (١) . وهم ينسون ــ ثانيا ــ نطاق حركة الطبقة العاملة فى بلادنا ، وينسون ــ ثالثا ــ الارتفاع الشديد فى المستوى السياسى لبروليتاريا أمريكا اللاتينية ، واتجاهها نحو أفكار الاشتراكية العلمية . ويكفى أن نقول ان العمال يشكلون ٦٠٪ من أعضاء الاحزاب الشيوعية فى الارجنتين واورجواى وشيلى . والبروليتاريا باعتبارها أكثر الطبقات عددا ونضالية وتنظيما ، ولان على راسها طليعة ناضجة ، تلعب بالفعل دورا حاسما فى النضال السياسى الاجتماعى من أجل تحويل المجتمع .

وأكد **فاسكويز** أن ثمة مسألة تثور بحق عند تشكيل جبهة شعبية ، وهى هل نحن محقون فى اجتذاب البورجوازية اليها ؟ ومن الواضح أن الاجابة على هذا السؤال لا يمكن أن تكون سهلة . فهناك من ناحية ــ وبقوة الظروف الموضوعية ــ قسم من البورجوازية ذاتها يعارض الامبريالية والاوليجاركية ويشكل تحالفات سياسية ، ويضع برامج للتحرر الوطنى . ومن ناحية أخرى فان أقساما من البورجوازية فى بلادنا تتعاون صراحة أو خفية مع الامبريالية والاوليجاركية . وأخيرا فان البورجوازية بأسرها تتسم بالتهاون أو عدم الحسم أو التطرف . ومن هنا ينبغى أن يطرح هذا السؤال بشكل محدد ــ مع أى قسم من أقسام البورجوازية ، مع أى من فئاتها ومجموعاتها واحلافها نستطيع أن نعمل بشكل مشترك لحل مهام المرحلة الديمقراطية ؟

وقدم **بدرو دياز** نموذجا لعدم اتساق البورجوازية . ففى الوقت الذى بدا فيه أن عملية توحيد القوى الشعبية فى فنزويلا قد بلغت ذروتها انسحبت قيادة حزب التحالف الجمهورى الديمقراطى من تحالف القوى الجديدة . غير أن هذا لم يؤد الا الى تدعيم تحالف القوى التى تعبر عن المصالح القومية الحقة . وفيما بعد ــ وفى قمة الحملة الانتخابية ــ ظهرت نظرية « أخف

---

(١) من بين ٨٠ مليونا من اصحاب الدخل يشكل العمال بالاجر ٥٠ مليونا ، يعمل ١٥ مليونا منهم فى الزراعة و ١٥ مليونا فى الصناعة و ٢٠ مليونا فى صناعات الخدمات والتجارة .

انشرور » . وزعم أنصارها انه مادام مرشح القوى الجديدة ليست أمامه فرصه كبيرة للفوز فان من الواجب تاييد مرشح الحزب المسيحى الاجتماعى وهذا المرشح بالطبع لن يحقق ثورة ، لكنه كذلك لن يتخذ اجراءات قمع ضد الشعب . ومن الناحية الفعلية طالبنا هؤلاء بأن نتهاون مع أحد حزبى الاوليجاركية . وكان معنى هذا اتجاها تصفويا انتحاريا بالنسبة للشيوعيين وقد رفضناه باعتباره مفهوما انتهازيا يمينيا .

وهناك كذلك طرف مقابل . فبعض من يعانون من « الشوروية » البورجوازية الصغيرة يرون فى سياسة الشيوعيين لعقد تحالفات واسعة أمرا أقرب الى خيانة الثورة . وهم يتهموننا بأننا نحارب الاحتكارات الاجنبية دون أن نمس حليفها . . الرأسمالية المحلية . ويستخلص هؤلاء « النقاد » بتخطيهم لمراحل التطور الثورى ــ أن الثورة فى فنزويلا لابد أن تكون ثورة اشتراكية منذ البداية الاولى . وهم يعجزون عن ادراك انه يوجد فى بلادنا ــ كغيرها من البلاد ــ مئات الالاف من الحرفيين والرأسماليين الصغار والمتوسطين « وخاصة فى القطاع الزراعى » وليست البروليتاريا وحدها هى التى تحتاج الى الثورة الديمقراطية بل تحتاجها كذلك البورجوازية الصغيرة والمتوسطة ، وسيسير كثير من ممثليها شوطا بعيدا معنا فى الطريق الذى ستنشأ فيه ظروف التحول الى الاشتراكية .

ومن القيض لكل ثورة وطنية حقة فى عصرنا أن تكتسب محتوى معاديا للامبريالية ، لكن المهمة المحددة للثورة فى المرحلة الحالية « واعتقد أن هذا لا ينطبق على فنزويلا وحدها » هى التطويح بسلطة الاحتكار الاجنبى والاوليجاركية المحلية . وطرح شعار البناء العاجل للاشتراكية فى ظروفنا يعنى تجاهل ميزان القوى وعدم فهم دلالة الاشتراكية . وتعنى معارضة سياسة التحالفات الواسعة نسيان تعليق لينين الشهير عن خطأ فكرة « أن الثورة يمكن أن تتم بالثوريين وحدهم »

وقال باردو ان خصومنا الايديولوجيين يؤكدون أن سياسة التحالفات التى نتبعها تحركها مصالح حزبية ضيقة . ولم يخف الشيوعيون أبدا هدفهم وهو القضاء على كل أشكال الاستغلال ، والعمل على التحول الاشتراكى للمجتمع . لكن من الضرورى ــ كما قلنا من قبل ــ أن نطوح أولا بالامبريالية والاوليجاركية والديكتاتوريات ، وأن نحقق الديمقراطية الحقة . وليس هذا فى صالح البروليتاريا وطليعتها وحدهما بل هو فى صالح الجماهير الواسعة أيضا . وليست التحالفات التى يعقدها الشيوعيون كتلا انتخابية متسيبة مؤقتة ، وانما هى تحالفات تستهدف معالجة مهام النضال التحريرى خلال فترة تاريخية طويلة الى حد ما .

وفكرتنا هى أن المناضلين الحقيقيين ضد الامبريالية والاوليجاركية سيبقون معنا حين نقترب من المرحلة الاشتراكية للثورة . وينتقلون من

مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع الماركسية اللينينية . وتقدم لنا خبرة الحركة الثورية العالمية كثيرا من الامثلة المفيدة فى هذا الصدد .

وأضاف **لويس سانشيز** ان الاشتراكية هى ارقى اشكال الديمقراطية . ولهذا السبب فان نضالنا من أجل الديمقراطية فى الظروف الحالية ليس هدفا تكتيكيا كما قد يبدو للبعض **وانما هو جزء لا يتجزأ من النضال من أجل التحرر الاجتماعى للشعب العامل .. من أجل الاشتراكية . وتلك هى جدلية العلاقة بين المهام الديمقراطية والمهام الاشتراكية .**

واكد الحاضرون جميعا أن التنوع السياسى للجبهات الديمقراطية يعكس مختلف الاتجاهات الايديولوجية المتضمنة . وتتحمل الطبقة العاملة وحزبها المسئولية الاولى فى فضح كل الوان معاداة الشيوعية والسوفييت . وهذا شرط أساسى لاقامة الجبهة المتحدة وتدعيمها . ومن المهم كذلك ان نواجه الاصلاحية البورجوازية ، والانتهازية اليمينية و « اليسارية » وان نبث الوعى الاشتراكى فى الحركة الجماهيرية ، ونعارض تلقائيـة البورجوازية الصغيرة التى تعرض للخطر البالغ تلاحم القوى الديمقراطية المعادية للامبريالية

وقال **تينيلبويم** ان مانحتاجه هو الوحدة بالافعال لا بالاقوال ، الوحدة على اساس الاعمال المتفق عليها ، والمسئولية العميقة لكل طرف . وليس سرا أنه كان هناك اتجاهان متعارضان فى صفوف تحالف الوحدة الشعبية وحكومتها . ولم يكن هناك استراتيجية وتكتيكات واحدة متسـقة ، ولا خطة واضحة للاستيلاء الكامل على السلطة . وفى التحليل الاخير نجد أن نشاط الوحدة الشعبية قد اصيب بالشلل ، وفقدت الكتلة مبادرتها فى النضال من أجل كسب الجماهير ، وتمكن العدو من شن هجوم مضاد ، واليوم تحاول الطغمة الحاكمة تدمير قوات الوحدة الشعبية بأساليب فمع لم يسبق لها مثيل . وتجرى عملية بناء قوانا فى ظل ظروف جديدة ، فى ظروف النضال من أجل اقامة جبهة واسعة معادية للفاشية . لقد قال لينين ان الهزيمة « علمت الاحزاب الثورية والطبقة الثورية درسا حقيقيا مفيدا للغاية ، درسا فى جدليات التاريخ ، درسا فى فهم النضال السياسى ، وفى فن وعلم شن النضال »

وأوضح المشتركون فى الندوة ان أهم استخلاص يمكن التوصل اليه من تجربة شيلى هو **الضرورة المطلقة لوحدة الجبهات الشعبية على اسـاس تكتيكات واضحة للتحالف وعمل ايديولوجى دءوب .**

ان تجربة شيلى تذكرنا بأهمية الدفاع عن المكاسب الثورية ، والحاجة الى تغيرات سريعة فى اشكال النضال ، والقدرة على مواجهة الضغط الرجعى بضغط ثورى . كما انها تثبت الضرورة الحيوية لوضع سياسة صحيحة فى كل المجالات . واكد المشتركون فى الندوة أن أسلوب التجربة والخطأ لم

يكن ذا قيمة . اننا فى حاجة الى دراسة خبرة الحركة الثورية العالمية وخبرة الحزب الشيوعى السوفييتى والى أن نضع على هذا الاساس سياسة شاملة تمكننا من كسب الجماهير .

وأثار كثير من المتحدثين مشكلة توسيع الاساس الاجتماعى للوحدة الشعبية ، وخاصة كسب الفئات الوسطى وأقسام من القوات المسلحة الى جانب الثورة. ولاحظ **جيولدى** أن هذه مسألة محددة من مسائل السياسة العملية ، فاذا أردنا للفئات الوسطى أن تساند الديمقراطية فينبغى أن نؤيد مطالبها ، وعلى البروليتاريا أن تفعل ذلك . وينبغى أن يكون هناك نشاط محدد بين هذه الفئات ، انهم يحبون الديمقراطية لكنهم يقدسون « القانون والنظام» . وتستغل الرجعية هذا الازدواج لابعادهم عن القوى الديمقراطية وليس هذا أمرا صعبا فى الظروف السائدة الان فى الارجنتين ، حيث تخلق موجة الارهاب التى أطلقتها وكالة المخابرات المركزية وعملاؤها جوا من عدم الاستقرار ، فأمام الصعاب المباشرة وتوقف الامدادات بدأ البورجوازى الصغير يقول : فليستولى أيا من كان على السلطة .. لكن هذا الوضع ينبغى أن ينتهى . وأنه ليقضى ٢٤ ساعة فى هذا اللون من التفكير ثم يرى — كما حدث فى شيلى — الوجه البشع للطغمة العسكرية فيتراجع مذعورا . ولكن خلال هذه الاربعة والعشرين ساعة تكون الرجعية قد لعبت دورها . وهذا هو ماحدث فى الارجنتين فى عام ١٩٦٦ حين وصل أوجتانيا الى السلطة ، لكن الفئات الوسطى فيما بعد انخرطت فى النضال ضد الديكتاتورية . واليوم يريد ٨٠٪ من سكان البلاد — بما فيهم الفئات الوسطى — التغيير . وتلك قوة كبيرة ، لكن النصر ليس نهائيا ، ويمكن للرجعية أن تجبر الفئات الوسطى على التراجع . وتدور الان معركة سياسية وايديولوجية وسيكولوجية ، وعلينا أن نتعلم كيف نخوضها .

وتناول المشتركون الاشارات التى انتشرت أخيرا بشأن ولاء الجيش الشيلى لواجبه المهنى ، وللمؤسسات الديمقراطية للبلاد ، ودوره الفعلى فى الاحداث الدامية الأخيرة . ففى الارجنتين يميل الجيش الذى تسوده روح طائفية رجعية الى المهنية . وتلك خطوة الى الامام غير أننا ينبغى الا نخدع أنفسنا . وبلغة السياسة، فان المهنية مرادف للحياد . لكن أحدا لا يبقى محايدا حين يصل الصراع الطبقى الى ذروته . ومن هنا علينا أن نعرف أى درجة من درجات المهنية نواجهها حتى نطور عمل الحزب لكى يمكن كسب جزء من القوات المسلحة الى جانب الشعب .

وتعتمد الامبريالية على الخلافات بين الديمقراطيين الذين يرتدون الزى العسكرى وبين الشيوعيين . لكن هذين الجانبين يهتمان بتحقيق التقدم الوطنى عن طريق اجراء تغييرات عميقة فى المجتمع ، وتحدث **اباركا** فى كلمته عن أهمية التعاون بين الشيوعيين وبين التقدميين فى الجيش على نطاق القارة وخاصة الحكومة العسكرية الثورية فى بيرو .

واكد المشتركون فى المناقشة ان الجبهات القائمة المعادية للامبريالية ليست سوى خطوة أولى نحو خلق قوة اجتماعية للثورة . وقال **باردو** ان هذا هو أهم هدف استراتيجى للشيوعيين كما أوضحته وثائق الاحزاب الشقيقة ، وهو يتفق مع المرحلة الكيفية الجديدة لعملية توحيد القوى التقدمية . وعلى الطبقة العاملة وحزبها أن يلعبا دورا حاسما فى هذه المرحلة ، وان يعملا فى تحالف وثيق مع القوى الاخرى . وليس ممكنافحسب طرح برنامج الحد الادنى « كبرامج جبهاتنا الواسعة » بل يمكن كذلك طرح برنامج الحد الاقصى « الذى اقترحه الشيوعيون » ــ برنامج التحول الاشتراكى . وقد تحقق هدف اقامة القوة الاجتماعية للثورة الى حد كبير فى شيلى بعد أن وصلت حكومة الوحدة الشعبية الى السلطة . وعلى أى حال فان الكتلة بدأت تنفذ التغيرات الثورية التى تستهدف فى النهاية بناء الاشتراكية . لكن الطغمة العسكرية قطعت مسار الثورة فى الوقت الذى تم فيه التغلب على كثير من الصعوبات الاقتصادية ، ولوحظت اتجاهات لتدعيم السلطة الشعبية .

ولاحظ المشتركون فى الندوة ان **الجبهات الديمقراطية المعادية للامبريالية كانت سلاحا قويا للنضال التحريرى ، وخطوة فى الطريق لخلق القوى الاجتماعية الثورية فى بلاد أمريكا اللاتينية . ويتوقف نجاح مثل هذه الجبهات وقدرتها على مقدرة أولئك الذين يشتركون فيها على تحقيق وحدة عمل حقيقية ، وتوسيع اساسهم الاجتماعى وتدعيمه .**

وأبرز الحاضرون ضرورة :

ــ المساندة النشطة لنضال البلاد الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفييتى من أجل السلام والانفراج كواحد من الشروط الحيوية لتطور النضال التحريرى .

ــ فضح جرائم الامبريالية والاوليجاركية وتعبئة أوسع الجماهير .

ــ الارتفاع بالنضال الشعبى الى ذرى جديدة ، وتدعيم التضامن مع كوبا وشعوب القارة باسرها التى تناضل ضد الامبريالية والاوليجاركية . والتضامن مع ضحايا النظم الديكتاتورية . وارهاب البورجوازية وكبار ملاك الارض .

ــ تدعيم وحدة كل أقسام النضال التحريرى واضعين فى ذاكرتنا أنه لا يمكن صد هجمات الامبريالية وتطور النضال الا بمواجهة عمل الرجعية الموحد بوحدة الشعب التى لا تنفصم .

ــ تدعيم وتطوير روابط الصداقة بين الاحزاب الشقيقة ، وتشجيع الاجتماعات الثنائية ومتعددة الاطراف لتبادل المعلومات وتنسيق النضال من اجل تحرير القارة .



الوضع العالمى والعملية الثورية

بقلم : بوريس بونوماريوف

تذكر الشعوب الاعوام الخمسة التى انقضت منذ انعقاد الاجتماع العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية فى موسكو عام ١٩٦٩ باعتبارها فترة هامة فى تطور الوضع الدولى والحركة الثورية .

لقد أكدت الاحداث تماما صحة النتيجة التى توصل اليها هذا الاجتماع وهى أن ((الامبريالية)) لا تستطيع أن تسترجع المبـــادرة التاريخية التى خسرتها ، أو أن تعكس التطور العالمى)) . ويعد ازدياد حدة الازمة الاقتصادية والسياسية للراسمالية شاهدا بارزا على عجزها عن حل القضايا الحيوية التى تواجه الانسانية حاليا . وقد أدركت الجماهير وهى تدرك أكثر فأكثر ان الاشتراكية هى طريق التقدم الاجتماعى للجميع .

وكانت أهم عمليتين حدثتا خلال الاعوام الخمسة الماضية هما : أولا تزايد قوة بلاد الجماعة الاشتراكية ، وعملها النشط الى جانب كل قوى السلام ضد العدوان الامبريالى ، ومن أجل الانفراج والامن الدولى ، وثانيا النضال المتصاعد الذى تخوضه الطبقة العاملة وكل الشعب العامل فى البلاد الرأسمالية وشعوب المستعمرات الســـابقة والحركة المعادية للامبريالية

بأسرها . وقد أحدثت هاتان العمليتان الرئيسيتان ــ اللتان تتطوران فى ترابط ــ تغييرات كبيرة فى الوضع الدولى لصالح السلام والاشتراكية .

هبة جديدة للاشتراكية العالمية

أكد اجتماع عام ١٩٦٩ ان العالم الاشتراكى دخل مرحلة مكنته من ان يستخدم بصورة أكمل كثيرا الموارد الضخمة الكامنة فيه . وقد اوضحت السنوات الماضية بجلاء اننا نمر بمرحلة جديدة من مراحل التطور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

فبالنسبة للسياسة الاقتصادية اتجه الاتحاد السوفييتى الآن ــ على عكس الماضى القريب حيث كان عليه أن يركز موارده اساسا على توسيع الصناعة الثقيلة ــ نحو الحل الشامل للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية . وقد تمكن المؤتمر الرابع والعشرون للحزب السوفييتى بفضل نمو القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية للاتحاد السوفييتى من أن يعطى الاولوية الاولى لهدف التوصل الى مستويات اعلى للرفاهية ، دون التقليل من الاهتمام باعادة تجهيز الاقتصاد بالمعدات التكتيكية ، وكفالة القوة الدفاعية للبلاد . وحدثت تغيرات مماثلة كذلك فى بقية البلاد الاعضاء فى الجماعة الاشتراكية .

وبالنسبة للعلاقات بين البلاد الاشتراكية شهدت الفترة التى انقضت بعد عام ١٩٦٩ تطور التكامل الاقتصادى الاشتراكى ، وهو أعلى شكل للتعاون الاقتصادى . ويستهدف هذا التكامل التعاون فى الانتاج والتخصص على نطاق واسع ، وتحقيق تنسيق أوثق بين الخطط الاقتصادية . ومن المهم ان نشير الى أن التعاون الاخوى بين البلاد الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة يميل الى التسوية بين مستويات تطورها ، وهذا بدوره يجعل تعاونها أكثر فاعلية ، ويزيد من تأثيره الايجابى على اقتصادياتها وعلى كل جوانب الحياة الاجتماعية فيها .

ويكفل التخطيط الاقتصادى الاشتراكى تحقيق معدلات نمو عالية ثابتة ، بما يترتب على ذلك من نمو نصيب الدول الأعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة فى الاقتصاد العالمى ، وتعزيز مركزها السياسى والاقتصادى . واليوم نجد كل المراكز الصناعية الرئيسية فى العالم الراسمالى ــ بما فيها أوروبا الغربية والولايات المتحدة ــ متخلفة عن دول مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة لا بالنسبة لموارد المواد الاولية فحسب بل من حيث قدرتها الصناعية كذلك .

ان الانجازات الاقتصادية للاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكيةالاخرى تحت أعين الجميع . ولقد كان لانجاز الاتحاد السوفييتى بنجاح لبرنامج السنة الثالثة من خطته الخمسية الحالية تأثير بالغ فى العالم كله ، وكانت القرارات التى اتخذتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى اجتماعها الكامل فى ديسمبر عام ١٩٧٣ — والتى تستهدف تحقيق كفاءة أفضل للانتاج الاجتماعى — دافعا قويا جديدا للتطور الاقتصادى .

ولا تقتصر انجازات الاشتراكية المتطورة على النمو الاقتصادى ومستويات الرفاهية العالمية . فقد حققت البلاد الاشتراكية فى السنوات الاخيرة تقدما بالغا فى صبغ الحياة بصبغة جديدة كلية لاتعرفها الراسمالية ، وفى توفير الظروف اللازمة للتطور الثقافى الشامل للانسان ، والتطوير الكامل لقدراته ومواهبه .

ويعد التطوير المتصل للديمقراطية الاشتراكية — حكم الشعب الحقيقى ومساهمته الواسعة فى ادارة الانتاج وشئون الدولة — سياسة ثابتة للاحزاب الشيوعية والعمالية فى الدول الاشتراكية . فالاشتراكية لاتنادى فحسب بحقوق الانسان العامل بل هى تكفلها بشكل فعال ، وتوفر الظروف التى تمكن هذا الانسان من أن يتطلع الى المستقبل بثقة . وتصهر الاشتراكية الوحدة المعنوية والسياسية للشعب ، ويحقق استقرارا اجتماعيا لم تتمكن الراسمالية من تحقيقه فى أى مكان وزمان .

الاهمية الاجتماعية والسياسية للانفراج

كانت انجازات الاشتراكية هى التى مكنتنا من احداث هذا التغير التاريخى من الحرب الباردة الى الانفراج ، ومن دعم مبادىء التعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة .

والنتائج الملموسة للنضال فى سبيل مناخ سياسى دولى افضل معروفة جيدا وهى : وقف العدوان الامبريالى فى فيتنام وانتصار الشعب الفيتنامى البطل ، وتوفير الشروط اللازمة لسلام عادل فى كل انحاء الهند الصينية ، والسير نحو تصفية آثار العدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط ، واحتمال حل الازمة فى هذه المنطقة المتفجرة ، والاعتراف الدولى بجمهورية المانيا الديمقراطية ، وتعزيز مركز كوبا . كما تشتمل هذه النتائج الاتفاقيات التى تستهدف الحد من خطر نشوب حرب حرارية نووية عالمية ، وسلسلة الاتفاقيات التى تضفى الطابع الرسمى على نتائج الحرب العالمية الثانية وعلى تطور أوروبا بعد الحرب ، واعادة الاوضاع الطبيعية فى العلاقات الدولية ، وتوسيع التعاون على أساس المنفعة المتبادلة بين البلاد التى تنتمى الى النظامين الاجتماعيين العالميين .

وكان الاجتماع الذى عقدته اللجنة السياسية الاستشارية التابعة لحلف وارسو فى ١٧ ـ ١٨ ابريل الماضى فى وارسو مساهمة كبيرة فى الانفراج الدولى ، فالاراء والمواقف الخاصة بالقضايا الاوروبية القائمة والتى نص عليها البيان الختامى لهذا الاجتماع توفر أساسا بناء للانتهاء من الاعداد للمرحلة الختامية لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبيين .

وكل هذه التغيرات ثمرة للنضال النشط الذى خاضته الدول الاشتراكية وحركة الطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى وكل القوى المحبة للسلام .

لقد بذلت الحركة الشيوعية العالمية فى السنوات الاخيرة الكثير ـ الى جانب القوى السياسية الاخرى ـ للارتفاع بالنضال فى سبيل السلام الى مستوى جديد . وكان لبرنامج العمل ضد الامبريالية الذى وضعه اجتماع ١٩٦٩ دور هام فى هذا الصدد . وتعد النتائج التى تحققت فى تنفيذ هذا البرنامج برهانا ساطعا على أن للدول الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية زمام المبادرة فى التطور الايجابى للعلاقات الدولية ، والمحافظة على السلام ، ومنع نشوب حرب نووية حرارية . ويعبر برنامج السلام الذى أقره المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى بوضوح عن هذه المبادرة .

ان الدلالة الاجتماعية والسياسية للتطورات الدولية الاخيرة واضحة تماما . فقبول حصانة الحدود الاوروبية القائمة ، والتزام الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة بمراعاة مبادىء التعايش السلمى بدقة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لكل منها ، لاتؤدى فحسب الى تعزيز السلام بل توفر كذلك الظروف المواتية لاستمرار تقدم الاشتراكية والنضال الديمقراطى الثورى ضد نظام الاستغلال . وقد أكد هذا البيان الواضح المدعم الذى أصدره مؤتمر الاحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية المنعقد فى بروكسل ، وتناولته صحف الاحزاب الشيوعية الشقيقة فى القارات الاخرى .

ويقوض قبول القوى الامبريالية الرئيسية رسميا للتعايش السلمى ـ أكثر مما فعل أى شىء آخر فى الماضى ـ الاساس الاجتماعى للمنظمات العسكرية والسياسية العدوانية الموجهة ضد البلاد الاشتراكية وضد القوى الثورية والديمقراطية . ويعزز الانفراج مركز العناصر ذات التفكير الواقعى داخل المعسكر البورجوازى ويساعد على عزل القوى الامبريالية الاكثر رجعية و « أحزاب الحرب » والمؤسسات العسكرية الصناعية .

واخيرا كان الانفراج حافزا لتغيرات داخل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية . فرغم السياسة المعادية للشيوعية التى يتبعها عدد من القادة

اليمينيين لهذه الاحزاب يبدي قادة معظم الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى أوروبا رغبتهم فى توسيع الروابط مع العالم الاشتراكى ، ونحن نشهد فى بعض البلاد الخطوات الاولى نحو القيام بعمل موحد مع الشيوعيين . بالطبع لايمكن لهذه الاتجاهات الايجابية أن تكون لها قيمة ملموسة لكل القوى داخل الحركة العمالية الا بتصفية قادة الجنـاح اليمينى المعادية للشيوعية .

وليس الانفراج ـ فى جوهره ونتائجه ـ ظاهرة سياسية دولية فحسب بل هو كذلك عامل اجتماعى وسياسى يمثل مرحلة هامة جديدة فى النضال المعادى للامبريالية على نطاق العالم .

ويدرك الشيوعيون تماما أن الانفراج السياسى لن يتطور بصورة تلقائية ، ودون جهود نشيطة للتغلب على مقاومة دعاة الحرب الباردة المتشـددين الذين يقفون خلف كل المحاولات التى تبذل لفرض « شروط الانفراج » على البلاد الاشتراكية ، وهى شروط تستهدف بوضوح « اضعاف » أسرة الدول الاشتراكية و « تقويضها » . ويزداد كذلك نشاط العناصر التى تعمل على تكوين كتلة عسكرية وسياسية جديدة فى أوروبا الغربية . ولن يتورع أعداء الانفراج حتى عن الاستفزاز المسلح لمحاولة نسف اتفاقيات باريس ومنع تحقيق سلام دائم لشعوب الهند الصينية ، وهم يواصلون تخريبهم فى الشرق الاوسط وأمريكا اللاتينية .

وهناك حقيقة مشئومة هى انه حتى فى ظروف الانفراج اليوم فان عملية تمثل فى أساسها التحضير المادى للحرب لاتزال مستمرة وتزداد قوة .

فسباق التسلح الذى تدفعه الامبريالية يجبر البلاد الاشتراكية على تخصيص المبالغ اللازمة للدفاع ، ويجتذب الى فلكه عشرات من البـلاد النامية . وفى نفس الوقت فان النزعة العسكرية الامبريالية موجهة دائما ضد مصالح الطبقة العاملة والقوى الديمقراطية فى البلاد الامبريالية نفسها .

وهذا هو السبب فى أن النضال من أجل التقدم الاجتماعى ومن أجل استمرار تقدم كل الفصائل الثورية ، يتطلب حتما جهدا شاملا لتعزيز الانفراج الدولى ، واحباط الاستراتيجية الامبريالية القائمة على مشروعية الحرب .

وقد أكد ليونيد بريجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعى الســـوفييتى وهو يناقش السمات المميزة للفترة الحالية فى خطابه أمام المؤتمر العالمى لقوى السلام أن الطريق الى السلام لن يكون طريقا سهلا بسيطا « فهو يتطلب ـ شأنه فى الماضى ـ تماسكا وحزما ونشاطا ، كما يتطلب أشكالا أفضل واساليب جديدة ، ومبادرات محددة فى وقتها المناسب لمنع ظهور مراكز للتوتر ، وحدوث نكسات فى عملية الانفراج » .

تغيرات كيفية فى الازمة العامة للرأسمالية

لايلغى الانفراج الدولى بطبيعة الحال القوانين التى تحكم تطور المجتمع الرأسمالى ، كما أنه لم يرجئها .

وتتجلى أزمة النظام الرأسمالى الآن فى مجالات واسعة الاختلاف : فى أزمة الطاقة ، والازمة النقدية ، وأزمة السياسة الاقتصادية ، وازمة فائض الانتاج ، وأزمة العلاقات بين الامبريالية والعالم الثالث ، وأزمة العلاقات بين مراكز القوى الرئيسية للامبريالية وهى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان ، والازمة السياسية والايديولوجية — وهى مزيج من عمليات الازمة فريد فى تاريخ رأسمالية مابعد الحرب .

ومنذ عهد قريب كان الايديولوجيون البورجوازيون يزعمون أن عهد الازمات بالنسبة للرأسمالية قد ولى ، وأن الثورة العلمية والتكنولوجية قد أبرأت الرأسمالية من كل عللها ، وزادت من حيويتها ، ومنحتها قوة جديدة . لكن الماركسيين كانوا يرون دائما خلف واجهة « المعجزات الاقتصادية » التى كثيرا ماتشدقت بها بعض البلاد الرأسمالية عمليات عميقة تقوض أسس المجتمع البورجوازى نفسه . وهكذا ذكر تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى الى المؤتمر الثالث والعشرين للحزب فى عام ١٩٦٦ أن « القوى المدمرة الداخلية فى الاقتصاد الرأسمالى تواصل عملها ، ولا يمكن لهذا الاقتصاد تجنب وقوع اضطرابات جديدة » كما نصت وثيقة اجتماع عام ١٩٦٩ على أن « الثورة العلمية والتكنولوجية تعجل بتشريك الاقتصاد ، ويؤدى هذا فى ظل سيطرة الاحتكار الى توليد التناحرات الاجتماعية على نطاق متزايد وبشكل حاد » . ويقدم الواقع تأكيدا لا نزاع فيه لهاتين القضيتين .

والسمة المميزة للصورة الاقتصادية هى هذا المزيج الذى لم يسبق له مثيل من أزمة الطاقة وتزايد البطالة والتضخم . « ماذا نرى فى الولايات المتحدة اليوم ؟ نرى حكما ثلاثيا للتضخم والبطالة والعجز » ... وليس قائل هذه العبارة شيوعى ، وانما هو ج. ك. جالبريت الاقتصادى البورجوازى الشهير .

وحتى الامس كان ذلك المزيج من التضخم السريع والركود فى الانتاج يبدو أمرا غير طبيعى . أما اليوم فانه يعد أمرا مسلما به ، كما نجد فى الوقت نفسه مركبات جديدة غير متوقعة : وعلى سبيل المثال عجزا فى الطاقة والمواد الاولية والاغذية مصحوبا بفائض فى انتاج كثير من السلع .

وهكذا فمرة أخرى — وبعد عامين أو ثلاثة فقط من انحسار موجة

ركود الانتاج والانكماش الاقتصادى التى اجتاحت العالم الرأسمالى من عام ١٩٦٩ — ١٩٧١ — يخلى الازدهار الصناعى مكانه لتدهور اقتصادى عنيف . أليس هذا دليلا واضحا على افلاس السياسة الاقتصادية لرأسمالية الدولة الاحتكارية ؟

كذلك ازدادت حدة التناقضات بين البلاد الامبريالية . ويحاول رأس المال المالى فى الولايات المتحدة أن يستغل مركزه القيادى فى مجال البترول والغاز ليثأر لهزيمته الاخيرة فى السوق الرأسمالية العالمية ، التى تمكنت فى انهيار النظام النقدى القائم على تفوق الدولار . وفى الوقت نفسه تسعى الامبريالية الامريكية الى دعم وضعها السياسى ، وترميم النظام العالمى للتحالفات العسكرية الامبريالية على عجل تحت رعايتها .

لكن الهجوم الاقتصادى والسياسى المضاد الذى تقوم به الولايات المتحدة يلقى مقاومة متزايدة . ونستطيع أن نرى ذلك فى ازدياد التناقضات مع أوروبا الغربية وبخاصة فرنسا ، وازدياد حدة المنافسة الاقتصادية مع اليابان . وينبغى أن نضيف الى ذلك هذه الشبكة الجديدة من التناقضات داخل السوق الاوروبية المشتركة ، وبين اليابان وبلاد أوروبا الغربية .

ويبرز بشكل خاص اليوم تزايد حدة الصراع بين البلاد الامبريالية وبلاد العالم الثالث . فقد ظلت الاحتكارات الامبريالية سنوات عديدة تستخدم تطور المواد الاصطناعية ونمو الناتج الزراعى وغير ذلك للضغط على المستعمرات السابقة لكى تبيع منتجاتها بأسعار منخفضة . وكانت النتيجة انخفاضا حادا مستمرا فى نصيب البلاد النامية فى التجارة العالمية ، واتساع الهوة الاقتصادية بين هاتين المجموعتين من البلدان غير الاشتراكية

اما الآن فان البلاد النامية — وبشكل ملحوظ بلاد الشرق العربى ، تستغل اعتماد كثير من الصناعات فى البلاد الامبريالية — وبخاصة الصناعات التى تنتج المواد الاصطناعية — على واردات البترول لتوجيه ضربة رادعة للامبريالية . وكثيرا مانواجه قوة الصدام للتوسع الامبريالى — اى الاحتكارات الدولية الضخمة — جبهة موحدة من البلاد التى تخلصت من القهر الاستعمارى وتؤكد الان حقها المقدس فى التصرف فى ثروتها الطبيعية . وليست أزمة الطاقة الا انعكاسا لأزمة كل نظام العلاقات الاقتصادية بين الامبريالية والعالم الثالث ، أزمة السياسة الاستعمارية الجديدة .

ولم يحدث ابدا من قبل ان ترابطت بهذه الصورة الوثيقة عمليات الأزمة فى الاقتصاد والعوامل التى تعمق من الازمة السياسية فى البلدان الامبريالية المفردة وفى كل نظام العلاقات الدولية الرأسمالية ، كما لم يحدث أبدا من قبل ان أثرت على بعضها البعض بهذه القوة . واذا درسنا عمليات الازمة

التى تزداد فى مجموعها عمقا فسنجد ان مانشهده ليس مجرد ازدياد فى عمق الازمة العامة للراسمالية بل هو تغير كيفى فى تطورها فى اطار مرحلتها الثالثة .

ازدياد حدة المعارك الطبقية

بعد انهيار الآمال فى استقرار سياسى واجتماعى دائم فى البلاد الامبريالية السمة المميزة للمرحلة الراهنة من مراحل الازمة العامة للراسمالية ، وفى نفس الوقت النتيجة الحتمية لتطورها . ففى كل مكان تقريبا اكتسب الصراع الطبقى حدة جديدة . ويتضح هذا من الصورة الاجتماعية الشاملة فى البلاد الراسمالية فى السنوات القليلة الماضية : اتساع مدى حركة الاضراب ، وعنف المنازعات الاجتماعية والسياسية ، والتوتر السياسى ، وتكرر الازمات الحكومية ، والازمة الحادة لنظام الحكم ومؤسسات السلطة فى عدد من البلاد .

وقد اكدت أحداث السنوات الاخيرة بصورة جلية القضية التى طرحها اجتماع عام ١٩٦٩ والقائلة ان الطبقة العاملة هى القوة المحركة المعبئة للنضال الثورى . وللحركة الديمقراطية المعادية للامبريالية بأسرها . وأكدت الاحداث أن الصراع الطبقى للشعب العامل بصورة متزايدة ضد نظام سيطرة الدولة الاحتكارية .

وقد ضاق الاساس الاقتصادى لمجال المناورة الاجتماعية للاحتكارات بشكل محسوس منذ الستينات . وتلجأ العناصر الحاكمة بصورة متزايدة الى تقييد زيادة الاجور والاجراءات المضادة للنقابات . والنتيجة الطبيعية لذلك هى ازدياد حدة الصراع الطبقى . غير أن ذلك لايشهد بنمو قوة أعداء الطبقة العاملة . وقد اتضح هذا بشكل واضح من سياسة حزب المحافظين المعادية للعمال فى بريطانيا . فقد كان تحديد أسبوع العمل بثلاثة أيام وخفض الاجور بما يوازى ذلك ــ وهو اساسا رد راس المال الاحتكارى على الاضرابات الواسعة التى قام بها عمال المناجم وغيرهم من فصائل الطبقة العاملة ــ بمثابة تسريح على نطاق الامة ، وتحويل السكان كلهم الى نصف متعطلين . لكن هذا الهجوم المباشر على الطبقة العاملة فشل . وأحرز عمال المناجم نصرا قاطعا ، ولقى المحافظون الهزيمة فى الانتخابات البرلمانية .

وقد أوضحت المناقشات التى دارت فى مؤتمر الاحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية فى لندن (١٩٧١) وبروكسل (١٩٧٤) الحاجة الى قيام الطبقة العاملة بتحرك عملى مشترك على النطاق العالمى لوقف الهجمات التى تشنها الشركات فوق القومية على حقوق العمال النقابية ومكاسبهم الاجتماعية . وقد أصبح تنسيق نضال العمال الذين تستخدمهم هذه

الاحتكارات فوق القومية فى مختلف البلاد مشكلة عاجلة ، وبخاصة فى المعركة ضد ازدياد توسع الاحتكارات الامريكية ، والسياسة الاجتماعية المعادية للديمقراطية التى تتبعها السوق الاوروبية المشتركة ، والخطط التى تستهدف استخدام السوق الاوروبية المشتركة لدعم أكثر القوى رجعية .

ولن ينكر أحد أن حركة التحرر الوطنى قد اكتسبت هى الاخرى مضمونا اجتماعيا أكثر وضوحا . وتواصل البلاد ذات النظم التقدمية القيام بدور هام فى توسيع التغير الاجتماعى والاقتصادى . غير أن آفاق حركة التحرر الوطنى تتوقف الى حد كبير على الرد الحاسم على الاتجاهات الخطرة نحو السياسة المعادية للديمقراطية والقومية الرجعية ومعاداة الشيوعية التى طفت على السطح فى بعض هذه البلاد .

وتكتسب الاتجاهات الديمقراطية المعادية للامبريالية أهمية متزايدة فى الهند وبنجلاديش وجمهورية مالاجاش وسيريلانكا وغيرها . وكما تنبأ اجتماع عام ١٩٦٩ يحدث تمايز اجتماعى واسع فى البلاد المتحررة حديثا ، وتزايد فى حدة الصراع بين القوى الديمقراطية والقوى الامبريالية والرجعية الداخلية . وتمتد هذه العملية الى بلاد كانت منذ عهد قريب تعتبر قواعد مضمونة للاستعمار الجديد (مثل تايلاند والفليبين) . ويزداد اجتذاب الافكار الاشتراكية للعناصر ذات التفكير الوطنى فى هذه الدول الوطنية الجديدة .

أزمة الراسمالية وخطر الفاشية

ينبغى أن نذكر أن الرجعية تحاول دائما استغلال الوضع المتأزم وتزايد عدم الاستقرار الاجتماعى والسياسى لتوجيه ضربات مضادة الى الطبقة العاملة . ويزداد نشاط العناصر اليمينية الآن فى كثير من بلاد أوروبا ومن بينها ايطاليا وفرنسا وجمهورية المانيا الاتحادية . ومن الدلائل على ذلك الانقلاب الرجعى الذى وقع أخيرا فى اليونان والارهاب الفاشى فى أسبانيا . وفى هذا الوضع فان للتحذير الذى وجهه اجتماع عام ١٩٦٩ بأن الفاشية تزيد من نشاطها فى ذروة الازمة دلالته ، وكذلك الشأن بالنسبة للنداء الذى وجهه هذا الاجتماع للشيوعيين لكى يصدوا كل الهجمات المناصرة للفاشية .

ومأساة شعب شيلى اليوم دليل على حقيقة الخطر الفاشى . وقد تنبه الكثيرون الى أن اجراءات القمع التى تتخذ فى شيلى ـ عمليات اطلاق النار ومعسكرات الاعتقال واحراق الكتب ـ تمثل كلها أساليب هتلرية فاشية . وقد أثارت أحداث شيلى حملة عالمية قوية دفاعا عن الديمقراطيين والمناضلين الثوريين فى شيلى ، ومن أجل انقاذ مناضلى وقادة الحزب

الشيوعى والحزب الاشتراكى وغيرهما من القوى الوطنية من الاضطهاد . وهناك بشكل خاص اتجاه الى تحليل دروس شيلى على ضوء الاتجاه العام للتقدم الثورى فى الظروف الراهنة .

كذلك اصطدمت ثورتنا بمقاومة عنيفة من البورجوازية الرجعية والامبريالية العالمية . ومنيت هذه المقاومه بهزيمه ساحقة بفضل السياسة اللينينية المبدئية المرنة التى تقبل تكوين كتل مع الاحزاب الاخرى ، واجراء المهادنات والتغييرات السياسية المؤقتة الضرورية ، وتعد السياسة الاقتصادية الجديدة مثلا حيا على ذلك . وهذا هو السبب فى أن الطبقة العاملة قد وجدت فى لحظات الثورة الحرجة ونقط تحولها مساندة كافية من غالبية الشعب ، فى حين وجدت القوى الرجعية وصنائعها نفسها معزولة .

ويعرف الشيوعيون كيف يستخلصون الدروس حتى من النكسات ، فلقد مكنتنا دراسة خبرة كوميونة باريس وثورة عام ١٩٠٥ فى روسيا — أى دراسة الثورات المسلحة الفاشلة — من وضع استراتيجية وتكتيكات كفلت الانتصار التاريخى فى أكتوبر عام ١٩١٧ . وفى ظروف اليوم تمثل احداث شيلى — التى قدمت أول مثل للتطور « السلمى » منذ فترة طويلة — اهمية بالغة للماركسيين اللينينيين من زاوية تحسين الاستراتيجية والتكتيكات الثورية .

واذا نحن حاولنا أن نلخص — فى عبارات عامة للغاية بالطبع — المشكلات التى اثارتها هذه الاحداث لكان فى وسعنا أن نقول :

أولا ان النكسة ينبغى الا تقلل من شأن الجوانب الايجابية لخبرة النشاط المتفانى للثوريين فى شيلى — من شيوعيين واشتراكيين . فقد اتضح للعالم كله أن كتلة يسارية تقودها الاحزاب البروليتارية ، وتستلهم الافكار الماركسية اللينينية ، تستطيع ان تصل الى السلطة بطريقة دستورية ، وتستطيع كذلك كسب جانب كبير من الفلاحين والفئات الوسطى الى صف الثورة .

وثانيا فى حين لم يستمر التطور السلمى للعملية الثورية فى روسيا فى عام ١٩١٧ الا عدة شهوز فقد استمرت هذه الفترة فى شيلى ثلاث سنوات ادت — وهذا امر ضرورى يجب الاشارة اليه — الى اجراء تغييرات اجتماعية واقتصادية هامة لصالح الشعب العامل . وقد أوقف هذا التطور بالتحديد فى وقت حدثت فيه هبة جديدة بين الجماهير تأييدا للثورة بما تبشر به من مكاسب جديدة . وينبغى أن نؤكد أن الثورة لم تكن هى التى انتهكت الدستور علنا وبوقاحة ، ووطأت الحقوق الديمقراطية بالاقدام ، وانما كانت الثورة المضادة هى التى فعلت ذلك . وهذا يؤكد مرة أخرى قانونا موضوعيا

ظهر مرارا فى تاريخ الثورات ، وهو انه حيثما يثور خطر حقيقى يهدد المصالح الطبقية للبورجوازية ، فانها تستخدم مواردها الضخمة ، وبخاصة روابطها برأس المال العالمى ، وتبذل أقصى ما فى وسعها لاحباط العملية الثورية وتستخدم أكثر الاساليب تطرفا وارهابا وديكتاتورية لقمع الثورة والحاق الهزيمة بها .

ويترتب على هذا أن احداث شيلى تعيد ثانية الى ذاكرتنا أهمية المحافظة على المكاسب الثورية ، والاهمية البالغة للوقوف على أهبة الاستعداد لتغيير أشكال النضال على الفور ــ سلمية أو غير سلمية ــ والمقدرة على استخدام العنف الثورى لصد ماتلجا اليه البورجوازية من عنف مضاد للثورة . وهى تذكرنا كذلك بضرورة دراسة قضية الطريق السلمى غير المسلح للثورة الظافرة من موقف لينينى سليم . فالذى يضمن التطور السلمى للاشتراكية ليس هو فحسب توازن للقوى الاجتماعية لاتجرؤ البورجوازية فى ظله على البدء بالحرب الاهلية بل كذلك استعداد الطليعة الثورية والجماهير الدائم ــ عملا لا قولا ــ لاستخدام أجرأ أساليب النضال اذا اقتضى الوضع ذلك .

وتبين الخبرة أن الثورة يمكن أن تحرز تقدما كبيرا اذا توطد أساسها الاجتماعى وتدعم . وهذا يتوقف بالدرجةالاولى علىالسياسة الاقتصادية ، فبعد احراز النجاح السياسى الحاسم يصبح الاقتصاد وهو المجال الرئيسى للمعركة من أجل انتصار الثورة ، ويزيد من تعقيد قضية وضع سياسة اقتصادية سليمة وتنفيذها بثبات فى فترة الانتقال ، واختيار أشـــكال التغيير الاقتصادى وتحديد مداه ، اســـتخدام البورجوازية للحصـــار الاقتصادى والتزايد المفتعل للمصاعب الاقتصـــادية والتخريب الصناعى سلاحا رئيسيا لها .

وتعتمد الرجعية صراحة على تذبذب البورجوازية الصـــغيرة والفئات الوســـطى وفتورها وطابعها المزدوج ، آملة أن تبعدها عن الطبقة العاملة وتدفعها للوقوف ضدها . والى جانب هذا يستخدم العدو الطبقى بنشاط مجموعات المقامرين «اليساريين» الذين يقومون موضوعيا بدور استفزازى، وبخاصة حين تتطور الثورة سلميا . ومن القضايا الاساسية التى تواجه الشيوعيين على الدوام النضال بحزم ضد الخط السياسى لهذه المجموعات

واعمالها ، والعمل فى نفس الوقت بدأب بين من يتأثرون بهذه المجموعات ، واضفاء اتجاه سليم على حماسهم الثورى .

وقد نما اليوم دور وسائل الاعلام فى النضال الاجتماعى والسياسى الى حد لم يكن له مثيل فى ثورات الماضى . وتبين خبرة شيلى أن من الضرورى لتحقيق النصر تجريد العدو الطبقى من وسائل الاعلام والدعاية .

ويعهد الرجعيون - فى صراعهم ضد الثورة وحركة الطبقة العاملة عموما - بدور بالغ الاهمية للجيش ومختلف التشكيلات البوليسية ، التى يحاولون تحويلها الى سند للاتجاهات المحافظة عن طريق عزلها عن الشعب وغرس روح العداء للشيوعية فى صفوفها . وتبين الحقائق أن الرجعية تستخدم القوات المسلحة دون تردد عندما تتعرض سلطتها لتهديد حقيقى لا فى أمريكا اللاتينية وحدها بما حفل به تاريخها من انقلابات عسكرية بل كذلك فى البلاد الرأسمالية المتطورة . وهذا هو السبب فى أن من المهم الى أقصى حد - حتى عندما تسلك الثورة سبيلا سلميا - تجريد نظام الحكم القديم من أدوات السلطة الهامة مثل الجيش وتكوين جهاز دولة جديد ، فليس ثمة جيش خارج الدولة او خارج السياسة .

لقد ابرزت أحداث شيلى الى المقدمة مرة أخرى بطريقة دامية القضايا الاساسية للنظرية الماركسية اللينينية عن الثورة . ومن المناسب فى هذا الصدد أن نذكر نبوءة ماركس حين قال أن خبرة ثورات القرن التاسع عشر تبين ان الثورات الحديثة ستكون أقل فأقل « ارتجالا » وتلقائية ، وأكثر فأكثر وعيا اجتماعيا وتنظيميا لاعمال الجماهير على أيدى الاحزاب . ولهذا القول دلالته بالنسبة لعصرنا . فقد أكدت أحداث شيلى من جديد أهمية صيانة الاشتراكية والمكاسب الثورية والدفاع عنها بكل الوسائل الضرورية

تزايد اهمية الصراع الايديولوجى

تمتد المواجهة الطبقية على النطاق العالمى الى كل مجال من المجالات

العامة . وليس من قبيل الصدفة أن تزداد أهمية القضايا الايديولوجية فى هذه العملية . فالنضال فى سبيل كسب عقول الناس هو — فى نهاية الامر — احد المجالات الحاسمة فى المنافسة بين النظامين .

وقد علم لينين الشيوعيين أننا لكى نهزم الرجعية ينبغى أولا أن « نحرر الجماهير من النفوذ الايديولوجى » (١) للرجعية . وتنطبق هذه القضية التى طرحها لينين على النضال الثورى بصفة عامة ، وعلى النضال الذى لا ينفصم عنه وهو النضال ضد الحرب والعدوان الامبرياليين ومن اجل تاكيد مبادىء التعايش السلمى . ومن هنا فان الانفراج الدولى يعنى توسيع الصراع الطبقى وتعميقه ولا يعنى « التعايش السلمى » بين الايديولوجيتين المتعارضتين .

وتبين نتائج الصراع الايديولوجى بين الاشتراكية والرأسمالية بوضوح متزايد طابع التطور الاجتماعى ومعدله . وتتغير ظروف هذا الصراع بسبب استخدام الطرفين لوسائل الاعلام الحديثة القوية التى تحقق تقدما سريعا نتيجة للثورة العلمية والتكنولوجية .

ويحاول الرجعيون جاهدين أن يحطوا من شأن الاشتراكية . وهم يعتمدون فى المقام الاول على القومية وعلى الجهود التى تبذل لتقويض المجتمع الاشتراكى فى مختلف البلاد واضعاف وحدة الجماعة الاشتراكية .

ويلجأ خصوم الانفراج الدولى الى معاداة السوفييت لتنشيط سباق التسلح واحياء الحرب الباردة . كذلك يروق العداء للسوفييت لأولئك الذين ينظرون الى الانفراج كوسيلة لتسهيل التخريب ضد البلاد الاشتراكية .

ونتيجة لذلك أصبح العداء للسوفييت هو مركز نشاط العناصر العدوانية — وبشكل عام العناصر الرجعية — التى تحاول كبح جماح القوى المعادية للامبريالية، وتقويض نضال الجماهير ضد النظام الاستغلالى للرأسمالية .

وهذا هو السبب فى أن الأحزاب الشقيقة تؤكد عن حق أن النضال ضد العداء للسوفييت مسألة تهم كل الشعب العامل ، وكل الديمقراطيين والوطنيين . وهى تعلق أهمية كبيرة على المقارنة بين الاتجاهات الرئيسية فى ظروف الشعب العامل . ففى ظل الاشتراكية يكون الاتجاه هو توسيع الديمقراطية الاشتراكية ، وجعلها أكثر غنى فى محتواها ، وربط الجماهير

---

(١) ف.ا.لينين — المؤلفات الكاملة — المجلد ١١ — ص ٢٩٢

اكثر فأكثر بالادارة الحقيقية للشئون العامة والحكومة ، وتحسين مستوى الحياة باستمرار ، الامر الذى يجعل الشعب واثقا من مستقبله . اما فى ظل الراسمالية فان الاتجاه هو تضييق الحقوق الديمقراطية والغائها . وخفض مستوى المعيشة ، مما يترتب عليه عدم الاستقرار الاجتماعى .

وكثيرا ما يلجأ أعداء الشيوعية - للتقليل من جاذبية الاشتراكية الى اجراء مقارنة متحيزة بين بعض جوانب الحياة فى البلاد الراسمالية والاشتراكية ، وهذا يجعل معيار المنافسة بين النظامين المتعارضين هاما للغاية . فما من احد فى البلاد الاشتراكية يريد منافسة الراسمالية فيما يعكس خصائص هذا النظام الاستغلالى وحدوده التاريخية . والشىء الذى ينبغى أن يلعب دورا متزايدا فى المقارنة بين الاشتراكية والراسمالية هو مؤشرات الرعاية الحقيقية التى توجه للانسان العامل ، والاشباع الكامل المتزايد لاحتياجاته المادية ، وتوفير ظروف تطوره الروحى الكامل .

وتشغل مهمة ايضاح اهداف برنامج السياسة الاشتراكية الدولية وبيان النظرة التى تسترشد بها البلاد الاشتراكية مكانا خاصا فى الصراع الايديولوجى . ويرى الشيوعيون السوفييت أن واجبهم هو مساعدة الرأى العام العالمى على أن يدرك أن الاشتراكية والسلام لا ينفصلان عن بعضهما البعض ، وأن منع الحروب العالمية وكبح جماح العدوان الامبريالى قد اصبحا أمرا ممكنا حقا بفضل الاشتراكية ومكانتها وقوتها .

ولا تزال المقاومة النشطة لسياسة القيادة الصينية ودعايتها التى تهاجم الجماعة الاشتراكية والسياسة الخارجية للاحزاب والبلاد الشقيقة جانبا هاما من النشاط الايديولوجى للحزب الشيوعى السوفييتى على المسرح الدولى .

فالحملة السياسية والايديولوجية الجديدة التى « تنتقد كونفوشيوس ولين بياو » - مثلها مثل « الثورة الثقافية » من قبل - تكتسب طابعا معاديا للسوفييت ، وهو طابع الحق بالفعل ضررا بليغا بالشعب الصينى فى المقام الاول ، وبالاشتراكية والنضال ضد الامبريالية .

وفى الوقت الذى يركز فيه كل الديمقراطيين ومحبى السلام على السعى الى دعم الانفراج وكبح جماح القوى العدوانية فى كل مكان ، فان بكين تسعى عن عمد وبطريقة استفزازية الى الحط من شأن عملية الانفراج ونسفها .

وفى الوقت الذى تحاول فيه الاحزاب الشيوعية فى اوروبا وكل قوى السلام بكل جهدها تحويل أوروبا الى قارة للسلام والتعاون الدولى ، تدعو قيادة الحزب الشيوعى الصينى صراحة الى تقوية حلف الاطلنطى

كمقابل لحلف وارسو ، وتساند الخطط الخطيرة التى تدبرها أشد القوى رجعية فى أوروبا لتشكيل كتلة عسكرية جديدة على أساس السوق الاوروبية المشتركة .

وفى الوقت الذى يوسع فيه الشيوعيون والديمقراطيون نضالهم ضد الخطر الفاشى ، وينظمون حملة تضامن عالمى مع شعب شيلى فان بكين تؤكد بشكل واضح الطغمة العسكرية فى شيلى التى ارتكبت جرائم لم يسبق لها مثيل .

ويرى الحزب الشيوعى ان من واجبه المثابرة على مقاومة الخط المعادى للينينية للقيادة الصينية الحالية ، وهو خط يلحق الضرر بالاشتراكية والحركة الشيوعية وحركة التحرر الوطنى باكملها . وفى الوقت نفسه يواصل الاتحاد السوفييتى ـ كما نؤكد دائما ـ الدعوة الى اعادة العلاقات الطبيعية مع جمهورية الصين الشعبية ، وسيرحب بمساهمة الصين البناءة فى حل المشكلات الدولية .

الوضع الراهن والحركة الشيوعية العالمية

قال ليونيد بريجنيف فى مقال له بمجلة « السلم والاشتراكية » يعلق فيه على نتائج اجتماع عام ١٩٦٩ « اننا نقول باعتزاز له ما يبرره انه لم يحدث من قبل ابدا أن قامت حركة سياسية او تيار ايديولوجى بدور ثورى فى حياة الانسانية فى مثل ضخامة الدور الذى تقوم به الحركة الشيوعية العالمية وحركة الطبقة العاملة .. ويتوقف مستقبل الانسانية فى هذا الثلث الاخير من القرن العشرين الى حد كبير على ازدياد قوة هذه الحركة ، وعلى وحدة عمل الاحزاب الشيوعية والعمالية » .

وقد ازدادت قوة الحركة الشيوعية العالمية كثيرا منذ اجتماع عام ١٩٦٩ ، وارتفعت مكانتها السياسية ونفوذ الاحزاب الشيوعية والعمالية بشكل ملموس فى السنوات الخمس الاخيرة . ولو عدنا بنظرنا الى الخلف لرأينا أن هذا الاجتماع قد جاء فى حينه ، ولأدركنا الاهمية البالغة للوثائق التى أصدرها بالنسبة لكسب الشيوعيين لمواقع جديدة فى النضال ضد الامبريالية ، ولتحقيق تلاحم أوثق ونضالية أكبر للحركة الشيوعية العالمية ذاتها ، ولتوسيع الجبهة المعادية للامبريالية بشكل عام .

ولقد بينت هذه السنوات مرة اخرى أن اجتماعات الاحزاب الشقيقة هى أكثر أشكال العلاقات الأممية بين الأحزاب الشيوعية فعالية وقبولا فى الظروف الراهنة . وهذا ما تقرره كثير من الاحزاب الشقيقة فى بياناتها ووثائقها . وتشهد بذلك أيضا الاجتماعات التى يعقدها الشيوعيون فى

مناطق معينة ، والمؤتمرات النظرية ، والاتصالات الاخرى متعددة الاطراف التى ازدادت عددا منذ اجتماع موسكو ، واصبحت تقليدا راسخا فى حركتنا .

والحق ان الأحزاب الشقيقة عقدت فى العام الحالى مؤتمرات نعتبرها بالغة الاهمية . ففى شهر يناير الماضى عقد ممثلو ٦٧ حزبا مؤتمرا حول عمل مجلة « السلم والاشتراكية » حيث تبادلوا الرأى والمعلومات بطريقة مثمرة فى عدد من القضايا الجارية ، ولا شك أن مؤتمر الاحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية الذى عقد فى بروكسل فى نهاية شهر يناير الماضى قد ساعد على تنسيق سياسة الشيوعيين فى النضال ضد رأس المال الاحتكارى . وقد اكد المؤتمر تصميم هذه الاحزاب على أن تعمل بنشاط وبالاشتراك مع فصائل حركتنا الاخرى من أجل السلام والأمن الدائمين فى أوروبا ، وفى سبيل تعزيز المبادىء الجديدة فى العلاقات الدولية بشكل عام .

واكدت هذه الاجتماعات كما أكد قادة عدد من الاحزاب الشقيقة فى خطابات عامة أن هناك تغيرات أساسية واتجاهات جديدة وعمليات جديدة فى الوضع العالمى تعطينا الحق فى الحديث عن وقوع تغير أساسى فى ظروف نضال الشيوعيين ذاتها خلال السنوات الخمس الماضية وعن المهام الجديدة التى تواجه حركتنا . ويؤمن الحزب الشيوعى السوفييتى من جانبه بأن تقييم التقدم الذى تحقق على اساس استخلاصات اجتماع عام ١٩٦٩ ، وتحليل العمليات والظواهر التى تميز تطور الوضع العالمى اليوم ، وتحديد خط العمل الموحد للشيوعيين فى الظروف الجديدة ، امور تتطلب جهدا جماعيا من جانب الاحزاب الشقيقة .

وتعد مبادرة عدد من الاحزاب بالدعوة الى عقد مؤتمر للاحزاب الشيوعية والعمالية الاوروبية مماثل للمؤتمر الذى عقد فى كارلو فيفارى فى عام ١٩٦٧ استجابة لمتطلبات الوضع واحتياجات الحركة الشيوعية .

ونتيجة لما يتميز به عصرنا من تضاعف للعلاقات الدولية ، مع تزايد قوة الصراع الايديولوجى وتأثيره على حياة المجتمع بأسره ، فان الشيوعيين يبذلون جهدا خاصا لكى يطبقوا بثبات مبادىء الأممية البروليتارية ويسيروا بها الى الامام .

والأممية البروليتارية شرط لنجاح بناء الاشتراكية والشيوعية ، والاخلاص لها شرط أساسى لضمان التفاعل بين التيارات الثورية الرئيسية فى عصرنا وهى ـ الاشتراكية العالمية ، والطبقة العاملة العالمية ، ونضال التحرر الوطنى . والأممية البروليتارية هى سلاحنا الأوحد فى النضال ضد الامبريالية ومن أجل السلام والديمقراطية والاستقلال الوطنى ومن أجل المثل العليا للشيوعية .

●

فى الثقافة والفن

الدعاية المرئية فى الظروف الراهنة

((كل من يمزق هذا الملصق أو يغطيه بشىء آخر يكون قد تصرف بطريقة معادية للثورة)) . هذا التحذير كان مطبوعا على الملصقات الثورية التى ظهرت على الجدران وفى المصانع أثناء الحرب الاهلية فى روسيا السوفييتية .

وفى أثينا وغيرها من المدن اليونانية ، كثيرا ماتظهر على الجدران والاسوار شعارات معادية للدكتاتورية وللامريكا مكتوبة بالوان زاهية ... وفى احدى المرات ظلت سيارة دورية للشرطة تطوف فى شوارع أثينا يوما باكمله ، لانتزاع ملصقات بعنوان ((تسقط الزمرة الحاكمة)) .


السلام لفيتنام

هذان المثلان المأخوذان من فترتين مختلفتين ومن بلدين مختلفين يثبتان امرا واحدا : انه عندما تنشب معركة طبقية عنيفة ، فليست البنادق وحدها هي التي تشرع في اطلاق نيرانها . فالملصقات والمنشورات والشعارات لها أسلحه جبارة عندما تستخدمها البروليتاريا . وكان هذا هو الموضوع الذي درسه ممثلو الاحزاب الشيوعيه والعماليه الاوربية عندما التقوا في الاونه الاخيرة في المجلة في « مائدة مستديرة » لمناقشة « الدعاية المرئية في الظروف الراهنة »

وقد شارك في المناقشة كل من : ماتسينجر ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي النمساوي ، كاراجيوروف رئيس شعبة في قسم الدعاية التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ، وتوماش ، أحد العاملين في قسم الدعاية التابع للجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري ، وسيفيرت رئيس شعبة في قسم الدعاية التابع للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد ، وجيز أحد العاملين في هذا القسم ، ومينتيس أحد العاملين في قسم الدعاية التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوناني وبيدستروب ، فنان شيوعي دانيماركي ، وحائز على جائزة لينين الدولية، وغالي عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الايطالي ونائب رئيس قسم الصحافة والدعاية ، وفلودارزيك نائب رئيس قسم الدعاية والصحافة والنشر في اللجنة المركزية لحزب العمال البولندي الموحد ، وشتيفان ، أحد العاملين في قسم الدعاية والصحافة في اللجنة المركزية للحزبالشيوعي الروماني ، وتشيكنشفيلي رئيس شعبة في قسم الدعاية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي ، لودانوف رئيس تحرير قسم الملصقات السياسية ، في دار اسكوستفا في الاتحاد السوفييتي ، وارفولا محرر دار النشر التابعة للحزب الشيوعي الفنلندي ، ونول عضو الحزب الشيوعي الالماني ، وكاشي رئيس شعبة في قسم الدعاية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ، وهوسكا رئيس شعبة في قسم الدعاية التابع للجنة المركزية للحزب السلوفاكي ، هيجر فنان شيوعي تشيكي واستاذ في المدرسة العليا للفنون التطبيقية .

مواكبة للعصر

في مجرى النضال الثوري تطورت الدعاية المرئية بوصفها جانبا مستقلا من جوانب عمل الحزب بين الجماهير . وقد خدمت بربطها الدعوة السياسية بالإعلام والتعبير الفني ، الطبقة العاملة باخلاص في كل مراحل نضالها في سبيل التحرر . فهي وسيلة فعالة ، ومتحدة ، وذات تأثير عاطفي كبير .

كتب انجلز يقول : « **الملصقات هي الوسيلة الرئيسية للتأثير على**

البروليتاريا .. وأى شىء أجدر بالمحافظة على الطاقة الثورية بين العمال من الملصقات التى تحول كل شارع الى جريدة كبيرة . فالملصق بالنسبة للعامل جريدة وناد فى الوقت نفسه ، ويقدم مجانا تماما » .

ان لينين الذى كان يعتبر الدعاية المرئية ، كما هو معروف ، ذات اهمية بالغة كتب مؤكدا على تأثيرها الثورى يقول : « **استجابة للمنشور الذى يعده ويوزعه (مائتان أو ثلاثمائة من الناس) يتحرك كرجل واحد مائتان وخمسون الفا فى سانت بطرسبيرج** » (المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد ٢٣ — ص ٣٠٤) . وكان يعتبر أن قيادة الحزب للجماهير يجب ان تستخدم « **المنشورات المختصرة التى تتسم بالسرعة والتحركة والتحيوية — وهى نشرات تقدم الشعارات الرئيسية ونتائج الاحداث الرئيسيـــــة** » (المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ ص ٣٦١) .

وتطورت على مر السنين من النضال الثورى والبناء الاشتراكى وسائل مختلفة لتقديم الدعاية المرئية وهى الملصقات والصور التى تعرض عن طريق شرائح زجاجية ، والمنشورات ، والمعارض ومنصات المعلومات والشارات التى تعلق على الصدور ويستحيل حصرها جميعا . خاصة عندما تخلق الحياة اشكالا وأنواعا متجددة على الدوام للدعاية المرئية ، مثل لوحات الاعلام الكهربائية والشرائح الملونة الخ .

ولكن ، اى دور تلعبه الدعاية المرئية اليوم فى العمـــــل الايديولوجى والسياسى والتنظيمى للاحزاب الشقيقة ؟ ألا تقل أهميتها مع تطور وسائل الاعلام العامة ؟ فكل فرد تقريبا يستمع الى الاذاعة ، ويشـــاهد برامج التليفـزيون والافلام ، ويقرأ الصـــحف والمجلات والكتب والكتيبات ، ويستخدم كل وسائل الاتصال الحديثة . ألا يؤدى هذا الى تضييق نطاق الدعاية المرئية ؟ كانت هذه الاسئلة فى مركز المناقشة التى دارت .

قال **بيد ستروب** ، ان بعض الناس يعتقدون على سـبيل المثال أن فن الملصقات قد غفا عليه الزمن ومضى عهده وأن احدا لاينظر الى الملصقات والناس يمرون مسرعين ويمضون فى عجلة فى السـيارات ، ولا يلحظون ماحولهم من أشياء . وهذا غير صحيح . فلا ينبغى أن يهون المرء من شأن الملصق السياسى كوسيلة للنضال ، والتأثير على الجماهير اليوم وغدا وفى المستقبل . وأنا مقتنع بأن مستقبلا عظيما ينتظر الملصقات .

وقال **مينتيس** ، كان الشيوعيون اليونانيون ولايزالون يناضلون فى ظروف غير قانونيه وشبه قانونية لسنوات طوال ضد الغزاة الاجانب ونظم الحكم الرجعيه . وفى هذه الظروف الصعبة تصبح الدعاية المرئية اهم اسلوب ، وفى فترات معينة الاسلوب الوحيد تقريبا لنشاط الحزب بين الجماهير .

وقد وجهنا ضربة عنيفة عقب انقلاب « الكولونيلات السود » مباشرة فى سنة ١٩٦٧ . لم تكن لدينا صحف ، ولكن كانت لاتزال لدينا محطة الاذاعة « صوت الحق » . وكانت التوجيهات التى تذيعها تحول على الفور الى منشورات وشعارات . وكانت المنشورات تكتب باليد والالة الكاتبة ، وقد أدت عملا رائعا ، فكانت تلهم الشعب وتنشطه ، بينما كان وزير الداخلية الغاضب يصرخ « لقد حان الوقت لوضع حد لهذه القصاصات من الورق » . ولكن عددا كبيرا منها ظهر ، كما كان الحال من قبل ، فى الشوارع والميادين والحدائق ودور السينما ، وفى الاماكن التى كانت الزمرة الحاكمة تنظم فيها الاحتفالات والاجتماعات ، وعلى الجدران ولوحات الاعلان . وعبات الزمرة الحاكمة الشرطة لاتلاف المنشورات ، ولكنها عادت الى الظهور . وأدرك الشعب أن الحزب موجود ويعمل . وينظم معارضة الفاشية .

وتعرض الذين اعتقلوا بسبب توزيع هذه « القصاصات من الورق » أو الاحتفاظ بها لتعذيب وحشى . وصـــدرت على الكثيرين منهم أحكاما قاسية ـ تصل الى السجن عشرين عاما لمنشور واحد فحسب !

وقال **غالى** ان حزبنا يعمل فى ظروف مختلفة . فالحزب الشـــيوعى الايطالى يحاول باعتباره حزبا جماهيريا ، أن يستخدم مختلف أشــكال النضال القانونية ـ من البرلمان حتى منظمات الفروع . ونحن نصـــدر جريدة **لونيتا** ومجلة ريناسيتا . بيد أننا محرومون من استخدام التليفزيون والاذاعة ، ولا علاقة للكثير من الناشرين بنا . وتهيمن التجمعات اليمينية الحاكمة ، وخاصة المسيحيون الديمقراطيون ، على قطاع الدولة فى وسائل الاعلام العامة (الاذاعة والتليفزيون وبعض المجلات الاسبوعية) . وبعض التجمعات الاقتصادية والمالية القوية ، تشغل مراكز رئيسية فى الصحافة اليومية والدورية وفى عالم نشر الكتب الى حد ما . **فرغم أننا نستطيع القيام بدعايتنا واثارتنا بشكل قانونى ، فان لدينا ، بالمقارنة مع... جوازية ،**

وسائل أقل كثيرا للقيام بذلك . ولهذا السبب يوجه حزبنا عنـاية كبيرة للدعايه المرئيه ، التى يعيم عن طريقها اتصـــالا مباشرا بملايين الناس . وطبيعى أننا لاننسى الاســـاليب الاخرى للتاثير فى الجماهـير . ولا تزال الملصقات والمنشورات والصـــور الفوتوغرافية تحتفظ باهميتها . وهى تستخدم طبقا للظروف لكى تعطى دعايتنا صفة الصـــدق والاهتمام ، ولتكشف العدو ، ولتعرف الجماهير الواسعة بمقترحات الشيوعيين .

وقال نول ان الاحتكارات فى جمهورية المانيا الاتحادية تستخدم ، لكى تعزز سلطتها ، الجهاز الذى انشأته هى نفسها لتشكيل الرأى العام . وكان على الحزب أن يخلق جهازه الاعلامى والدعائى الخاص به . ولاتزال الكلمة المنطوقة هى الاداة الرئيسية لنشر الافكار الشيوعية ولشرح سياسة الحزب . ومع ذلك ، فكم عدد العمال الذين يستطيع أربعون شـيوعيا أن يتحدثوا اليهم فى مصنع يستخدم ، على سبيل المثال ، ١٠٠٠٠ عامل ؟ وما الذى يمكن عمله لمواجهة جهاز الاحتكارات الايديولوجى القوى الذى يؤثر على العمال فى هذا المصنع ؟ **كان علينا أن نجد سلاحا يمكن الحزب من التحدث الى آلاف الناس فى وقت واحد ، وقد قدمت الاجابة عن ذلك صحف المصانع التى يصدرها الحزب الشيوعى الالمانى .**

وهذه الصحف ليست كبيرة جدا ، وهى أشبه بالمنشورات . الا أنها تجتذب الانتباه دائما لانها تطبع بألوان متعددة ، وتحمل عنـاوين كبيرة ، وتتضمن رســوما كاريكاتيرية وتخطيطات بيانية ، وتوضح للعمال كيف يحققون مطالبهم . وهى كذلك تعرفهم بسياسة حزبنا وأهدافه .

وقد سمعنا نحن كذلك من يقولون : من فى عصر التليفزيون والاذاعة هذا سوف يقرأ المنشــورات ؟ والمثل الذى نتج عن مقارنة عقــدناها بين الايجارات فى جمهورية المانيا الاتحادية وجمهورية المانيا الديمقراطية هو افضل جواب لهذه الافكار :

« شقة للايجار مكونة من اربع غرف فى مبنى جديد ، فيها حمام وشرفة ومطبخ باثاثه ، وانبوبة للتخلص من المهملات ، وتدفئة مركزية . الايجار

١١٢ ماركا فى الشهر ، ولا تؤدى اية مبالغ مقدما ، ولا منح للوسطاء . ولكن هناك شرط واحد ، هو انك يجب ان تكون من مواطنى جمهورية المانيا الديمقراطية » .

وقد نشرنا هذا النص كاملا فى الصحف التى نصدرها فى المصانع وكان تأثيره شديدا . والصق العمال غير الاعضاء فى الحزب الاعلان على نوافذ السيارات وجدران المنازل . واتصل المستأجرون تليفونيا بمنظمات الحزب يسألون عن الايجارات فى البلدان الراسمالية والاشتراكية ، وناقشوا أسباب ارتفاع تكاليف المساكن فى جمهورية المانيا الاتحادية . وادت المناقشات الى اثارة موضوع من الذى يملك وسائل الانتاج والارض ، وما الذى يجب عمله بحيث تصبح الجماهير العاملة فى البلدان الراسمالية السادة الحقيقيين لبلادهم .

ولا شك أن تأثير هذه المنشورات أوسع كثيرا من برامج التليفزيون المعادية للشيوعية التى تستغرق ساعات طويلة وأضخم كثيرا من الاطنان العديدة من ورق الصحف الذى يستخدم فى مطبوعات شبرنجر ...

وتحدث فلودارزيك ، وسيفيرت ، وكازاجيوروف ، وكاشى ، وتوماش وتشيكنشفيلى ، وشتيفان عن تطور الدعاية المرئية فى البلدان الاشتراكية حيث تستخدم وسائل الاعلام العامة والدعاية فى صالح الشعب . ففى البلدان الاشتراكية يمكن ضمان تعاون وثيق بين الصحافة والاذاعة والتليفزيون والسينما ووسائل الدعاية المرئية . ولكل وسيلة من وسائل الاعلام العامة أساليبها الخاصة فى تناول المهمات العامة ، مثل مساعدة الحزب على تعبئة الجماهير فى سبيل بذل جهد خلاق ، والمساهمة فى انشاء علاقات عامة اشتراكية والتثقيف الشيوعى للجماهير العاملة وتوضيح قرارات الحزب .

والنجاح المستمر الذى تحققه المعارض ، والتوزيع المتزايد للملصقات السياسيه ، وازدياد الطلب على الصور التى تعرض عن طريق شرائح زجاجية واللوحات ، شاهد على ازدياد دور الدعاية المرئية فى البلدان الاشتراكية .

قال **تشيكنشفيلى** ، ان دور النشر السوفييتية اصدرت فى العام الماضى اكثر من ٥٠٠٠ ملصق بلغ مجموع ماطبع منها ١٣٠ مليون نسخة . وبالاضافة الى هذا ، نشر عدد كبير من وسائل الايضاح المدرسية – وقد تجاوز توزيعها ٥٠ مليون نسخة ، ويزداد الطلب عليها على الدوام .



تطور الملصقات - هكذا تسمى لوحات الفنان هيرلوف بيرستروب

واكد كل الذين شهدوا الاجتماع ـ وهم ممثلون لاحزاب تعمل فى ظروف شديدة الاختلاف ـ ان سلاح الدعاية المرئية لم يعف عليه الزمن . ومع ازدياد حدة الصراع الطبقى فى البلدان الرأسمالية ، واشتداد معركة الافكار بين قوى الاشتراكية وقوى الرأسمالية ، يمكن ان يبرهن على قيمته العظيمة للشيوعيين والطبقة العاملة . ولذلك فمن الامور الاساسية التى لها مايبررها توجيه الاهتمام الى زيادة تحسينه ، وقد جرى الحديث عن هذا كذلك فى « المائدة المستديرة » .

عندما ترى تصدق

رغم أن الدعاية المرئية لاتنافس الاشكال الاخرى لوسائل الاعلام العامة ، فقد أشير الى الحاجة الماسة الى اقامة تعاون فيما بينها . وقال شتيفان وفلودارزيك أن مجال عمل الدعاية المرئية ، تبعا لذلك يجب تحديده بشكل واضح بما يتناسب مع طبيعته وقيمته .

ان الوسائل التى تستخدمها الدعاية المرئية تهتم أساسا بالانفعالات . ولذلك ، فمن الواجب أن تكون الملصقات والمعارض واللوحات ذات المستوى الايديولوجى العالى الذى ينسجم مع المقاييس الجمالية الحديثة ، معبرة وقادرة على احداث الاستجابة الانفعالية لدى الناس .

وتتأثر الوسائل المستخدمة فى الدعاية المرئية بالمنجزات العلمية والتكنيكية ، فتطرأ عليها تغيرات فى الاسلوب ، ويغتنى تركيبها ، وتنشأ أساليب جديدة للتجسيد .

قال **تشيكنشفيلى** ان خبراء الملصقات السوفييت قد عملوا الكثير لكى تكون الدعاية المرئية مساعدا قيما للحزب فى اقامة المجتمع الشيوعى . ولكن من الطبيعى أنه كلما اتسع نطاق العمل ، اتسعت معه المشكلات .

من المحتمل تماما أن الدعاية المرئية ، فى ظروف « انفجار المعلومات » ، سوف تقوم بدور كبير فى تكوين انطباعات دائمة عن طريق الحياة السوفييتية والديمقراطية الاشتراكية . ولذلك يجب أن تكون الدعاية المرئية أكثر ارتباطا بالواقع وبالمهام التى يسعى الحزب والشعب لانجازها . ويجب أن تكون فعالة ، تظهر فى الوقت المناسب ، وتسبق الاعمال الايديولوجية التى تقوم بها البرجوازية .

ولدينا الكثير مما يستحق الثناء والفخر به . ولكن الفنانين والكتاب ليسوا دائما قادرين على أن يجدوا أشكالا ادبية وصورا واضحة لاتنسى .

ويلجأ بعض الفنانين بدلا من الصور الواضحة ذات الرسالة الواضحة بالنسبة للناس الى تصميمات مجردة تطمس الفكرة وتجعل فهمها اكثر صعوبة . ونحن نعارض بقوة مختلف نظريات « الجاذبية الجمالية » أو « النسيج الفنى المعقد » عند تطبيقها فى الملصقات ، وهى نظريات تبرر تطورا أحادى الجانب للاسباب الفنية بمعزل عن المضمون .

ان الهدف ، فى الواقع، هو تحويل الملصق الى رشاش أونى يثير لاعجاب لا لشيء سوى تركيب الوانه ، ورقة الشكل والخطوط . وهذا مايفضي الى اختفاء الجوهر ذاته للملصق السياسى : رسالته السياسية المباشرة الواضحة تماما ، ومضمونه الاجتماعى — السياسى الظاهر . نحن كذلك ضد التصوير التافه المبتذل والكليشيهات . وليس سرا أنه لاتزال هناك ملصقات كثيرة فقيرة فى مضمونها وتكرر الصور القديمة .

ان البحث عن طرق فنية أصيلة جديدة ، والرفض الحاسم لتكرار الاساليب التى تعوزها الاصالة ، والسعى الى التنوع المثمر فى الاساليب ، هذه هى الامور الاساسية من اجل مزيد من التطوير الخلاق للملصقات السياسية فى الواقعية الاشتراكية .

واشار **كاراجيوروف** الى أن قسم الدعاية فى الحزب الشيوعى البلغارى يميل الى جعل دعايته المرئية قوية مؤثرة ، والى استخدام احدث الوسائل التكنيكية بشكل كامل . والنجاح الذى يتحقق فى التطوير الاقتصادى والثقافى للبلاد يجعل من الممكن استخدام أنواع الفن البارزة التى تستخدم فيها الزخرفة — مثل الفسيفساء والخزف والتماثيل — رغم أن هذه الاشكال تقتضى عناية خاصة بالموهبة الفنية .

وقال **توماش** اننا قد أنشأنا ، كتجربة ، نظاما من معارض الدعاية ، تتميز بأنها تعكس ، الى جانب نماذج متنوعة للحاضر ، ديناميكية تطور المجتمع المجرى . وقد أقيم فى الآونة الاخيرة معرض متنقل عن الطبقة العاملة . وهو يوسع على الدوام باضافة مواد محلية عن حياة المواطنين ونجاح عملهم فى المنطقة التى يوجد فيها المعرض . وهذا يساعد كذلك السكان المحليين على المقارنة بين النجاح الذى تحققه البلاد بأسرها والنجاح الذى تحققه منطقتهم أو مدينتهم أو مؤسستهم .

وتحدث ممثلو الاحزاب الشيوعية فى البلدان الرأسمالية عن أساليب التوزيع والبحث عن أشكال للدعاية المرئيه تلائم بصورة افضل الوضع الملموس ، والوسائل المتاحة لنشر أفكار الحزب . وفى ظروف انعدام العمل القانونى والقمع والاضطهاد ، تكون الحاجة كبيرة الىالابتكار بصفة خاصة .

وقال مينتيس ان أساليب جديدة تبتكر باستمرار . فعلى سبيل المثال تحشى انابيب العادم فى السيارات بالمنشورات ، وما ان يبدأ المحرك فى العمل تندفع المنشورات مثل الدوامة .

وفى الاستفتاء الذى أجرى اخيرا فى أثينا ، الصقت الزمرة الحاكمة مئات الملصقات التى تحمل شعارها ــ العنقاء ، وكلمة « نعم » . وقد مزق الوطنيون اليونانيون هذه الملصقات وبدا وكأن الخلفية السوداء التى كشفت تقول للزمرة الحاكمة « لا » .

وقال وهو يحمل فى يده قطعة صغيرة من الورق « هذا منشور صغير جدا يشبه طابع البريد . ويمكن أن يطبع عليه شعار معاد للدكتاتورية ، مثل « لا » ويمكن الصاقه فى أى مكان على واجهات الحوانيت ، والسيارات والمركبات العامة والترام .

والرسائل التى يبعث بها المعتقلون السياسيون من السجون والمعسكرات ، ورسومهم ، والنشرات المكتوبة بخط اليد (التى يوزعها الحزب على شكل منشورات) والامثلة العديدة لاعمالهم اليدوية ، كلها لها تأثير كبير .

وقال نول على الرغم من اننا نمارس عملنا قانونيا فنحن نحاول أيضا أن نجد وسائل جديدة للدعاية المرئية . وقد ذكرنا فيما سبق على الصحف التى يصدرها الحزب الشيوعى الالمانى فى المصانع . والمواد التى يعدها دائما أعضاء مجموعات الحزب فى المصانع ، ولذلك فان محتواها يعبر عن الحقيقة . ونحن نصدر كذلك منشورات مماثلة فى المناطق الصناعية وفى القرى ، ومؤسسات التعليم العالى ، ونخاطب مجموعات معينة من السكان

و « رسائل الى الجيران » وسيلة فعالة جدا هى الاخرى . فعندما ترتفع الاسعار ، على سبيل المثال ، يكتب الشيوعى الى أحد جيرانه رسالة يعبر فيها عن رأيه ويشرح موقف الحزب . ونحن ننشر دائما فى هذه « الرسائل » صورة الكاتب ، وهذا يساعد على اقامة علاقات شخصية بين الشيوعى وبين السكان .

وقد استخدمت منصات المعلومات على نطاق واسع ، ونحن نعلق عليها اهمية كبيرة . وتسترعى المنصات الموضوعة فى الشارع ــ بملصقاتها الجذابة ، وبالعرض المعد اعدادا جيدا لموضوع معين ــ انتباه المارة وتثير

نقاشا سياسيا . كما تباع صحيفتنا أونزره تسابت وتوزع مواد الحزب الاخرى .

وقال أرفولا ان منظمات حزبنا تستخدم الشرائح المصورة بشكل متزايد. وهى وسيلة فعالة للدعاية المرئية . ونحن نعرف الناس ، بعرض هـذه الشرائح بنشاط الحزب الشيوعى الفنلندى وبالوضع السياسى فى البلاد .

وفى أثناء انعقاد هذا الاجتماع ، كانت الملصقات التى ارسلتها الاحزاب المشتركة فيه معروضة فى مبنى مجلة قضايا السلم والاشتراكية ، وقد أثارت النقاش حول طرق تطوير الملصقات السياسية . ومن بين ماقاله الفنان الشيوعى الدانمركى بيدستروب :

« يطرأ تغير على فن الملصقات ، ويحدث فيه تطور . وصحيح انه لايمكن اعتبار كل ماهو جديد ناجحا . واعتقد أن الاتجاه الحالى لاستخدام الكلمات فى الملصقات موضع نقاش . وهناك أوقات تختفى فيها الرسوم من الملصقات لتحل محلها الكلمات . ويبدو لى اننا فى مثل هذه الحالات نقلل من الاثر الانفعالى فى سبيل عقلانية خاطئة . فالملصق شكل من الفنون التصويرية يتحدث الى المشاهد بلغته الخاصة ، لغة التخيل الفنى ، لغة الرموز .

« ولست ضد نص يكون جزءا متمما للملصق ، ولكن يبدو لى أن النص يجب أن يكون موجزا قصيرا الى أدنى حـد . واذا أردنا أن نذكر عيوب ملصقات اليوم ، فان العيب الرئيسى هو عجز الكثير من الفنانين عن خلق أعمال تثير انفعالات الانسان ، وتؤثر فى نفسيته .

« ان اللون له أهمية بالغة . ولوننا الرئيسى هو الاحمر ، لون الثورة ، لون يستنهض الناس ويثيرهم ويدعوهم الى العمل . واذا انتزعنا اللون الاحمر من الملصق ، فانه يفقد الكثير ..

« والظروف التى يعمل فى ظلها فنانو الملصقات فى البلدان الرأسمالية تختلف اختلافا كبيرا عن الظروف فى البلدان الاشتراكية . فالملصقات التى يريدها الرأسماليون هى للاعلان عن معجون الاسنان والمساحيق وكل سلعة يمكن تصورها ، ولكنهم بكل تأكيد ، لايريدون ملصقات عن نضال العمال ، أو رسوما كاريكاتيرية عن الموضوعات الاجتماعية . ولكن سيأتى الوقت الذى سوف نستمتع فيه بالظروف الممتازة المتوفرة فى البلدان الاشتراكية . وآمل أن تجعل العالم كله أحمر اللون ، بحيث يستطيع أن يعلن « عن الاشتراكية للكواكب الاخرى » .

للقيادة والتوجيه

تتوقف فاعلية الدعاية المرئية على قيادة الحزب . وقد تم فى الاجتماع تبادل المعلومات عن طرق تنظيم الدعاية المرئية .

ففى البلدان الاشتراكية يوجد نظام مرن مدروس يجعل من الممكن على كل المستويات — فى المركز وفى الاقاليم — توجيه نشاط كل فروع الاثارة المرئية . واشار ممثلو الاحزاب فى البلدان الاشتراكية الى ان من السمات المميزة لهذا النظام الاشتراك فى اللجان والمجالس الاستشارية التى تعالج أسانيب العمل والتى تشكلها الفروع الحزبية والمنظمات الاعلى . ويعمل فى هذه اللجان والمجالس الفنانون والكتاب وعلماء النفس والاجتماع ورجال الاقتصاد والمؤسسات فى المدن والقرى الخ ..

وقال **سيفيرت** ان اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد قد انشأت دار نشر خاصة بحيث يمكن تزويد هيئات الحزب والهيئات العامة بوسائل الدعاية المرئية .

وقال **كاشى** أن لدينا فى تشيكوسلوفاكيا مجلة « الآثار المرئية » التى توزع ٧٠٠٠٠ نسخة .

وعلق **شتيفان** قائلا أن منظمات الحزب فى رومانيا توجه أهمية كبيرة الى تبادل الخبرات فى هذا المجال . وتنظم معارض خاصة تعرض فيها أهم الاساليب الحديثة فى الدعاية المرئية .

وقال **فلودارزيك** أن لدينا فى وارسو مايحتمل أن يكون المتحف الوحيد فى العالم للملصقات ومجلة « سوجيستى » ، التى لا تعالج الا الموضوعات الدعائية المرئية ، وتصدر منذ أربع سنوات .

والاحزاب الشقيقة فى البلدان الرأسمالية تنظم هى الاخرى ، طبقا لظروفها ، شكلا مناسبا من أشكال قيادة الحزب . وقال غالى أن اللامركزية وتطور المبادرة المحلية هى السمة البارزة للعمل الدعائى للحزب الشيوعى الايطالى . فمن المستحيل أن تصدر مادة دعائية فى المركز ونوزعها بشكل سريع على الاتحادات (وعددها ١١٠) والاقسام « وعددها ١١٠٠٠ » . وهذا يقتضى قدرا كبيرا من الوقت ، بينما تبرز يوميا الحاجة الى الاتصال بالجماهير ردا على الدعاية البرجوازية . ولذلك فان الاتحادات والاقسام عليها هى نفسها أن تصدر دعايتها المرئية . ومن الطبيعى أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى توجه نشاط المنظمات الاساسية للحزب ، وتعقد الكونفرنسات ، وتصدر نشرة خاصة .

وخصص **أرفولا وماتسينجر ونول** ، فى كلماتهم قدرا كبيرا من الاهتمام الى تدريب الكوادر واجتذاب الاخصائيين الى العمل الدعائى واكدوا ان النجاح فى هذا المجال من العمل يتوقف الى حد كبير على الذين يعهد اليهم به .

وقد خاطب مجلس الحزب الشيوعى الالمانى مؤتمرا للكتاب عقد فى وقت قريب ملتمسا منهم المساهمة فى المطبوعات الشيوعية . واستجاب لهذه الدعوة بعض الكتاب غير الشيوعيين فكتبوا فى صحافة الحزب وأعدوا منشورا والفوا أغانى سياسية . وفى مختلف المناطق تشكل مجموعات من فنانى الملصقات الاعضاء فى الحزب والعاطفين عليه . والعلاقات مع المثقفين ليست ذات طبيعة « استهلاكية » فحسب . فمعارض الفنانين ذوى الميول التقدمية تنظم فى المؤسسات الكبيرة بمساندة العناصر النشطة من النقابيين . وبهذه الطريقة يسعى الحزب الى تقريب الفن من العمال بينما يزيد من تأثير العمال على الفن .

وفى أثناء مناقشة أساليب قيادة الحزب ، اشير الى الرغبة فى زيادة تحسين التعاون العالمى وتبادل الخبرة فى الدعاية المرئية .

وقال **غالى** : ان الدعاية للاشتراكية اليوم قضية حيوية بشكل خاص . فالغرب الرأسمالى بأكمله يمر بأزمة حادة ، وهى ليست أزمة اقتصادية فحسب ، بل وكذلك اجتماعية وسياسية وثقافية . ونحن فى وقت بدأ فيه الكثيرون من الذين يؤمنون بالنظام الرأسمالي يقدرون الاختيار الذى أقدمت عليه البلدان الاشتراكية .

ولاشك أن الدعاية لهذه القضايا هى أساسا مهمة الاحزاب الشيوعية فى البلدان الرأسمالية . ولكننا نأمل ان نتمكن عن طريق التعاون مع أحزاب البلدان الاشتراكية من انجاز هذه المهمة بفاعلية كبيرة . وأود أن أشير الى مثل مهرجان جريدة أونيتا . وقد أرسلت الاحزاب الشيوعية فى البلدان الاشتراكية فى السنوات الاخيرة وفودا للمهرجانات ، ونظمت مختلف المعارض والعروض ، وقدمت أفلاما فنية ووثائقية . وقد حظى هذا باستجابة هائلة من المجتمع الايطالى ووسع معرفة الناس بالبلدان الاشتراكية . وشجع على القيام بأبحاث مشتركة لايجاد أشكال ووسائل جديدة لابراز منجزات الاشتراكية الحقيقية . ونحن نعتبر أن هذه التجربة يمكن أن تكون نقطة البداية لتعاون أوسع فى المستقبل .

وقال **فلودارزيك** : من الممكن أن تكون الاجتماعات التى يعقدها الاخصائيون

حول معارض متخصصة أو عامة ذات فائدة كبيرة . ويجدر بنا الاهتمام بأشكال المساعدة المتبادلة عندادخال وسائل تكنيكية جديدة للدعاية المرئية

وقال **كاراجيوروف** : توجد الان حاجة الى التعاون الثنائى وبين أطراف متعددة فى انتاج الملصقات . ويجب أن نفكر فى تنظيم معارض مشتركة .

وقال **ماتسينجر** : نحن نعتقد انه يجدر بنا تنظيم تعاون شيوعى عالمى لتطوير دعاية مشتركة ردا على هجوم الاحتكارات فوق القومية .

وقال **تشيكنشفيكى** : من الواضح اننا وصلنا الان الى مرحلة ينبغى عندها اعداد تبادل منظم للمعلومات بين دور النشر لدينا . وقد ظلت تنشر لفترة من الزمن حتى الان كتبا ودراسات علمية ينتج فيها مؤلفون من بلدان مختلفة أعمالا بصورة مشتركة عن القضايا الراهنة . **فلماذا لاتوحد جهودنا فى اعداد ملصقات سياسية ؟ وقضايا مثل النضال ضد العدوان ، والنضال ضد الرجعية الامبريالية ، والتعاون الاشتراكى بين الشعوب ، والتكامل الاشتراكى ، وقضايا اخرى عديدة ، يمكن أن تكون اساسا جيدا لكى تعد بصورة مشتركة سلسلة من الملصقات السياسية تصدر فى آن واحد فى عدة بلدان .**

وكشف الاجتماع مرة أخرى عن الامكانيات الضخمة الكامنة فى الدعاية المرئية والمتزايدة أبدا ، وكشف عن الخبرة الهامة المتنوعة للشيوعيين الذين يستخدمون هذه الدعاية بأوسع طريقة ممكنة فى العمل السياسى والايديولوجى والتنظيمى . واختتم الاجتماع بالتعبير عن الامل فى أن تجذب الدعاية المرئية فى المستقبل ، بتأثيرها القوى ، ملايين العمال الى النضال النشيط من أجل السلام والديمقراطية والاستقلال الوطنى والاشتراكية .

●



في الفـــن والثقـافـة :

من عواصم العـــالم :

ذكريـــات :

الفكاهة والنقد الساخر في الاتحاد السوفييتي

بقلم : الكسندر فيخريف

الى جانب المجلة الاسبوعية الفكاهية « كروكوديل » التي تصدر في موسكو في ٥ر٥ مليون نسخة ، يوجد في الاتحاد السوفييتي ١٩ مجلة فكاهية اخرى يصل عدد نسخها ٥ ملايين نسخة .. كما توجد بالاضافة الى ذلك ابواب فكاهية ثابتة في الصحف المركزية والمحلية ، وبرامج مماثلة في الاذاعة والتلفزيون ، ومئات الكتب الانتقادية الساخرة التي تصدر كل عام ، والمسارح والافلام الكوميدية ، والبرامج الساخرة في فرق المنوعات الفنية وفي السيرك ، وصحف الحائط في المصانع والمؤسسات ، ومعارض الفنانين الساخرين . ومن خلال كل ذلك ، يمكن ان يكون لدى القارىء صورة تقريبية عن الابعاد الاجتماعية للنقد واهميته في الاتحاد السوفييتي . ويشكل النقد المرتبط بالفكاهة احد الاساليب التي يتم بها نقد النواقص والاخطاء في المجتمع الاشتراكي ولفت الانظار اليها وتصحيحها .

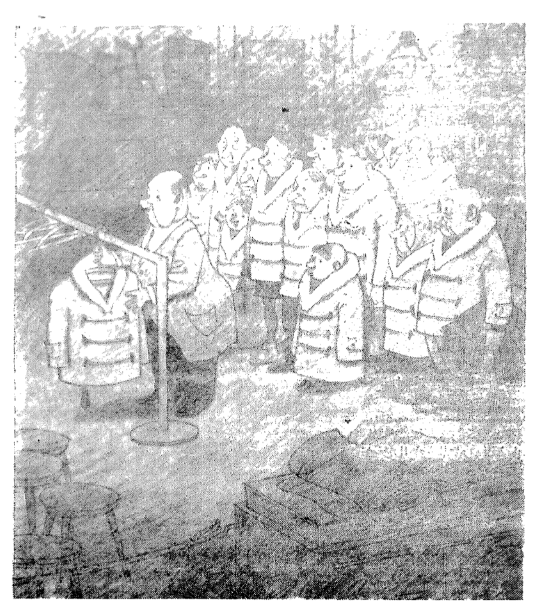
ويلعب النقد بشكل عام والنقد الفكاهي بشكل خاص دورا كبيرا وايجابيا وبناء في المجتمع الاشتراكي .

فما هو هدف النقد في المجتمع السوفييتي ؟ ان النقد موجه ضد كل النواقص ، ضد كل ما من شانه ان يعرقل تطور العلاقات الاجتماعية الاشتراكية ويعوق تحقيق المعدلات الامثل للنمو الاقتصادي ، وضد كل ما من شانه ان يقف في وجه الاخلاق الشيوعية القائمة على المبدأ الانساني السامي « الانسـ صديق الانسان ورفيقه » . ويوجه الـ ضد اية شخصية ، مهما كان المنصب الـ تشغله ، وضد الاخطاء التي تعرقل فعـ القوانين وتساعد على التفسخ الخلقي ضد الجهل والانانية والغرور ، وضـ الاعمال التي تلحق الضرر بالمجتمـ السوفييتي ماديا او معنويا .

ويمكن ان نتبين مدى جدية النقد ـ عناوين المقالات الانتقادية والتحقيقـ الصحفية والملاحظات التي تنشرها مجـ « كروكوديل » ومنها على سبيل المثال « رسالة مفتوحة الى المرتشين والراشين و « اللهفة على المناصب الادارية و « انها وجوه معروفة » و « الذ يضعون العراقيل » .

والنقد ليس وقفا على مجـ « كروكوديل » وحدها . فقد كشفت جريـ « ترود » النقابية منذ فترة عن وصولـ مدير المعهد الطبي في تبليسي بجورجيا وقامت بتعريته وفضحه في مقـ بعنوان « ضمير العالم » طرحت ـ القضية على الراي العام واوضـ انه حيثما تظهر المحسوبية تشكل تر خصبة للظواهر المعادية للمجتمع .

ويقوم فنان الشعب ميخائيل اوليانو باعداد مجموعة من الافلام باسم « الحقـ للشباب » تهدف الى انتقاد الظواهـ الغريبة على المجتمع السوفييتي . كمـ نشرت جريدة « ازفستيا » مقالا انتقاد اكدت فيه على ضرورة حماية غابا



المدير بعد فحص البلاطى التى استلمها : كل البلاطى
دى لموظفى المحل ، وهذا البالطو كفاية للبيع للجمهور

جيجولى الناضرة على ضفاف نهر الفولجا .. ونتيجة لهذا المقال اتخذت اللجنة التنفيذية للمجلس البلدى فى المقاطعة التدابير لحماية هذه الغابات . وهذه ليست سوى بعض امثلة من الاعمال الانتقادية فى المجتمع السوفييتى .

ويحاول بعض « النظريين » التأكيد بأن النقد الساخر يتميز بخاصية معروفة وثابتة ، وهى انه يجب ان يقف دائما وفى كافة الحالات فى موقف المعارضة للنظام القائم .

ولو كان هذا الادعاء صحيحا لكان على النقاد فى المجتمع السوفييتى أن يقفوا ضد الحزب الشيوعى والحكومة السوفييتية التى تهدف الى زيادة رفاهية الشعب ، والمحافظة على استقرار الاسعار ، وضد جهودهم فى سبيل السلام وتحقيق الانفراج فى اوربا وفى العالم . وعند طرح القضية بهذا الشكل يخرج علينا هؤلاء الذين لا يرون وجود نقد حقيقى جاد فى الاتحاد السوفييتى قائلين اننا لا نقصد بالطبع مثل هذا النوع من النقد ، لكننا لا نستطيع أن نتصور كيف يمكن للنقد الساخر الحق أن يكون غير



ـ ايه اللى حصل لك
ـ واحد قريبى فى البوليس ساعدنى فى استخراج رخصة قيادة وانا لا اجيد القيادة

معارض ؟ ويتساءلون الا يؤدى ذلك الى اضعاف النقد وعدم جدواه ؟ ويرى هؤلاء ان النقد فى المجتمع الاشتراكى نقد مفتعل وتلقائى وهم بذلك يؤكدون عدم ادراكهم للوظيفة الاجتماعية للنقد الساخر فى مختلف الظروف التاريخية .

لقد قيل فى روما القديمة أن الضحك يقتل . غير أننا يجب أن ندرك من يقتل الضحك ولاى هدف ؟ من يحطم النقد الساخر ولماذا ؟

يقف النقد الساخر فى المجتمع الاشتراكى موقف المعارضة ضد كل ما يعرقل تقدم الاشتراكية . وعندما يفضح النقد السوفييتى الساخر النواقص فى أذهان الناس ويكشف عن ضرر الانانية والجشع وسوء استعمال السلطة والمحسوبية ، فانه يوطد بذلك مواقع الاشتراكية .

وهكذا يتضح أن الخاصية الواقعية الثابتة للنقد الساخر لا تكمن بالتأكيد فى المعارضة التلقائية لكل نظام اجتماعى ولقيادته ، وانما فى مساندة ودعم قوى التقدم الاجتماعى وقيادتها . ويؤدى الفنانون والكتاب السوفييت دورا كبيرا فى هذا المجال ، وتجد انتقاداتهم صدى وايجابيه بين أوسع أوساط الرأى العام .. ويعكف الكاتب السوفييتى سيرجى ميخالكوف على اخراج الفيلم النقدى الساخر « الفتيل » . وتعالج المقالات الشعرية الساخرة للكاتب ستيبان أولنيك ومسرحيات أندريه ماكيونيك ، وقصص وأحاديث فاضل اسكندر ، والرسوم الكاريكاتورية للثلاثى الشهير كوكرينكس المسائل التى تشغل الرأى العام والقضايا الفنية المرهفة التى تهدف الى ن يصبح الانسان أنقى وأطيب ، والتى تسعى الى القضاء على النواقص التى تبرز فى مختلف المجالات .

لا بد ن نشير الى أنه لا ينبغى تجاهل قدرة الانتقاد الساخر على التعميم .. فالفنان الساخر حينما يقدم فى صورة فنية ساخرة احد المسئولين الذين يتجاهلون احتياجات مرءوسيهم ، فان درجة فضحه لا تحددها قطعا المناصب



مكتب المدير :
مواطن ــ ممكن أدخل (يدفع نقودا بيده من تحت الباب) .

الذى يشغله هذا المسئول، وانما تحددها قوة الاحساس والمهارة التى يسـلطها الفنان فى حكمه الساخر على كافة المسئولين من هذا الطراز ، وعلى ظاهرة عدم الاكتراث بشكل عام ، تلك الظاهرة المرفوضة فى المجتمع الاشتراكى .

وينطبق نفس الشىء على اى موضوع آخر . فمقدار حيوية وصواب وحداثة ودقة الصورة التى يرسمها الفنان الساخر اى قوة تأثير النموذج على الاشكال الحية بغض النظر عن المكانة التى تحتلها هذه الاشكال فى السلم الاجتماعى ، انما تخضع لموهبة الفنان ذاته .

وهكذا فان النقد الساخر يعتبر أحد الاسلحة المرهفة فى النضال من أجل تحسين المجتمع الاشتراكى .

جبهة نسائية أفريقية عربية

بقلم : أمينة شفيق

عقد فى القاهرة فى الفترة ما بين ١٨ - ٢٣ مايو ١٩٧٤ المؤتمر البرلمانى النسائى الافريقى العربى الاول والذى دعت اليه ونظمته لجنة المراة بمجلس الشعب المصرى . وقد حضر المؤتمر وفود من ٢١ دولة افريقية و ١١ دولة عربية . بدات جلسته الافتتاحية صباح يوم ١٨ مايو واختتم اعماله فى جلسته الختامية يوم ٢٠ مايو ، وهى الجلسة التى القيت فيها رسالة الرئيس السادات الموجهة الى المؤتمرين من نساء افريقيا والبلاد العربية، وهى كذلك الرسالة التى حملت المضامين التقدمية لثورة يوليو ١٩٥٢ تجاه المراة .. شريكة النضال الوطنى والاجتماعى فى البلدان الافريقية والعربية .

وقد تحدد هدف المؤتمر منذ بداية الدعوة له فى ثلاثة اهداف اساسية :

اولا : تحديد دور المراة الافريقية والعربية فى حركة النضال الافريقى والعربى ثم تاكيد التكامل المادى والمعنوى لحركة نساء المجموعتين

ثانيا : بحث أوجه التعاون فى مواجهة قضايا المراة الافريقية والعربية - وهى قضايا متشابهة بسبب تشابه الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية - سواء فى التنمية الاجتماعية او الاقتصادية او فى استكمال مراحل التحرر الوطنى فى القارة الافريقية او فى الدول العربية .

ثالثا : تجسيد التضامن الافريقى العربى، خلال المرحلة القادمة بعد ان تجسد النضال الوطنى بين الدول الافريقية والدول العربية ابان حرب اكتوبر ١٩٧٣ عندما قطعت ٢٨ دولة افريقية علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع اسرائيل تضامنا مع الحق العربى فى استرداد الارض ومع الحق الفلسطينى فى استرداد الحق .

وقد تركزت البحوث الاربعة التى قدمها الوفد المصرى الى المؤتمر والتى دارت حولها المناقشات فى اللجان الثلاث التى جسدت العمود الفقرى للمؤتمر ، على قضايا المراة فى مرحلة التحرر الوطنى - وخاصة فى افريقيا - ثم على اهمية دور المراة فى التنمية الاقتصادية ، ثم دور المراة - الذى لا يمكن الاستغناء عنه - فى التنمية الاجتماعية . واخيرا جاء البحث الاخير ليلخص تاريخ تطور نضال المراة وبالتحديد منذ عام ١٩١٩ الى عام ١٩٥٢ والى وقتنا الحالى .

وبالاضافة الى تلك البحوث الاربعة ،القيت

على المؤتمرين من نساء افريقيا والبلدان العربية دراستان :

الاولى : الدراسة الاقتصادية والاجتماعية للدكتور عبد العزيز حجازى النائب الاول لرئيس الوزراء .

الثانية : الدراسة القانونية والتشريعية التى القاها الدكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب .

واذا كنا سنعرض أعمال المؤتمر حسب تتابعها الزمنى فلابد أولا من الاشارة الى الرسالة التى وجهها الرئيس انور السادات الى المؤتمرين من القيادات النسائية الافريقية والعربية ، والتى — أى الرسالة — تسجل فكر ثورة يوليو وقياداتها بالنسبة لقضايا تحرر المرأة ودورها فى بناء مجتمعاتها .

فقد جاء ضمن ما جاء فى الرسالة التى تليت فى الجلسة الختامية ما يلى :

« ولحسن الظن ، فان عوامل تاريخية وحضارية كانت سياجا عصمنا ووقانا من هذا الاستقطاب والتنافر ، فالمرأة عندنا — منذ اقدم العصور — عنصر أساسى من عناصر المجتمع لها من كل افراده الاحترام والاجلال والمحبة ، وقد ادركت — بوعيها الكبير — انها يجب ان تكرس هذه المنزلة الرفيعة بأن تشارك الرجل العمل والمسئولية ، فرايشا نساءنا — منذ سجل التاريخ صفحته الاولى — يعملن فى الحقول والغابات والمزارع جنبا الى جنب مع الرجال » .

وفى موقع آخر من الرسالة جاء ما يلى :

« اما تاريخنا المعاصر ، فانه يسجل للمرأة انها شاركت مع الرجل فى تحرير قارة باكملها من الاستعمار والعنصرية ، وقدمت امثلة مشرفة لبطولات خارقة فى ساحة الحرية والكرامة » .

وفى موقع ثالث جاء ما يلى فى الرسالة :

« واذا كان لى ان اعرب عن أمل يراودنى واطرحه عليكن بكل تقدير ومودة ، فهو ان تحافظن دائما على الاهتمام بالجماهير وتحرصن على ان يكون عملكن كله تعبيرا عنها ، لان جماهيرنا هى الوسيلة وهى الهدف ، والمناضلون الحقيقيون يدركون — بحكم الرؤية الفكرية والتجربة العملية معا — ان اى جهد عام يكون خاليا من اى مضمون اذا لم تكن جماهير الشعب فيه هى المنطلق ، وهى البداية والنهاية ، وتستطعن ان تلمسن كل لحظة ان جماهيرنا واعية وانها تقدر واجبها الاجتماعى حق قدره ، وعليكن انتن يا حملة المشاعل ان تثقن فيها وتعتبرونها القوة الملهمة ... »

ثم ناتى الى استعراض المادة العلمية التى قدمت للمؤتمر فقد تضمنت ما يلى من آراء ومفاهيم :

دور المرأة فى دعم التحرر الوطنى — دراسة ملخصة قدمها الدكتور عبد الملك عودة :

● لقد حملت الجيوش الاستعمارية راية البناء والراسمالية وهى تدخل القارة الافريقية لا من اجل ان تدخل الحضارة الاوروبية الى القارة السوداء وانما من اجل ان تحقق ما يلى :

١ — سيادة القانون الراسمالى فى بلدان القارة .

٢ — تحويلها الى مزارع المنتج الزراعى الواحد والى منجم رخيص للمواد الخام الصناعية لصالح القوى الاستعمارية فى اوربا الغربية ، والولايات المتحدة الامريكية وكافة البلدان التى يدور اقتصادها فى فلك النظام الراسمالى .

ولم يفرق المستعمر بين افريقى شمالى

او جنوبى او رجل وامراة أو كهل وشاب ، وانما تساوت كل الرؤوس امامه فى عملية الحصول على أقصى ربح لراسماله المستثمر .

وكذلك عندما هبت شعوب القارة من أجل المناداة بالاستقلال تكونت جبهة وطنية واسعة ضمت كل العاملين فى كافة الانشطة الزراعية والصناعية ، وكذلك كل البشر نساءا ورجالا .

ومن هنا لعبت المرأة الافريقية دورها البارز فى حركة الاستقلال الوطنى . وان كان القادة الوطنيون قد اغفلوا المرأة فى جبهتهم لكانوا قد اسقطوا جناحا هاما فى المعركة الوطنية .

دور المرأة فى التنمية الاقتصادية — دراسة قدمها كل من الدكتورة أميرة بسيونى والدكتور عرفات شافعى .

● أهم قضية تطرحها ورقة البحث هى دخول المرأة بكل قواها المنتجة المتاحة الى قوة العمل من أجل تحقيق فائض اقتصادى يسمح بالتنمية الاقتصادية . فالدول النامية تعانى من الاقتصاد المتخلف نتيجة لوقوعها تحت الاستنزاف الاستعمارى الاقتصادى لقرون مضت ، ولابد لها من الاسراع بخطى التنمية الاقتصادية

ومن هنا تبرز ورقة البحث اهمية التعليم وفتح كافة الفرص العلمية أمام المرأة ، وتشير الى أن دخول المرأة للعمل لا يمثل أى قدر من المنافسة للرجل .. بل العكس هو الصحيح كيف أن التنمية الاقتصادية التى تساهم فيها المرأة بكل قواها المنتجة هى الوسيلة الوحيدة التى تسهم فى تزايد فرص العمل أمام الجنسين معا . فالدورة الانتاجية تدور بمعدل أسرع ومن ثم ينشط الاقتصاد الإنتاجي وبذلك تتزايد دورات فرص العمل وتتعدد وتتشعب وترقى الى المستويات العلمية والتكنيكية الملائمة والمتمشية مع العصر .

دور المرأة فى التنمية الاجتماعية ، دراسة قدمتها كل من الدكتورة نهى حامد فهمى والاستاذة ناهد سرى :

● ان الدور التنفيذى للمرأة ، ذلك الدور الذى لعبته كزوجة وأم وربة بيت لم يعد هو الدور المطلوب منها الآن . ان المشاركة الايجابية فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية باتت مطلبا اساسيا لاحداث التنمية الاجتماعية لاى مجتمع نامى . فالمرأة اذا كانت نصف المجتمع .. اذا فهى نصف حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ولا يمكن فصل النصفين بعضهما عن الاخر .

والعقبات التى تحول دون تلك المشاركة الفعالة للمرأة تتجسد فى ثلاث نقاط :

— الامية المتفشية فى صفوف النساء اكثر من صفوف الرجال والتى — أى الامية — تتعايش وتتلازم مع الافكار الجامدة والاستسلام والقدرية .

— التشريعات المتخلفة الخاصة بالاسرة والتى تعتبر من أكثر العقبات اعاقة لحركة المرأة وتطورها .

— افتقار الدول النامية — بشكل عام — الى خطط تنمية اجتماعية اقتصادية شاملة موجهة الى الريف والحضر ، الى الزراعة والصناعة والخدمات فى وقت واحد .

ممارسة المرأة المصرية لحقوقها السياسية بحث ملخص قدمه الاستاذ احمد السيد سليمان :

المرأة المصرية شاركت فى ثورة ١٩١٩ . وفى دستور ١٩٢٣ اغفل حقها كما اغفل حق الجماهير التى اشعلت نار الثورة . ولكن فى عام ١٩٢٤ حصلت على حق التعليم ثم على حق العمل .

وتتعرض الدراسة الى تجاهل دستور عام ١٩٢٣ لاى حق للمرأة وكذلك دستور ١٩٣٠ المؤقت . وفى ١٩٥٦ وبعد قيام ثورة يوليو

بدأت المرأة تحصل على مكاسب جماهيرية بحق الترشيح والانتخاب . الخ .

وفى المواثيق الثورية - الميثاق ، بيان ٣٠ مارس ، برنامج العمل الوطنى ، وورقة اكتوبر - اشارت الى دور المرأة . وذلك يثبت ان زحف الجماهير يصاحب زحف المرأة .

تلك كانت الآراء التى بلورتها الابحاث الاربعة ، وايضا التى دارت حولها المناقشات فى لجنة التحرر الوطنى ولجنة التنمية الاقتصادية ثم اخيرا لجنة التنمية الاجتماعية.

وفى نهاية الايام الثلاثة أصدر المؤتمر بيانا عاما تضمن نقاط عديدة جاء بعضها كالآتى :

ان المؤتمر يطالب الامم المتحدة بفرض قرارات دوله الخاصة بالقضية الفلسطينية والتى يحددها القرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧.

ويدين الاعتداء على حقوق الشعوب فى افريقيا وفى فلسطين .

كما يدين السياسة العنصرية التى ينتهجها الاستعمار فى افريقيا والتى تنتهجها اسرائيل فى فلسطين .

وبعد القاء الضوء على دور المرأة الفعال فى النضال الوطنى فان المؤتمر يدعو الى دعم دور المرأة فى النضال الاجتماعى والاقتصادى فى الدول النامية .

ويطالب كذلك بدعم روابط التعاون الاقتصادى والثقافى بين الدول الافريقية والعربية عن طريق زيادة العلاقات الاقتصادية ووسائل الاتصال .

ثم يقرر تشكيل سكرتارية دائمة للمؤتمر لبحث وسائل اللقاء الاخرى فى عواصم عربية وافريقية غير لقاء القاهرة .

ثم سارت اللجان فى نفس الخط الذى سار عليه بيان المؤتمر . فناقشت قضايا الاستعمار والعنصرية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ومشكلة الامية والمعونات العربية للدول الافريقية التى تأثرت برفع سعر البترول بعد حرب اكتوبر والسوق العربية الافريقية المشتركة وضرورة اقرار مجانية التعليم الابتدائى ثم مساواة المرأة بالرجل فى التعليم والعمل.ثم نادت بتكثيف جهود المرأة العربية والافريقية فى معارك التحرير الوطنى والاقتصادى فى المجموعتين من الدول .



فى ذكرى
٢٣ يوليو ١٩٥٢

بقلم : ايجور بيلاييف

عندما استولت مجموعة من الضباط المصريين الشبان على السلطة فى مصر صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اعتقد الكثيرون أن هذا التغيير لن يتعدى تبديل الديكور السياسى بتغيير بعض الرؤساء كما كان يحدث عادة فى بعض البلدان العربية فى تلك الفترة . غير أن ماحــــدث فى ٢٣ يوليو كان فى الواقع نقطة تحول تاريخى هامة ، وبداية لا لتغيير مصـــير مصر وحدها وانما كان له صداه السياسى والاجتماعى الهام فى الشرق العربى . وكشفت الاحداث التى تعاقبت فيما بعد كيف اصبحت ثورة يوليــو ١٩٥٢ عاملا هاما له تاثيره على تطور جميع حركات التحرر الوطنى .

وبفضل ثورة يوليو ٥٢ تمكنت مصر أن تكون أول دولة عربية وافريقية تحدث فيها تلك التحولات السياسية والاجتماعية العميقة ، كتحقيق الاستقلال الوطنى الكامل والقضاء على سيطرة البرجوازية الكبيرة والاقطاع المتهادن مع الاستعمار . ولا يخفى على أحد الانتصارات الضخمة التى حققتها مصر فى الظروف المعقدة للنضال ضد قوى الامبريالية والرجعية الداخلية . فلم يقف الأمر عند حد القضاء على سيطرة رأس المال الأجنبى على اقتصاد البلاد وتنفيذ عدد من الاصلاحات الزراعية ، بل لقد أممت حكومة الثورة الغالبية العظمى للمؤسسات والمصانع التى كانت تمتلكها البرجوازية الكبيرة . وأتاح انشاء قطاع الدولة فى الاقتصاد فرصة لتحيقق خطوات هامة فى طريق تصنيع البلاد .

وخلال عشرين عاما من يوليو ٥٢ ازداد الدخل القومى ثلاث مرات ، كما زاد الانتاج الصناعى ٥ مرات . وتصدر مصر اليوم الى جانب سلع التصدير التقليدية ، كالقطن والموالح والمنسوجات ، سلعا مصنوعة من انتاج مصانعها الجديدة التى نشأت فى عهد الثورة .

وانتهجت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى سياستها الخارجية خطا ثابتا معاديا للامبريالية ، وسلكت سبيل تطوير علاقات البلاد الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتى ودول الأسرة الاشتراكية . ونتيجة لذلك تمكنت البلاد من تحقيق أهدافها الطموحة فى التنمية . وجرى بناء اكثر من مائة مشروع بالتعاون مع الاتحاد السوفييتى وبمساعداته الفنية .

ولا ينبغى أن ينسى أحد ان مصر قد تعرضت للعدوان مرتين اولهما عام ١٩٥٦ والثانية عام ١٩٦٧ . ونتيجة لعدوان يونيو ١٩٦٧ احتل المعتدون الاسرائيليون شبه جزيرة سيناء . غير أن حكام تل أبيب ومن يقفون خلفهم قد أساءوا التقدير . فلقد تمكن نظام ٢٣ يوليو من أن يصمد فى وجه العدوان بل ودعم مراكزه كذلك . ورغم العدوان الاسرائيلى المستمر منذ ذلك الوقت ، والذى يجبر مصر على تحمل أعباء نفقات عسكرية كبيرة للدفاع ، تمكنت البلاد من أن تحتفظ بمعدلات مرتفعة نسبية للتنمية الاقتصادية .

اننا ندرك أن المهمة الاساسية التى تواجه مصر هى مهمة التحرير الكامل لاراضيها من الاحتلال الاسرائيلى وتصفية جميع آثار العدوان الاسرائيلى لعام ١٩٦٧

وينبغى أن نشير فى هذا الصدد الى أن الاتحاد السوفييتى قد دافع وما زال وسيظل يدافع بثبات عن خط التسوية السلمية العادلة لازمة الشرق الأوسط وعلى أساس التنفيذ الكامل لقرارات مجلس الأمن . ويرفض الاتحاد السوفييتى اى اتفاقات أو اجراءات جزئية تكون بديلا للتسوية الشاملة والعادلة ، ويطالب بوضوح بانسحاب جميع القوات

الاسرائيلية من كل الاراضى التى احتلها المعتدون فى يونيو ١٩٦٧ ، وضمان الحقوق الوطنية للشعب العربى الفلسطينى . ويتفق هذا الموقف تماما مع الدفاع عن استقلال وسيادة البلدان العربية التى تعرضت للعدوان وحرمة اراضيها ، وتحررها من الاحتلال ومن مؤامرات الامبريالية .

ويدافع الاتحاد السوفييتى عن هذه السياسة لا انطلاقا من مصالح خاصة أنانية فى المنطقة ، فهو لايملك فى البلدان العربية أية شركات للبترول ولا أية مؤسسات صناعية أو بنوك تستغل هذه الشعوب وتنقل أرباحها الى خارج البلاد كل عام ، وانما يدافع عن هذه السياسة انطلاقا من مبادئه الأممية ومن رغبته المخلصة ومصلحته فى مساعدة الشعوب العربية على تطوير اقتصادها ونضالها ضد الامبريالية .

وتواجه الشعوب العربية فى الظروف الراهنة مهاما كبيرة ومعقدة . فمن الضرورى تهيئة الظروف لتسوية سلمية عادلة فى الشرق الاوسط ، واعادة الملاحة الى قناة السويس ، وتعويض الخسائر الفادحة التى الحقتها الحرب بكل من مصر وسوريا والأردن ولبنان .

ويدرك الاتحاد السوفييتى بأن على جميع بلدان الشرق الأوسط ان تعمل على الاسراع بتطوير اقتصادها الوطنى لكى تتمكن فى المستقبل القريب من تحقيق الامال التى تطمح اليها شعوب المنطقة فى الازدهار والرخاء . ويفرض الواجب الأممى على بلادنا مهمة تقديم المساعدات الاقتصادية الى مصر وغيرها من البلدان والتعاون معها الى أبعد الحدود من اجل حل مشاكل التطور الاقتصادى والاجتماعى . ان مجمع توليد الطاقة الجبار الذى يقوم على ضفاف النيل فى أسوان ، ومجمع الحديد والصلب فى حلوان وعشرات المؤسسات الضخمة التى اقيمت بالجهد المشترك للمصريين والسوفييت هى خير شاهد على التعاون بين مصر والاتحاد السوفييتى لما فيه خير مصر وبما يتفق ومصالحها وأهدافها . ان هذا التعاون لم يتعارض على الاطلاق مع مصالح مصر وانما خلق ظروفا اكثر مواتاة لانطلاق ثورة مصر وتقدمها نحو تحقيق أهدافها فى مواجهة مؤامرات الامبريالية والصهيونية والأعداء الداخليين .

ان الطبيعة التوسعية العدوانية لسياسة الدوائر الحاكمة الاسرائيلية والامبريالية التى تساندها لم تتغير فى الواقع مهما لبست من مسوح السلام . ويفرض الدفاع عن مكتسبات الثورة المصرية التطوير السريع لاقتصاد البلاد والمحافظة على مستوى الاستعداد القتالى للقوات المسلحة .

ان شعب مصر يدرك ذلك جيدا ولذلك فانه يتمسك بالصداقة مع الاتحاد السوفييتى ، ويرى أن استمرار هذه الصداقة وتعميق التعاون بين البلدين هو الضمان الاكيد لتعزيز سياسة مصر ومكانتها الدولية ولنجاحها فى بناء وتطور اقتصادها القومى بما يتفق وأهداف ثورة يوليو ٥٢ ويحقق أمانى الشعب فى حياة افضل .

●

المعارك الحاسمة لا تزال قادمة

لقد استولت الفاشية على السلطة فى شيلى . ويشن الجنرالات الخونة حرب ابادة ضد الشعب . غير انهم لن يجبروا الشعب على الرضوخ . ولقد نشرت مجلة « دراسات اشتراكية » فى اعدادها السابقة مواد ومقالات تحلل فيها تجربة شيلى الفاجعه . ونحن نواصل اليوم ذلك العمل بنشر مقالتين احداهما بقلم تشيدى جاجان وثانيهما بقلم تاديونينا، يلقى فيها الكاتبان ضوءا على جوانب معينة من المسألة الشيلية ، كما ننشر عرضا لمؤلف : « شيلى : الكتاب الاسود » .

من جويانا إلى شيلى : تأملات حول الخبرة الدرامية

بقلم : تشيدى جاجان

اظهرت الاحداث فى شيلى أنه على الرغم من ان ميزان القوى العالمى قد تحول ضد الامبريالية ، الا ان القوى الرجعية ما زالت قادرة على توجيه ضربات قاسية عديدة ضد الحركة الثورية ، وخاصة فى الجبهة الاكثر التهابا وهى « العالم الثالث » . ولم يتم التوصل الى هذا الاستنتاج استنادا للخبرة الاخيرة وحدها . ولذلك رأينا ان هناك ما يبرر الاشارة الى الاحداث التى جرت فى جويانا منذ عشر سنوات . والاساليب التى استخدمت فى الاطاحة بحكومة الوحدة الشعبية فى شيلى حيث انها كانت ومن وجوه عديدة مماثلة للاساليب التى استخدمت قبل ذلك فى ازاحة حكومة حزب الشعب التقدمى .

فبعد ان لحقت الهزيمة بالقوى الرجعية المحلية فى ثلاثة انتخابات متعاقبة فى ١٩٥٣ ، و ١٩٥٧ و ١٩٦١ ، دخلت هذه القوى فى صفقة مريبة مع الامبريالية .

فى عام ١٩٦١ قال الرئيس جون كيندى أن « الولايات المتحدة أيدت حق كل شعب فى التمتع بحريته السياسية » . ولكن وفى الوقت نفسه ، كانت المخابرات المركزية تطعن حكومة حزب الشعب التقدمى من الخلف . وقد كتب ارثر شليزنجر ، المستشار الاول للرئيس كيندى ، فى كتابه الف يوم لجون كيندى فى القصر الابيض ، انه بعد لقائه بالسيد بورنهام (١) فى واشنطن فى مايو ١٩٦٢ ، أوصى بتاييد مؤتمر الشعب الوطنى ، وليس حزب الشعب التقدمى فى جويانا واعترف بأن دين راسك قد بعثه ب « رسالة جافة الى البريطانيين » عام ١٩٦٢ اخبرهم فيها ب « التحول فى سياسة الولايات المتحدة فيما يتعلق بجويانا » .

---

(١) قائد الجناح اليمينى فى مؤتمر الشعب الوطنى — المحرر .

وقد تعاظم ضغط الولايات المتحدة على الحكومة البريطانية بهدف تغيير النظام الانتخابي وعدم منح الاستقلال لجويانا فى ظل حكومة حزب الشعب التقدمى .. ولان هذا يتعارض مع التعهدات التى اعطيت فى مؤتمر لندن التاسيسى فى عام ١٩٦٠ فقد تقلب الموقف الجديد خلق الفوضى داخل جويانا .

وبعد انتصار حزب الشعب التقدمى عام ١٩٦١ صرح سيرافينوروماولدى ، مدير المعهد الامريكى لتطور العمل الحر : «لقد بدا لى ان الشباب من القادة النقابيين بحاجة الى تدريب مكثف لكى يحاربوا جهود الدكتور جاجان . اما جورج ميني ، رئيس ائتلاف اتحاد العمل الامريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية ، فقد قال بفخر فى اكتوبر عام ١٩٦٣ بعد ٨٠ يوما من الاضراب والمظاهرات واعمال الشغب ، بان « خريجين اخرين من المعهد الامريكى لتطور العمل الحر ، فى جويانا البريطانية ، يسهمون فى النضال ضد حكومة رئيس الوزراء تشيدى جاجان ذات الاتجاه الكوبى » .

وقد اشير الى تدخل وكالة المخابرات المركزية فى جويانا لاول مرة فى مقالة بعنوان « وكالة المخابرات المركزية ذات علاقة بالاضرابات التى اطاحت بجاجان » كتبها نيل شيهان (فى نيويورك تايمز ، ٢٢ فبراير ١٩٦٧) .

وذكرت المقالة ان عملاء وكالة المخابرات المركزية كانوا يعملون سرا كنقابيين من خلال الاتحاد الامريكى لمستخدمى الولايات والريف والبلديات ، ومنظمة الخدمات العامة العالمية (مقرها واشنطن) . وكانت اموال وكالة المخابرات المركزية توزع من خلال مؤسسة جوثام العميلة .

لم يكن فى امكان القوات المسلحةالبريطانية وشرطة جويانا ، تحت قيادة الحاكم البريطانى ومدير البوليس على التوالى ، ان تطيحا بحكومة حزب الشعب التقدمى . فقاماباافضل ما يمكن ان تقوما به فى مثل هذا الموقف ، لقد وقفتا جانبا واتاحتا الفرصة لقوى الثورة المضادة ان تستثير الشعب . ومن ثم استغلت الحكومة البريطانية الفوضى والنزاع العنصرى كحجة لتعديل الدستور وتغيير النظام الاجتماعى ، وتم خلال ذلك ازاحة حزب الشعب التقدمى من الحكومة .

وبعد وقت قصير كتبت صحيفة سانداى تايمز (فى ١٦ ابريل ١٩٦٧) بعنوان « كيف تخلصت وكالة المخابرات من جاجان» « لم يكن الانقلاب باهظ الثمن بالقياس للانقلابات . فخلال خمس سنوات دفعت وكالة المخابرات المركزية ما يزيد قليلا على ٢٥٠،٠٠٠ جنيه استرلينى . اما بالنسبة للمستعمرة ، جويانا البريطانية ، فالنتيجة كانت ما يقرب من ١٧٠ قتيلا ، ومئات لايعرف عددها من الجرحى ، وما يعادل عشرة ملايين جنيه استرلينى تقريبا نتيجة للاضرار التى لحقت بالاقتصاد .

ان الانقلاب المضاد للثورة فى شيلى قد القى ضوءا ساطعا على دور القوات المسلحة فى الحياة السياسية . اذ يجب الا يعول على حيادها السياسى .

والتطورات فى بيرو وبناما ، حيث كسبت العناصر التقدمية فى القوات المسلحة الحكم ، يجب الا تخدر الثوريين بشعور من الامن الكاذب . فقد اظهر مثال بوليفيا ، فى الفترة الواقعة بين ١٩٦٩ و ١٩٧١ بوضوح الصراع بين القوى المتنازعه . ان الجنرال «اليسارى» جوان توريز جاء الى السلطة من خلال محاولة يمينية للاطاحة بنظام حكم « الوسط » برئاسة الجنرال اوفاندو . ولكن بعد وقت غير طويل ازاحه الجنرال « اليمينى » هوجابانزر . وقد نظم الجيش انقلابا ، كذلك ضد حكومة جولارت فى البرازيل حيث كانت ثمة اوهام ايضا حول قاعدة تقدمية ديمقراطية فى الجيش ، وبخاصة على مستوى ضباط الصف .

وفى شيلى ، كان للقوات المسلحة تقليد ، هو عدم التدخل فى الشئون السياسية .ولكن علينا الا ننسى ان الحكومات السابقة على حكومة الليندى لم تنفذ برنامجا ثوريا .

ان الثورة تحتاج الى الاسلحة ، كما تحتاج الى المخلصين من ابناء القوات المسلحة. وفى شيلى ، تجاسرت العناصر اليمينية الخائنة فى القوات المسلحة على تنظيم الانقلاب بسبب القاعدة الشعبية الضيقة للحكومة. فحكومة الوحدة الشعبية كانت تتمتع بالحق الشرعى فى الحكم ، ولكنها افتقرت الى القوة السياسيه للحكم .

لقد عانى كوميون باريس الثورى الهزيمة منذ مائة عام لانه فشل فى ان يشن هجومه ضد الرجعيين فى فرساى .

وحكومه جاكوب آربنز الدستورية فى

جواتيمالا (١٩٥٤) وكذلك حكومة جـوان توريز العسكرية (١٩٧١) قد اطيح بهـا لانهما فشلتا الى حد كبير في تسليح العمال . ومن الجهة الاخرى ، يقوم استقرار الحكومة الكوبية على الرقابة على جهاز الدولة ، واللجان الشعبية للدفاع عن الثورة .

ان اى شعب سار في طريق التحـول الاجتماعي والتغيير الثورى عليه ان يكون يقظا على الدوام . والعمل التثقيفي المكثف ضرورى في القوات المسلحة وبين الجمـاهير والفئات المتوسطة من اجل توسيع قاعدة التاييد للحكومة . ويجب توضيح الصعوبات الوقتية التى تعود الى التخريب الاقتصادى والعدوان في اطار المكاسب المتوسطة والطويلة المدى .

وفى هذا الصدد تظهـر الخبرة في شيلى وجويانا ضرورة ان تحصل القوى الثوريةعلى امكان الوصول لوسائل الاعلام ، بشـكل مكافىء للقوى الاخرى او اكثر منها .

لقد جعلت العناصر المتطرفه موقف حكومة الوحدة الشعبية اكثر صعوبة . ومن يرون ثورة اشتراكيه فحسب ولا يرون ثورة وطنيـة ديمقراطية ثورية انما يساعدون العدو الطبقى من الوجهة السياسية شاءوا ام ابوا . وعند صياغة البرنامج وقبل كل شيء عند تنفيذه من المسائل الحيوية وخاصة عند دراسـة ميزان القوى الداخلى ، التميز بين المراحل الثورية المختلفة وبين الكومبرادوروالبرجوازية الاحتكارية من جهة ، والبورجوازيةالمتوسطة والصغيرة من الجهه الاخرى .

ومهمتها الرئيسية في الوقت الحاضر هى الاعراب عن التضـامن النشيط مع الشعب الشيلى . ولا يمكن بدون هذا التضامن وضع حد للارهاب الفاشى . وقبل كل شيء ،هناك حاجة الى تضامن كفاحى لوقف المجـازر الفاشية ، واطلاق سراح المعتقلين السياسيين واعادة الديمقراطية الى شيلى .

بوليفيـا .. من ديونينـا :

صيغ للانقلابات المضادة للثورة

ان كثيرا من امثالى ، ممن كانوا في شيلى اثناء الانقـلاب الدموى ، لم يستطيعوا ان يدركوا لماذا تحولت القوات المسلحة ، التى اشيع عنها ولاؤها للدستور ووعيها بواجبها المهنى ، الى عصـابة من القتلة والعنصريين والخائفين من الغرباء . وسوف يستغرق الامر وقتا لقياس حجم ماحدث ولمقارنة حقـائق معينة حتى يمكن تشكيل صورة صحيحة عن الطريقة التى تم بها تدبير الانقلاب الناشيء .

وتحاول الان الميركوريو الصـحيفة اليومية الرجعية ، التى هاجمت الليندى هجـوما وحشيا ، أن تعـطى تفسـيرا « لفظائع الانقلابيين . ومن المعروف ان الزمرةالعسكرية قد اعلنت حالة « الحرب الداخلية » . وتزعم الميركوريو ان القوات الشيلية اضطرت ،لاول مرة ، الى استخدام السلاح ضد عدو داخل البلاد .

ولننقل من البداية ان الموافقة ، ولو للحظة واحدة ، على أنه يمكن تفسـير جرائم العسكريين بالرجوع الى حالة « الحـرب الداخلية » ، انما تعنى الاتفاق مع الجنرالات الفاشيين ، اولئك الذين احيوا روح شيلى»

... انهم يزعمون بأنهم يعمـلون بوحى من انفسهم ، لكنهم ليسوا في الحقيقة سوىمجرد دمى حقيرة ، وان كانت طمـوحة ، في ايدى المعتدى الاجنبى . والحرب التى يشنونهـا ضد « العدو الداخلى » قد بدات بتعليمات من الخارج . وهى جزء من العدوان الامبريالى ضد القوى الديموقراطية والثورية في امريكا اللاتينية .

ففى المناخ العالمى الجـديد لا يستطيع الامبرياليون دائما ان يتدخلوا بصراحة . ومن ثم يحاولون « فتنمة » عملياتهم التاديبية بجعـل جنرالات آمريكا اللاتينية يكافحون « التهديد الشيوعى » كما يصفون كل عمـل من اعمال المقاومة للاحتكار الاجنبى وللقهـر الذى تمارسه الزمرة المالية « الاوليجاركية » المحلية .

ان ثورة مظفرة في شيلى ، بعد كوبا ، تعنى مزيدا من اضعاف مؤخرة الاحتكارات في آمريكا اللاتينية . لقد كان الكثير في خطر، ولذلك اصبحت الاطاحة بحكومة الليندى الهدف الاستراتيجى الاسـاسى للامبريالية الامريكيـة في امريكا اللاتينية . وبدات

الاستعدادات للانقلاب واسند لقوات شيلى المسلحة دور المرتزقة .

وانسجاما مع تكتيكاتها المفضلة ، تعمل الاحتكارات الامبريالية والمخابرات المركزية الامريكية والبنتاجون عن طريق العملاء . واكثر هؤلاء حماسا هم الفاشيون البرازيليون ، الذين اطلق سادتهم أيديهم لاعادة تشكيل الهياكل السياسية غير المناسبة ، وفرض دكتاتوريات فاشية جديدة ، بل وضم الاراضى وابتلاع بلاد بكاملها .

فى عام ١٩٧١ دعا الكولونيل هوجوبتليم فى البرازيل الى تحويل البلدان المجاورة الى « نوع من المحميات » البرازيلية . ونفذت التجربة الاولى فى بوليفيا ، حيث اطيح بحكومة توريز التقدمية فى اغسطس ١٩٧١ . وطابقت الدكتاتورية البرازيلية بين العمل والقول . فقد بدأت بالفعل فى ضم موتوم . وهى منطقة فى بوليفيا غنية بالحديد الخام ، ودخلت فى عملية ضم واسعة النطاق فى بارجواى ، ومارست ضغوطا قوية على اورجواى .

وظهر عامل مشئوم جديد فى العلاقات بين دول امريكا اللاتينية . ولقد وصلت الدكتاتورية البرازيلية الى الحدود الشيلية واحتلت رأس جسر تواصل منه عدوانها وهذه المرة ضد سانتياجو وحكومة الوحدة الشعبية . ولم يعد هناك شك فى أن انقلاب ١٩٧١ فى بوليفيا كان جزءا من التحضيرات للانقلاب المضاد للثورة فى شيلى .

وفى التحضير للمؤامرة ضد حكومة الليندى فى لاباز ، بدأت مخابرات كل من البرازيل والولايات المتحدة كخطوة أولى فى توحيد المتآمرين الذين يمثلون الاحزاب اليمينية (الفلانج الاشتراكى البوليفى ، والحركة الثورية القومية) . وكخطوة ثانية عملية تحييد كل العناصر التقدمية والوطنية فى القوات المسلحة ، وبعد ذلك تحريض « اليساريين » - الماويين ، والتروتسكيين والفوضويين - على استفزاز الحكومة وتقديم مطالب مغالية فى الثورية ، والقيام بأعمال الارهاب . وساعد هذا النشاط على اعادة تجميع القوى المؤيدة للرجعية ، وتقريب يوم الانقلاب .

وقد اعد للانقلاب الفاشى فى شيلى بالوسائل ذاتها تقريبا التى استخدمت فى بوليفيا ، ولم يختلف سوى الممثلين ، اما المخرجون فبقوا هم أنفسهم . وكذلك اعطيت اهمية خاصة لصيغة « شجع العمل المغالى فى اليسارية لتأتى باليمينية المتطرفة إلى السلطة » .. كما استخدم المتآمرون ايضا اليساريين المتطرفين لخلق جو من عدم الاستقرار السياسى ، الذى تشعر الطبقة المتوسطة والقوات المسلحة ازاءه بحساسية بالغة ، ولتأكيد خرافة وجود عدو داخلى يزعم انه يهدد القوات المسلحة والامن الوطنى .

وخلال ثلاثة اعوام والمخابرات المركزية الامريكية والمخابرات البرازيلية منهمكتان فى نقل العناصر اليسارية المتطرفة الى شيلى من بلدان امريكية لاتينية أخرى . وكان معظم هؤلاء الاشخاص من أصول برجوازية صغيرة ، تتبنى أكثر الافكار اختلافا . والى جانب هؤلاء كانت هناك ايضا أحزاب ماوية وتروتسكية صغيرة فى كامل قوتها فضلا عن مجموعات الاستفزازيين المحترفين .

لقد انضمت هذه العناصر ، وكان بعضها مضللا ، والبعض الاخر يعمل بتعليمات مباشرة من المخابرات الامبريالية ، الى حملات اليمينيين واليساريين المحليين لتشويه الوحدة الشعبية ، وذلك باساءة استخدام حق اللجوء السياسى فى ظل حكومة الليندى .

وزعمت أن حكومة الوحدة الشعبية قد وصلت الى السلطة « بمحض الصدفة » ، ولذلك يجب ان تحل محلها حكومة « تمثل الطبقة العاملة » ، ونادوا بالبندقية باعتبارها الحجة الاساسية فى الصراع السياسى ، ودعوا الى تسريح القوات المسلحة فورا ، واستبدالها « بجيش شعبى » .

وبعد عام من انتصار الوحدة الشعبية فى الانتخابات ، فتحت الميركوريو صفحاتها لحديث مع شوان لاى . لقد عرف محرروها كيف يخيفون الفئات المتوسطة وينذرون القوات المسلحة - ومنح رئيس الوزراء الصينى بركته للمغامرات اليسارية المتطرفة .

وبينما شدد اليساريون النضال ضد الامبريالية بالكلمات ، فانهم ساعدوها وتلقوا الثمن فى صورة رعاية صريحة . وتكشف الحقيقة الثالثة عن ذلك . ففى عام ١٩٧٢ قررت مجموعة من اعضاء البرلمان اليمينيين التحقيق فى نشاط المتطرفين اليساريين . بيد أن عملية تهدئة مريبة تمت فى اليوم التالى مباشرة : ولابد أن أعضاء البرلمان قد أحيطوا علما بالمستفيدين من نشاط « اليساريين » المغامر ، الذين نشروا البلبلة بين الديموقراطيين وحاولوا تقسيم الاحزاب التقدمية ، ودعوا الى استخدام القوة فى وقت كانت فيه الثورة تتبع طريقا سلميا نسبيا ، وشوهوا الاحزاب الشقيقة بدعوى مكافحة « التحريفية » ، وتبنوا العداء الصريح للشيوعية والاتحاد السوفييتى .

وفى الوقت نفسه قام نظام بوليفيا الفاشى مستفيدا من إقـــوال غير مسئولة لبعض اليساريين فى سانتياجو ، بابتزاز حـكومة الليندى ، وهدد ((باتخاذ خطوات)) ما لم يوقف ((التخريب)) ضد بوليفيا. وقدخلق هذا صعوبات اضافية لحكومة الوحدةالشعبية وزود الرجعيين بذريعة التاكيد بان الحكومة تعرض البلاد لخطر نزاع مسلح .

وكان مننتائج اساليب الابتزاز الخارجية هذه،الاستفزاز الذىدبرهنظامحكمبانزربمبادرة من المخابرات البرازيلية والمخابراتالامريكية. وكان الفاشيون فى بوليفيا يدركون جيدا ان انقلابا يدبر ، قد اعلنوا ان على جيششيلى الا يخشى شيئا لانهم لن يهاجموا شيلى نظرا ((للمحنة المؤلمة التى جر النظـــام الماركسى البلاد اليها)) . واصاب السهم الهدف . وشعر العسكريون فى شيلى بانهم قد اهينوا .. والاسوا من ذلك ان ((التعاطف قد جاء من بوليفيا ، التى كان الاوليجـــاركيون وضباط الجيش فى شيلى ينظرون اليهـــا باحتقار بالغ منذ بداية القرن ، ويعتبرونهـا فناءهم الخلفى وان جيشها وبوليسها ما هما الا تابعان لقواتهم المسلحة . وليس هذا الا مثال واحد للطريقة التى قامت بها المخابرات الامبريالية بتغذية غضب ضباط وافـــراد الجيش على حكومة الليـنــــدى وحثهم على ((حماية البلاد من الفوضى)) .

وثمة ذريعة للانقلاب جاءت من الخــارج ايضا هى الزعم بان جيشا اجنبيا وجدملجا فى شيلى . بل ولقد قدمت ارقام ۱۳٫۰۰۰ يسارى متطرف ــ وقيل انهم يعدون للعملية ((ز)) (تحطيم قيادة القوات المسلحةالشيلية .. الخ) . وعملت المجموعات الفاشية التى واصلت تخريبها بين رجال القوات المسلحة كل ما فى وسعها لتجعل معظم الضباطوالجنود يصدقون هذه الفكرة السخيفة . واصبحت القوات المسلحة اداة فى ايدى المتامرين الذين تلقوا اشارة البدء من الخارج .

فى ۱۱ سبتمبر ۱۹۷۳ ، استنفر الجيش الشيلى كله ضد ((العدو الداخلى)) .ولعب اليساريون دور الطعم كما راينا . ووجهت الضربة الرئيسية الى الثوريين الحقيقيين اى الى الاحزاب والمنظمات الشعبية . صحيح ان بعض العناصر اليسارية المتطرفة قد اصبحت ايضا ضحايا للعسكريين، لكنكثيرا منهم نسوا ((ولاءهم للبندقية)) وبحثواعنملجا تحت علم الامم المتحـــدة او فى السفارات الاجنبية .

ويواصل الانقلابيون العمل بوحشيةالغزاة، والاعداء الذين يعملون على ارض اجنبية . والدم المراق فى شيلى يلطخ اساسا اولئك الذين دبروا الانقلاب . لكنه لطخ ايضا ،وكان لزاما ان يلطـــخ اولئك الذين استسلموا للضغط الاجنبى ورفعوا ايديهم ضد الحرية والديموقراطية فى شيلى وخانوا الامة بتحويل اسلحتهم ضدها . ولا يمكن ان يكون هناك مبرر للقتلة بغض النظر عما اذا كانوا يعملون بناء على تعليمات من الخـــارج او بمبادرة منهم .

يجب الا ننسى ان بذور الكراهية ضـــد حكومة الوحدة الشعبية التى بذرتهـــــا المخابرات الاجنبية بكثرة ، قد سقطت فوق ارض خصبة . وسرعان ما طفت علىالسطح التحـــزبات الطبقية ، والتعصب القومى والشوفينية ، واتخذت شكل الايديولوجية الفاشية القائمة على مفهـــــومات عنصرية لارستقراطية متعجـرفة تكونت عبر قرون ، ومن خلال تصفية واستبعاد السكان الاصليين هنود المابوتش ، ان الجيش الشـيلى الذى تعهده مالكو الارض والبرجوازية ، والذىنشا على روح انضباط الثكنات ، والولاءللمؤسسة العسكرية ، والاحتقـار العميق للمدنيين ، والذى سلحه السادة الاجانب حتى اسنانه قد اظهر امام العالم كله انه خادم لاســوا رجعية .

ان لسياسة القمع هذه مضمون طبقى . فمن الواضح تماما ان الـــكراهية الوحشية للغرباء فى الايام الاولى قد اعقبتها سياسة عنصرية مستمرة . والاضطهاد كان وحشيا بشكل خاص فيما يتعلق باكبـر مجموعة من الاجانب وهى البوليفيون (حـــوالى ربع مليون) . وهم فى معظمهم عمال مناجموفلاحون واصحاب حوانيت ، وحرفيون ، واساسا من اصل هندى .

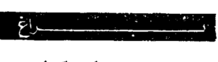
لقد كانوا مرتبطين بالشعب ارتباطا وثيقا. ويمارس ((الاريون)) الجدد التفــــرقة فى اختيار مكان الاعتقال لاعضاء الجنس الادنى ، وفى توفير العمل لهم .

ان نظام الحكم الذى اغتصب السلطة فى شيلى ، هو فيما يختص بالوسائل المستخدمة فى توطيد سيطرته ، نظـــام فاشى كامل ذو ايديولوجية عنصرية تكره الانسان،ومعسكرات اعتقال وسجون . لكنه مثــــل كل انواع الفاشية ، يحمل بذور انحلاله الحتمى ، ولسوف تفشل الامبريالية الامريكية .وسوف تتبع شعوب امريكا اللاتينية الطريق المؤدى الى تحررها الثانى .

●



تحت راية الأممية



من ي . كوسكوف

منذ خمس سنوات ، فى الفترة مابين الخامس والسابع عشر من يونيو عام ١٩٦٩ ، عقد الاجتماع العالمى الذى ضم ٧٥ حزبا شيوعيا عالميا . وبحث المشتركون فى هذا الاجتماع المهام الملحة للنضال ضد الامبريالية ومشاكل وحدة العمل بين الشيوعيين وجميع القوى المعادية للامبريالية وتوصلوا الى راى مشترك حول الوضع الدولى والمهام المترتبة عليه بالنسبة للشيوعيين . وتحدث فى هذا الاجتماع زعماء الحركة الشيوعية العالمية البارزون وتبادلوا تجربة العمل وحددوا المهام الملحة بالنسبة لحركتنا .

واظهرت الفترة التى انقضت منذ ذلك الوقت بصورة واضحة الاهمية التاريخية الكبيرة لهذا الاجتماع العالمى وتحليله الماركسى ـ اللينينى الابداعى لاهم المشاكل العالمية ، والنتائج البناءة لاعمال الاحزاب الشيوعية والعمالية التى تهدف الى وضع مقررات الاجتماع العالمى موضع التطبيق .

ومن النتائج الايجابية للنضال فى سبيل السلم والامن الدولى ، وهى المهمة الرئيسية الدائمة التى تواجه الحركة الشيوعية :

ـ زيادة وحدة النظام الاشتراكى العالمى وتعزيزه وتطوره . ويتطور التعاون بين البلدان الاشتراكية بفضل الاجتماعات التى يعقدها فى القرم زعماء الدول الاشتراكية ، والتى اصبحت تقليدا كما تحولت الزيارة التى قام بها ليونيد بريجنيف لكوبا الى مظاهرة رائعة للصداقة السوفييتية الكوبية الراسخة .

ـ وحدة الحركة الشيوعية على اساس مبادىء الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية . فقد احتفلت القوى التقدمية فى العالم كله احتفالا واسعا بالذكرى المائة لميلاد فلاديمير لينين . ودخلت المؤتمرات العلمية ومناقشة اهم المشاكل النظرية والايديولوجية ميدان التطبيق

العلمى فى الحركة الشيوعية العالمية ٠

ــ حل عدد من المشاكل الملحة المرتبطة بتعزيز قضية السلم ٠ كان وقف الحرب فى فيتنام انتصارا كبيرا احرزه الشعب الفيتنامى بفضل نضاله المتفانى البطولى وبفضل مساعدة الاتحاد السوفييتى وجميع البلدان الاشتراكية وجميع القوى المحبة للسلام ٠

ــ تدعيم مبادىء التعايش السلمى على المسرح الدولى ٠ وأصبحت الزيارات التاريخية التى قام بها ليونيد بريجنيف للولايات المتحدة الامريكية وجمهورية المانيا الاتحادية وفرنسا والهند بداية للتعاون بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية ٠ وتجلى هذا التعاون بصورة رائعة فى مؤتمر الامن الاوروبى وفى اعماله ٠

ــ ازدياد مشاركة أوساط واسعة من الرأى العالمى بشكل نشط فى قضية النضال من أجل السلم والامن الدولى ٠ ويدل المؤتمر العالمى لقوى السلام بموسكو ، الذى اشترك فيه مندوبو ١٤٣ بلدا من بلدان العالم دلالة رائعة على مشاركة الجماهير الشعبية ومنظماتها والاحزاب السياسية بشكل نشط فى حل مشاكل السلم ٠ ويمثل هذا المؤتمر عاملا من اهم العوامل فى تطور العالم فى الوقت الحاضر وهو فى الوقت نفسه أروع مثال لفعالية قرارات الاجتماعات العالمية للاحزاب الشيوعية من أجل توحيد صفوف جميع القوى المعادية للامبريالية ٠

ويمكننا بشكل عام ان نقول ان تحقيق قرارات الاجتماع العالمى قد ادى الى نتائج ايجابية بالنسبة للبشرية كلها خلال مساعيها من اجل السلام والتقدم الاجتماعى ٠

***

وتضم الحركة الشيوعية العالمية المعاصرة ٨٩ حزبا شيوعيا وعماليا فى مختلف الدول ٠ كما توجد منظمات شيوعية فى عدد من بلدان العالم الاخرى ٠ ويمكننا ان نقول انه فى البلدان التى توجد فيها الطبقة العاملة توجد كذلك احزاب شيوعية تمارس نشاطها ٠

وقد أصبحت الحركة الشيوعية قوة كفاحية عالمية ٠ ويزداد الآن عدد الذين ينتمون الى عضوية الاحزاب الشيوعية ٠ واذا كان هناك ٤٦ حزبا شيوعيا وعماليا فى العالم عام ١٩٢٨ ضمت بين صفوفها مليونا و ٦٨٠ الف عضو ، فقد بلغ عدد الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٣٥ ٦١ حزبا وازداد عدد الشيوعيين الى ثلاثة ملايين و ١٤١ الف عضو ٠ وفى عام ١٩٥٧ كان فى العالم كله ٧٥ حزبا شيوعيا وعماليا ضمت ٣٣ مليون عضو ٠ وفى سنة ١٩٦١ ازداد عدد الاحزاب الشقيقة الى ٨٧ حزبا ضمت حوالى ٣٨ مليون عضو ٠ وبعد اللقاء العالمى الثالث للاحزاب الشيوعية ازداد عدد الشيوعيين فى العالم ليصل الآن الى اكثر من خمسين مليون عضو ٠

والاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان هى فصيلة نضالية فى جيش الشيوعيين العالمى ٠ وينحصر دور هذه الاحزاب فى انها تؤلف اكبر جيش للشيوعيين من حيث عدد اعضائها وتطبق بالفعل افكار ماركس وانجلز ولينين حول بناء المجتمع الجديد وتقدم مثالا لجميع فصائل الطبقة العاملة ٠ واكثر فصائل جيش الشيوعيين نفوذا فى البلدان الاشتراكية هى الحزب الشيوعى السوفييتى الذى يضم حوالى ١٥ مليون شخص ٠

وخلال النضال من اجل السلم والديموقراطية والاشتراكية تتسع صفوف الشيوعيين فى عدد كبير من البلدان الرأسمالية ٠ ويضم الحزب الشيوعى الفرنسى فى صفوفه ما يقرب من ٥٤٠ الف عضو ٠ وأهم مكتسبات الشيوعيين فى فرنسا هو نجاحهم فى توحيد صفوف القوى اليسارية فى البلاد فى تحالف كفاحى موحد ٠ ونتيجة العمل الطويل المثمر اقام الشيوعيون الفرنسيون تحالفا مع الحزب الاشتراكى وحزب الراديكاليين اليساريين ٠

ويعتبر الحزب الشيوعى الايطالى كذلك

قوة سياسية هامة ويضم في صفوفه اكثر من ١,٥ مليون عضو . واثناء الانتخابات البرلمانية في مايو سنة ١٩٧٢ نال شيوعيو ايطاليا اكثر من تسعة ملايين صوت من أصوات الناخبين اى ٢٧,٢ في المائة . ويناضل الشيوعيون الايطاليون في سبيل توحيد صفوف الحركة النقابية وجميع قوى الطبقة العاملة والجماهير العاملة .

ويزداد تاثير الحزب الشيوعى الالمانى والحزب الشيوعى في فنلندا وفى عدد من البلدان الاوربية الاخرى على الجماهير العاملة .

ونجد في برلمان الهند مثلا ٢٤ نائبا عن الحزب الشيوعى الهندى . واثناء الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٠ حصل الحزب التقدمى للشعب العامل في قبرص على ٤٠,٧ في المائة من الاصوات . وممثلو الاحزاب الشيوعية في سوريا والعراق وسرى - لانكا وزراء في حكومات بلدانهم . وخلال الانتخابات التى جرت في ديسمبر ١٩٧٣ حقق الحزب الشيوعى الدانماركى نجاحات كبيرة واصبح ستة من اعضائه نوابا في البرلمان الدانماركى .

واصبح الحزب الشيوعى الارجنتيني قوة ذات نفوذ ، ويبلغ أعضاؤه ١٢٦ الف شيوعى كما زاد نفوذ شيوعيي كولومبيا وبيرو وكستا - ريكا وسالفادور وعدد من البلدان الاخرى .

ويتعرض الشيوعيون في بعض البلدان الراسمالية للاضطهاد والمطاردة الشديدة ولكن الاضطهاد والمطاردة لا تضعفهم وانما على العكس تقوى من عزائمهم . ويدل ذلك بصورة مقنعة على ان الشيوعيين لهم نفوذ ويتمتعون بتاييد الطبقة العاملة بل والجماهير الشعبية العريضة .

كانت الاممية البروليتارية على الدوام قوة كبيرة في الحركة الشيوعية . ولقد كانت المساعدة التى قدمتها جميع القوى المعادية للامبريالية وبالدرجة الاولى البلدان الاشتراكية الى الشعب الفيتنامى في نضاله الباسل ، تجسيدا للقوة البناءة للاممية البروليتارية . وكان نضال الشعب الفيتنامى أحد العوامل الفعالة لصد العدوان الامبريالى .

ان التضامن الذى شمل العالم كله مع وطنيى شيلى وبالدرجة الاولى للدفاع عن لويس كورفالان السكرتير العام للحزب الشيوعى الشيلى يدل مرة آخرى على التضامن العالمى الكفاحى للدفاع عن قضية الشعب الشيلى العادلة .

ويرفع الشيوعيون شعار الاممية البروليتارية ، وهم يسيرون في طليعة النضال ضد هجمات الرجعية والامبريالية من اجل كسب عواطف الشعوب وتعمل الحركة الشيوعية من اجل توحيد وتعزيز صفوفها تحت شعار كفاحى للاممية البروليتارية .

وقد اوضح المشتركون في اللقاء العالمى عام ١٩٦٩ ان الشكل الطبيعى للتعاون بين الاحزاب الشقيقة هو المشاورات الثنائية والاجتماعات الاقليمية والعالمية ويعتبر هذا الشكل مفيدا لتوسيع الروابط بين الاحزاب الشقيقة وللمشاركة كذلك في ايجاد الحلول المشتركة للمشاكل الايديولوجية ومنذ الاجتماع العالمى جرى تنظيم اربعين مؤتمرا وندوة .

والاجتماعات العالمية هى شكل اممى فعال للتعاون بين الشيوعيين . وفى المرحلة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية عقدت ثلاثة اجتماعات من هذا القبيل . وعقد اولها في نوفمبر ١٩٥٧ اما الاجتماع الثانى فقد عقد في عام ١٩٦٠ وأصدر البيان التاريخى لعام ١٩٦٠ اما الاجتماع العالمى الثالث فقد عقد عام ١٩٦٩ واقر وثيقة « مهام النضال ضد الامبريالية في المرحلة الراهنة ووحدة العمل بين الاحزاب الشيوعية والعمالية وجميع القوى المعادية للامبريالية .

وتمثل مقررات هذه الاجتماعات الثلاثة الاتجاه العام المشترك للحركة الشيوعية ، وهى تحدد استراتيجيتها وخطتها .

وفى الوقت الحاضر يطرح عدد كبير من الاحزاب الشقيقة ، وعلى اساس ان هناك تغيرات هامة قد طرات على الوضع الدولى بالنسبة لعام ١٩٦٩ ، مسالة انه أصبح من المنطقى تنظيم اجتماع عالمى جديد لتبادل الرأى حول المسائل الملحة لتطور العالم ورسم الاتجاه فى النضال المشترك الذى تخوضه القوى التقدمية ضد الامبريالية وفى سبيل السلام والصداقة بين الشعوب ، ولتمهيد السبيل لتوحيد صفوف الحركة الشيوعية على أساس مبادىء الماركسية ـ اللينينية والاممية البروليتارية ٠

ويتغير المناخ الدولى فى صالح توطيد السلم وتعزيز الامن الدولى ٠ وبعد الاجتماع العالمى الثالث احرزت القوى المعادية للامبريالية ، القوى التى يلعب الشيوعيون دورا رئيسيا بينها نجاحات هامة ٠ وتؤكد الحياة نفسها الاستنتاج الذى توصل اليه اجتماع ١٩٦٩ وهو «ان عصرنا هذا هو عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية » ٠ كما اكدت الحياة الاستنتاج الثانى والاهم الذى توصل اليه ايضا اجتماع ١٩٦٩ وهو « ان الامبريالية عاجزة عن استعادة المبادرة التاريخية التى فقدتها وارجاع عجلة التطور العالمى المعاصر الى الوراء ٠ اما الطريق الرئيسى لتطور البشرية فيحدده النظام الاشتراكى العالمى والطبقة العاملة العالمية وجميع القوى الثورية » ورغم ان المناخ العالمى اصبح افضل من ذى قبل فان خطر نشوب حرب عالمية لم يتلاش بعد ٠ فحلف شمال الاطلنطى العدوانى لا يزال يواصل نشاطه ، ولهيب النزاع فى الشرق الاوسط لم يخمد بعد ٠ وتقوم الاوساط الامبريالية بمختلف الاستفزازات فى جنوب ـ شرقى آسيا وتحاول قوى الامبريالية ان تعيد الى الوراء تطور الاحداث فى امريكا اللاتينية من خلال الزمرة العسكرية الفاشية التى استولت على الحكم فى شيلى والقوى الرجعية فى اورجواى ٠ وتتحمل الامبريالية المسئولية الكاملة عن تأزم الوضع الدولى فى عدد من المناطق ٠ ولذلك لا يزال النضال فى سبيل السلام وتعزيز الامن الدولى مهمة كفاحية ملحة امام الشيوعيين وجميع القوى المعادية للامبريالية ٠

لقد تطورت الحركة الشيوعية ومازالت تتطور فى ظروف النضال ضد جميع انواع الانتهازية وعدم مهادنتها وضد كل من يريد ان يصرف الشيوعيين بعيدا عن الطريق الماركسى ـ اللينينى ويعتبر النضال فى سبيل نقاء النظرية الماركسية ـ اللينينية وتطويرها والاخلاص لمثلها العليا المهمة الرئيسية لجميع الشيوعيين ٠

●



ثلاثون عاما على قيام جمهورية بولندا الشعبية

عندما شنت المانيا الهتلرية هجومها على اراضى بولندا فى سبتمبر ١٩٣٩ كانت تعبىء فى تلك الحرب ٨٥٪ من قواتها العسكرية ورغم التفوق الهائل الذى كانت تملكه جحافل النازية لم تتمكن من تحقيق نصر سهل كما تصورت عند بدء الهجوم . فلقد قاومت القوات البولندية ببسالة ودافعت عن المدن التى حاصرها الالمان بكل قواها . وخلال الحملة على بولندا خسرت القوات الالمانية ٤٤٫٠٠٠ جندى بينهم اكثر من ١٦٫٠٠٠ قتيل .

ومنذ الايام الاولى للاحتلال النازى عمل الغزاة الهتلريون على ابادة الشعب البولندى ، فقتلوا السكان بالجملة رميا بالرصاص ، او ارسلوهم الى معسكرات الاعتقال . وفى عام ١٩٤١ اقام الالمان معسكر اوشفيتز الكبير بهدف ارهاب الشعب البولندى وتصفية روح المقاومة بين السكان . واشتد الارهاب الهتلرى وتزايدت الابادة الجماعية ضد الشعب البولندى . وعندما اجبرت القوات الالمانية على التراجع فى نهاية الحرب قامت بقتل اعداد ضخمة من السكان فى السجون ومعسكرات الاعتقال المختلفة .

ولقد خسرت بولندا خلال الحرب اكثر من ٦ ملايين مواطن أبيد منهم حوالى ٥ر٥ مليون نتيجة للارهاب الهتلرى . وبلغت خسائر بولندا خلال فترة الاحتلال النازى (٣٩ ــ ١٩٤٥) حوالى ٢٢٪ من سكان البلاد ومن بينهم خيرة مثقفيها وفنانيها وعلمائها وشبابها ، كما فقدت كذلك ٣٨٪ من ثروتها القومية .

وقد اثار الاحتلال النازى مقاومة شديدة فى جميع انحاء البلاد . والى جانب المقاومة المسلحة التى شنها الجيش البولندى والحرس الشعبى ، ساعد التأييد الواسع للسكان على خلق عديد من اشكال المقاومة المدنية . وبدأ تنظيم العصيان ضد السلطات الالمانية كما نظمت عمليات التخريب الاقتصادى على نطاق واسع .

ولعبت المقاومة فى بولندا دورا هاما فى المجهود الحربى للتحالف المعادى للهتلرية . فحالت اعمال التخريب دون



الرقصات الشعبية فى مهرجانات الاحتفال بذكرى
٢٢ يوليو، عيد تأسيس جمهورية بولندا الشعبية

وصول الامدادات الى القوات الالمانية فى الجبهة الشرقية ، كما شغلت المقاومة قسما هاما من القوات الالمانية . وفى يوليو ١٩٤٤ اشترك ١٠٠ الف جندى بولندى مع الجيش السوفييتى فى تحرير الاراضى البولندية . وفى ٢٢ يوليو اعلن عن تشكيل الحكومة البولندية على الاراضى التى تم تحريرها . وكان ذلك بداية تاريخ جمهورية بولندا الشعبية الذى لعب فيها حزب العمال الموحد دورا رئيسيا فى التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى شهدتها خلال تاريخها

وخلال الثلاثين عاما من حياة جمهورية بولندا الشعبية حدثت تحولات هامة فى حياة البلاد كانت تتويجا لقرن ونصف من نضال القوى الوطنية التى رأت أن ضمان الاستقلال يكمن فى ارتباطه الوثيق والعميق بالتقدم الاجتماعى والديمقراطى .

وكانت بولندا فيما قبل الحرب العالمية الثانية تعتبر بلدا زراعيا متخلفا ، ثم جاءت الحرب لتدمر كل الاقتصاد والصناعة البولندية ولتكبد البلاد خسائر فادحة مما زاد من تخلفها وجعل مهمة التغلب على تلك الاوضاع فيما بعد الحرب مهمة صعبة وفى غاية التعقيد . لقد خرجت بولندا من الحرب العالمية الثانية ضعيفة مادية . وخلال السنوات الثلاثين التى تلت الحرب تحولت بولندا من بلد زراعى متخلف الى بلد صناعى زراعى ذو اقتصاد متطور .

كان الدخل القومى للفرد فى بولندا عام ١٩٣٨ حوالى ٢٥٠ دولارا ، فارتفع عام ١٩٧٠ الى ١٠٠٠ دولار للفرد ، ووصل عام ١٩٧٣ الى ١١٠٠ دولار . ونقل ذلك بولندا الى مكانة مرموقة بين الدول الاوروبية بعد أن كانت من أكثر بلدان أوربا تخلفا . وخلال تلك الفترة أصبح

معدل التنمية الصناعية في بولندا من اعلى المعدلات في العالم ، اذ بلغت في الفترة ٧١ ـ ٧٣ حوالي ١٢٪ • وفي الوقت الذي تضاعف فيه الانتاج الصناعي العالمي خلال العشرين سنة الاخيرة ٣ر٦ مرة ، ازداد الانتاج الصناعي في بولندا في نفس الفترة ٧ر٦ مرة • وضمن هذا التطور الضخم لبولندا مكانها بين الدول العشر الاولى في العالم بالنسبة لمعدل التطور الصناعي • وادى التطور الضخم والسريع لاقتصاد بولندا الى تغيير جذري في تجارتها الخارجية • فبينما كانت الالات والماكينات تشكل عام ١٩٣٨ اقل من ٧٪ من صادرات بولندا ، اصبحت تشكل اليوم ٥٥٪ من صادراتها ، وتراجعت المنتجات الزراعية من ٩٣٪ من اجمالي الصادرات قبل الحرب الى ٤٥٪ اليوم • وقد صدرت بولندا منذ عام ١٩٥٤ اكثر من ٣٠٠ مصنع كامل الى اكثر من ٥٠ بلدا وذلك في مختلف مجالات الصناعة •

ان التطور الديناميكي الذي حول بولندا من بلد زراعي متخلف الى بلد صناعي متطور ، قد خلق في نفس الوقت اساسا لتحولات عميقة في مجال الثقافة والفن في المجتمع البولندي • وكانت عملية التصنيع الاشتراكي للبلاد مصدرا هاما من مصادر تقدم السكان • وقد خلقت التحولات الاجتماعية التي جرت في المراحل الاولى من التصنيع الظروف لتحولات سريعة في اسلوب الحياة والمطامح والافكار داخل المجتمع • وكان على الثقافة ان تخدم الاسس الاجتماعية والسياسية الجديدة فادت بذلك دورها في خلق الاشكال والمقومات الضرورية للتكامل الاجتماعي •

ولقد سار التطور الثقافي خلال الثلاثين عاما في اتجاه دمقرطة الثقافة ونشر جميع القيم الانسانية في التراث الوطني والانساني • وارتبطت هذه المهمة منذ تاسيس جمهورية بولندا الشعبية برفع مستوى معيشة الشعب ومستوى التعليم العام في البلاد •

ان الثقافة ذات تاثير واضح على التقدم الاجتماعي والاقتصادي وخصوصا في عصر الثورة العلمية والتكنيكية • واذا ما تطورت الثقافة بشكل ديناميكي ودون عقبات فانها تضاعف من قدرة الشعب الخلاقة في جميع ميادين الحياة • ويلعب ذلك على المدى الطويل دورا هاما في زيادة قوى الشعب الخلاقة ومكانته على الصعيد العالمي • ولقد كان ذلك احد الاسس التي ارتكزت عليها سياسة بولندا طوال الاعوام الثلاثين الماضية •

وادت كل تلك التحولات الهامة الى تدعيم مكانة بولندا الدولية وعلاقاتها الخارجية الاخيرة ، ورغم الصعوبات الضخمة التي واجهت البلاد والتي تطلبت تعبئة كثير من الجهود للتغلب عليها سعت بولندا في سياستها الخارجية لان تتبع نهجا يحمي النتائج التي حققتها من الانتصار على جحافل الهتلريين ، ويساعد على المحافظة على العلاقات الطيبة مع جيرانها ومع جميع دول القارة التي ترغب في قبول مبادىء التعايش السلمي بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، ويسمح بتدعيم علاقاتها مع القوى التقدمية والديمقراطية في جميع البلدان •

وقد استرشدت بولندا بهذه المبادىء في سياستها الخارجية التي تتبلور مهمتها الرئيسية اليوم في العمل من اجل اقامة نظام للامن الجماعي في اوربا ، على اساس تصفية كل مخلفات فترة ما بعد الحرب ، والاعتراف بواقع الامور في اوربا ، وبناء عصر جديد يقوم على علاقات حسن الجوار واحترام السيادة والاعتراف بمناعة الحدود وعدم التدخل في الشئون الداخلية والتعاون على اوسع نطاق بين بلدان اوربا بغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية •



منذ أربعين عاما

بقلم : ارفين زوكر ـ شيلينج

كاتب هذا المقال احد المناضلين القدامى فى الحركة الشيوعية والعمالية النمسوية والعالمية ، وممثل الحزب النمسوى فى مجلة «السلم والاشتراكية» لقد اعطى اكثر من خمسين عاما من عمره الذى بلغ الحادية والسبعين للحزب الشيوعى ، وظل سنوات عضوا فى اللجنة المركزية والمكتب السياسى للحزب الشيوعى النمسوى ، ورأس تحرير صحفه القانونية والسرية ـ حيث اتسم عمله بموهبة الكاتب الحزبى وخبرته . وقد كتب هذا المقال بناء على طلب مجلة «السلم والاشتراكية»

توقف الترام فجاة فى النفق ، وانطفات الانوار • ونظرت الى ساعتى •• كانت تشير الى الحادية عشرة والدقيقة السابعة والاربعين ، وهبطت من الترام وسرت مع غيرى من الركاب حتى نهاية النفق، حيث كانت تشرق شمس ساطعة فى يوم شتائى بارد • لم يكن الترام وحده هو الذى توقف ، بل كانت فيينا كلها على ما يبدو قد توقفت ، وانقطع التيار الكهربائى •

انه الاضراب اخيرا ! لم أكن أعرف كيف بدأ ، لكنى كنت قد قضيت فى الحركة العمالية فترة تسمح لى بأن استنتج ما جرى ، وبخاصة لان ما حدث وما كان متوقعا ان يحدث فى ذلك اليوم الموافق ١٢ فبراير عام ١٩٣٤ كان شيئا شغلنا نحن الشيوعيين بشكل مباشر •• لقد كانت افكارى والترام يشق طريقه فى شوارع فيينا تدور حول ما يمكن أن يحدث فى الاسبوع القادم •• اما الان فقد اتجهت الى كل ما حدث فى الاسابيع الماضية •

كانت النمسا تعيش منذ ما يقرب من عام فى ظل نظام حكم رجعى استبدادى ، يعمل ابرز ممثليه من أجل اقامة ديكتاتورية فاشية صريحة على طراز ايطاليـــا موسولينى والمانيا الهتلرية • وكان هذا الوضع ثمرة طريق طويل شاق • وكان يمكن للامور ان تسير على نحو آخر : ففى عام ١٩١٨ فقدت البورجوازية وحكومتها السلطة تحت تاثير ثورة اكتـــوبر فى روسيا وانهيار امبراطورية هابسبورج • اما الان فقد اصبح الاتجاه نحو نظام حكم اقوى وأكثر رجعية • ولم يكن ذلك حتمية لا مفر منها • بل كان سير الاحداث أمرا يمكن التنبؤ به ، فقد كانت قيـــادة الاشـــتراكيين الديمقراطيين تتخلى عن المواقع التى كسبتها الطبقة العاملة موقعا بعد الاخر • واسهم الاشـــتراكيون الديمقراطيون ـ بتراجعهم أمام الرجعية وتهيبهم من نضال الطبقة العاملة المنظمة القوية سياسيا (فقد كان اغلب العمال من الاشتراكيين الديمقـــراطيين او من المتعاطفين معهم) ـ فى خلق وضع تمكنت فيه الحكومة الرجعية والمنظمات الفاشية وحماتها الاجانب من تنفيذ مخططاتهم •

وكان الحزب الشيوعى النمسوى يدرك الخطر ، وقد بذل كل ما فى وسعه لكى يوضحه للعمال ويحذرهم ويقنعهم بضرورة صد تيار الفاشية الزاحف • ويوما بعد يوم أخذت صـــحيفة « اللواء الاحمر » الشيوعية اليومية تشرح المسالة للعمال• وكثيرا ما كانت تتعرض للمصـــادرة ، ويقدم رئيس تحريرها للمحاكمة بتهمة « التحريض على مقاومة السلطات » •• وقدمت للمحاكمة فى أوائل عام ١٩٣٠ بعد ان نشرت صحيفة « اللواء الاحمر » سلسلة من المقالات تدعو العمال الى الوقوف فى وجه تحركات وأعمال المجموعات الفاشية شبه العسكرية التى كان يجرى تكوينها فى ذلك الحين ، والى النضال ضد خطـــر الحرب الامبريالية واعلان تضـــامنهم مع الاتحاد السوفييتى • وامام المحكمة سردت الوقائع التى تثبت ان المجموعات الفاشية شبه العسكرية ـ الهايمفيهر ـ كان تعد بتشـــجيع من الحكومة للقيام بانقلاب ، وكان المحامى الذى قام بالدفاع عنى هو الرفيق ايجون شونهوف عضو الحـــزب الشيوعى الذى كان يحظى بالتقـــدير لشـــجاعته ولكفاءته القانونية ، والذى استشهد بعد ذلك فى احد معســـكرات الاعتقال الهتلرية • وقد انتهت المحاكمة بصدور قرار بتبرئتى من المحلفين •

وكان جانب كبير من مرافعة شونهوف نقدا لقيادة الاشتراكيين الديموقراطيين ودفاعا مدعما بالادلة عن سياسة الحزب الشيوعى وصحيفته • وايده فى موقفـــه كثير من الشهود • وقال المحامى للمحكمة « ان الشيوعيين يرون أن الاشـــتراكيين الديمقراطيين قد تخلوا عن السلطة عمليا حين كانت فى ايديهم • وعندما حـــذر الشـــيوعيون من الخطر الفاشى كان ردهم انهم « يصنعون من الحبة قبة » • ولم يمض على ذلك وقت طويل ، وها هو الخطر الفاشى يصبح خطرا حقيقيا ملموسا متفاقما • لقد غذيت الفاشية بشكل مفتعل •• وينبغى ان تقاوم بحـــزم وقوة ولو اقتضى ذلك بذل الكثير من التضحيات • ولن يتوانى الحزب الشيوعى من جانبه فى ان يوضح للعمال ان اية تضحية مهما بلغت لن تكون غالية فى سبيل منـــع

الديكتاتورية الفاشية ، لان التضحيات اكبر كثيرا حينما وصلت هذه الفاشـــية الى السلطة » ·

لقد اعلنا هذا فى اوائل عام ۱۹۳۰·· ثلاث سنوات من سيطرة طاعون القمصان البنية الهتلرية على المانيا ، وقبل أربع سنوات من حمامات الدم فى فبراير عام ١٩٣٤ حين صوب الفاشيون النمسويون - عصابات الراية الخضراء - بتحريض من موسولينى بنادقهم الى العمـــــال لتحطيم نضالهم البطولى ، والقضاء على بقايا الديمقراطية البورجوازية والحقوق التى انتزعها الشعب خلال معاركقاسية · وربما كان لايزال امامنا عندئذ من الوقت ما يسمح بتغيير مجرى الاحداث ، وتفادى الهزيمة الدامية للطبقة العاملة ·

والواقـــع ان القيـــادة الاشـــتراكية الديمقراطية كانت تتوفر لها فى ذلك الحين كل ما تحتاجه لذلك : حزب قوى منظم تنظيما جيدا ، وحـــركة نقـابية · اما ما لم يكن متوفرا لديها فهو العـــزم والتصميم على حشد قوى هذه الطبقـــة العاملة لمنع سيطرة الرجعية · وكلمـــا طالب العمال بالتحرك والعمل كان القادة الاشتراكيون يردون قائلين « اهـــداوا » وكان من شعاراتهم فى انتخابات نوفمبر عام ۱۹۳۰ البرلمانية شعار يقول « ان منظر حركة هايمفيهر المتورمة يبدو زريا بالمقارنة بقوة الاشتراكية الديموقراطية ! »

وفاز الاشتراكيون الديمقراطيون باثنين وسبعين مقعدا من ١٦٥ مقعدا ، وتمكنوا من تعيين رئيس البرلمان ، وكانت لديهم فضلا عن ذلك منظمة « رابطة الدفاع عن الجمهورية » وهى منظمة شبه عسكرية تتألف أساسا من العمـــال الاشتراكيين الديمقراطيين الشبان ومتوسطى العمر · وكانت هذه المنظمة مسلحة ، أو عـــلى الاقل كانت الاسلحة المعدة للاســـتعمال مخزونة « لظرف طارىء » · وخلقوجود هذه المنظمة لدى العمال وهما بان كل الاحتياطات قد اتخذت لحماية حقوقهـم الاجتماعيـــة والسياسـية وللدفاع عن الجمهورية · ولكن حين اصبح هــــذا « الظرف الطارىء » حقيقـــة ماثلة فى فبراير عام ١٩٣٤ وكان لا بد من اتخاذ خطوات ضد القوى الرجعيـــة ، تركت الطبقة العاملة منزوعة السلاح وغير معدة للنضال الجماهيرى وانعزلت رابطـــة « الدفاع عن الجمهورية » · وكانت تلك هى نتيجة لسنوات طويلة من سـياسة الاستسلام التى اتبعها الاشتراكيـــون الديمقراطيون ·

ولقيت هذه السياسة معارضة داخـــل صفوف الحـــزب · واعلنت كاتى ليشتر (وقد توفيت فيما بعد فى أحد معسكرات الاعتقال النازية) امام مؤتمر الحـــزب الاشتراكى الديمقراطى فى عام ١٩٣٢ : « ولا يمكن أن يكفل نضالا فعالا من أجـل الديمقراطية ألا بسياسة تتجه الى كسب السلطة واستخدام كل الوسائل المتاحـة بما أى ذلك العنف الشـورى » ·· لكن العنف الثورى كان هو اكثر ما يخشاه القادة الاشتراكيون الديمقراطيون ·

وقد اوضح الحزب الشيوعى بجلاء من خلال عمله السياسى والايديولوجى الطريق لمنع سيطرة الفاشية ، لكن الغالبيةالعظمى من عمال النمسا كانت تعتمد على القادة الاشتراكيين الديمقراطيين لاضاءة «النور الاخضر » · ولم تأت هذه الاشارة ابدا، واصيب العمال بخيبة الامل ، وتحطمت ارادة المقاومة لديهم · وفى مارس عام ١٩٣٣ قامت حكومة دولفوس الرجعيـة بشـل البرلمان عمليا ، وفرضـــت على البلاد نظاما استبداديا ، بتحـــريض من موســــولينى فى رومـــا وبتيهلين فى بودابست ، وبعد ان شجعها اســـتيلاء هتلر على السلطة فى برلين · ورد الحزب الشيوعى بخطاب مفتوح وجهه الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى واعضائه يدعوهم الى جبهة بروليتارية مناضلة موحدة · والى الاضراب العام واســـتخدام كل الوسائل المتاحة الاخرى لوقف هجـــوم الحـــكومة على الديمقراطية · وقالت الرسالة ان ضربة مضادة كهذه من جانب العمال النمسويين يمكن ان تكون لهـــا دلالة دولية هائلة ·

وترقب الشيوعيون الرد · الا أنه لم يات الا بعد اشارات متكررة على صفحات

« اللواء الاحمر » وبعد قرارات من كثير من اجتماعات المصانع · وجاء رد الاشتراكيين الديمقراطيين يقول « ان افضل نوع من العمل الموحد انما يكون داخل اطار الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذى ينبغي ان يحتفظ دائما بقيادة الحركة · واذا اراد العمال الشيوعيون - بشعور بالتضامن والانضباط - ان ينضموا الى جماهير الاشتراكيين الديمقراطيين فى النضال فانهم سيلقون من جانبنا الترحيب دائما » · وكان يمكن للعمال الشيوعيين ان يستجيبوا بحماس لو كان القادة الاشتراكيون الديمقراطيون مهتمين حقا بتنظيم النضال · لكنهم كانوا على الدوام يتهربون منه ، وكانت هذه هي ماساة الطبقة العاملة · فقد استغلت القوى الرجعية موقفهم هذا فى تنفيذ مخططاتها ·

وكانت رابطة « الدفاع عن الجمهورية» والحزب الشيوعى وعدد اخر من المنظمات العمالية قد حظرت بالفعل ، ولكن القادة الاشتراكيين الديمقراطيين ظلوا متمسكين بسياسة الانتظار والترقب · ولم يؤد هذا الا الى تشجيع الرجعية ، وسرعان ماتبع حظر صحيفة « اللواء الاحمر » اجراءات مماثلة ضد الصحف الاشتراكية الديمقراطية ، ورغم هذا ظل القادة الاشتراكيون الديمقراطيون يرفضون دعوة العمال الى النضال · وكما قال جورجي ديمتروف فى رسالته الى العمال النمسويين « ان التراجع المستمر لم يكن ابدا دليلا على قوة الطبقة العاملة المنظمة » ·

وادى تزايد السخط فى المصانع وفى صفوف الجناح اليسارى من الحزب الى اجبار اللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكى الديمقراطي على الدعوة الى اضراب عام وتحريك رابطة « الدفاع عن الجمهورية» الجديدة (التى اصبحت حينئذ منظمة غير قانونية) · ولكن حتى هذا القرار شابه تحفظ يقول « اذا بلغ الوضع تحولا حرجا » · والحقت بالقرار اربع نقاط لتحديد المقصود من هذا « الوضع الحرج » · لكن « الاشارة الخضراء » لم تصدر حتى حين احتلت منظمة هايمفيهر الفاشية المراكز الرئيسية فى الحكومة ولم يبق سوى ان تعلن موعد الانقلاب صراحة · واعلن الميجور فاى فى بداية فبراير « سنوجه ضربتنا فى الاسبوع القادم » وأدلى الامير ستارهيمبرج بتصريح مماثل · وكنا نعرف ان هذا ليس حديثا اجوف ، وفى يوم الاثنين ١٢ فبراير عبىء خمس شيوعيى فيينا لتوزيع منشور يدعو العمال الى الاضراب ، ويدعو رابطة « الدفاع عن الجمهورية » الى ان تحمل السلاح، والمصانع الى اقامة لجان العمال · وكانت رسالة هذا المنشور هى « فلنسحق الفاشية قبل ان تسحقنا »

وهكذا فحين توقف الترام فجاة اخذت اسال نفسى « اتراهم حقا قد اعطوا الاشارة لنضال شامل ضد الفاشية ؟ وهل سيكون هناك حقا عمل موحد من جانب الطبقة العاملة فى كل انحاء البلاد ؟ ، وجاء الرد فيما بعد ·

وكان ما حدث هو ان قيادة رابطة « الدفاع عن الجمهورية » فى لينز رفضت ان تقف مكتوفة الايدى فى وقت تعد فيه منظمة هايمفيهر والبوليس صراحة لانقلاب وقررت هذه القيادة تنظيم مقاومة مسلحة اذا هاجم البوليس مركز الاتحاد النقابى او القى القبض على رجال الحزب والمنظمة ، وجاء فى قرار قيادة لينز « ويمكن ان تتطور المقاومة الى هجوم ، وارسل هذا القرار الى اوتو باور الزعيم الاشتراكي الديمقراطي فى فيينا مع مذكرة تقول انه غير قابل للنقض او الالغاء · وأمر باور بارسال برقية الى لينز يدعو فيها الى تاجيل تنفيذ القرار فلقد كانت السياسة لا تزال هى سياسة الترقب والانتظار وخلال ذلك الوقت كان البوليس قد عرف بخطة رابطة « الدفاع عن الجمهورية » فى لينز وهاجم مقر الاتحاد النقابي المحلي · لقد بدا الصراع ولكن بغير الطريقة التى توقعها الرفاق الاشتراكيون فى لينز ·

وكان هؤلاء الرفاق قد طالبوا القيادة الاشتراكية الديمقراطية « بالدعوة الى توجيه ضربة ساحقة فى فيينا وعلى يد الطبقة العاملة فى كل انحاء البلاد »حالما تعرف انباء الصراع فى لينز ، غير ان

هذه الدعوة لم تصدر في حينها • ولم تضرب سوى عدة مصانع في فيينا حين بلغتها انباء لينز في حين بقيت المصانع الاخرى في انتظار « النورالاخضر » بحكم فهم غير سليم لقواعد الانضباط • وكان الوضع يتغير بسرعة• وفي النهاية صدرت « الاشارة الخضراء » التي طال انتظارها •••• وانما بعد ان قتل الكثير من العمال ومن رجال رابطة « الدفاع عن الجمهورية» في لينز ، ولم تكن هناك خطة ، ولاقيادة

موحدة ، وكانت التعليمات التي وجهتها فيينا لبعض وحدات رابطة « الدفاع عن الجمهورية » هي عدم اللجوء الى المقاومة المسلحة الا اذا تعرضت لهجـــوم من البوليس ومنظمة هايمفيهر • وفي فيينا ـ حيث نشب القتال في بعض الاحيـــاء العمالية ـ ابدى رجال المنظمة بطـــولة

ملموسة في دفاعهم عن المناطق العمالية ضد الهجمات المتكررة من جانب الفاشيين والجيش النظامي الذى يستخدم المدفعية واستمر القتال عـــدة ايام ، واطلقت الرصاصة الاخيرة في ١٧ فبراير بعـــد ان بذل الكثير من ابناء الطبقة العـــاملة الباسلين حياتهم في معارك فبراير •

وماذا عن الاضراب العام ؟ في حوالى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ١٢فبراير اضيئت الانوار في فيينا وعاود التـــرام سيره • لقد فشل الاضراب ، لانه لم يكن توقفا عاما ، ولم يؤثر على الســـكك الحديدية •

ولقد قدم جوهان كيبلينج ـ وكان قد غدا في ذلك الحين احد القادة البارزين

للطبقة العاملة النمسوية والحـــزب الشيوعي ـ وصفا دقيقا وسليما للغاية لاحداث فبراير وهو يتحدث امام مؤتمـــر الحزب الشيوعي في سبتمبر عام ١٩٣٤ قائلا «لقد عاش رجال رابطة « الدفاع عن الجمهورية » ببسالة في فبراير ،لكنهم كانوا معزولين عن الجماهير • وفشل الاضراب العام لانه لم يكن منظما ولان قادة الاشتراكيين الديمقراطيين خربوه •• ولم تكن هناك قيادة من الحـــزب الثوري ان سياسة التراجع التي اتبعتها القيادة الاشتراكية الديمقراطية طويلا قد انهكت الطبقة العاملة ، واضـــعفت عزمها على القتال ، وقادتها في فبراير الى الهزيمة»

وكان لرسالة ديمتروف التي كتبها عقب احداث فبراير بقليل تاثير بالغ في النمسا حيث وزعت سرا ، فقد كان ديمتروف قد قضى عدة سنوات في فيينا حيث عاش سرا واتصل بالحركة العمالية النمسوية ، ولقد كان على حق تماما حين قال « اننا نحـن الشيوعيين نتطلع الى مستقبل الطبقـــة العاملة النمسوية بثقة بالغة • لاننـــا واثقون تمـــاما في الانتصـــار الاخير للبروليتاريا • ولقد منحتني هذه الثقة القوة اثناء محاكمة ليبزيج على ان اواجه العدو الضاري بنفس الشـــجاعة التي واجه بها المناضلون الاماجـد في كارل ماركسهوف الموت ••• لقد انتهت معركة ••• والمقاتلون يحصـــون قتلاهم ، لكن ارادتهم لم تتحطم ، فالجيش البروليتاري العظيم يمضي قدما نحو النصر النهائي » ولم تقتصر رسالة ديمتروف على كشف اسباب المأساة بل لعبت دورا هاما في التغلب على المشاعر الانهزامية بين العمال النمسويين •

تلك احداث مضت منذ اربعين عاما ! وهي جزء لا ينسى من تاريخنا •

دائــرة المعارف

● القومية والاممية

تروج أجهزة الاعلام البرجوازية للمفهوم القـائل بان « القرن الحـالى هو قرن القومية » ، وتزعمان القومية تغزو اليوم عقول كل الشـــعوب فى كافة البلدان والقارات ، وانها قد اصبحت أيديولوجية وسياسة كل الدول بغض النظر عن طبيعتها الطبقية

وتساق كثير من الحجج للدفاع عن هذا الهراء. وكثيرا ما يشيرون الى الزعم القائل بان مظـاهر القومية ليست سوى نتيجة لنمو الوعى القومى ، وان تلك المظاهر تنتشر فى ايامنا . وعند فجــــر الراسمالية كانت القومية ، باعتبارها ايديولوجيــة البورجوازية ، تعكس نمو وعى الشعوب القومى . لكن هذه المرحلة اصبحت منذ وقت طويل فى عداد المـاضى ، اما الآن ، فان الايديولوجية البرجوازية ومبادئها القومية تعـــانى ازمة حادة فى جميع البلدان الراسمالية المتطورة . لقد انهارت تلك الافكار التى عفا عليها الزمن فى عقول الكادحين الذين يتـأثرون بشكل متزايد بأيديولوجية الطبقة العـــاملة وبافكار الاممية البروليتارية .

ويؤكد ايديولوجيو البرجوازية كذلك أن شعوب العالم الثالث تســـير تحت راية القومية . ومن

الصحيح أن حركة التحرر الوطني التي تطورت بعد الحرب العالمية الثانية وادت الى انهيار الامبراطورية الاستعمارية وقيام عدد كبير من الدول القومية ، قد نمت في معظم هذه البلدان تحت قيادة الاحزاب القومية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وسارت خلف شعاراتها . ويرجع ذلك في الاساس الى التطور المحدود نسبيا للظروف الاجتماعية ، وللرأسمالية في تلك البلدان ، مماترتب عليه وجود طبقة عاملة صغيرة ضعيفة للقوى البرجوازية والبرجوازية الصغيرة من حيث تنظيمها السياسي . وهذا ماسمح لها أن تحتل مراكز القيادة في عديد من هذه البلدان .

وفي نفس الوقت ، فان التحليل الموضوعي لطبيعة القومية في البلدان النامية ولدورها الحقيقي ، يوضح انها نوع خاص من القومية ، وان آفاقها محدودة تاريخيا .

ولقد اشار لينين الى ضرورة التفريق بين قومية أمة قاهرة وقومية أمة مقهورة . وكتب يقول : « ان القومية البرجوازية لأية امة مقهورة ذات محتوى ديموقراطي عام موجه ضد القهر .. وأكد كل مجرى تطور حركة التحرر الوطني صحة هذا الاستنتاج . فالايديولوجية والسياسة القومية السائدة في الوقت الحاضر في كثير من بلدان العالم الثالث ، التي قاست لفترة طويلة من نير الاستعمار ، ذات محتوى تقدمي ديمقراطي عام ، معادى للامبريالية . وقومية هذه الشعوب مشربة بروح النضال ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد . انها ليست بأي حال نفس القومية التي يبشر بها بحماس دعاة البرجوازية الامبريالية .

ومع تطور ثورات التحرر الوطني الحديثة واتجاهها الى حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية العميقة الجذور في الحياة الاجتماعية للبلدان النامية ، تبدا القوى الديموقراطية الثورية والطبقة العاملة في لعب دور متزايد الاهمية في اتجاه اكثر عداء للامبريالية وللراسمالية

ويحاول أيديولوجيو العالم الرأسمالي مساندة قادة الجناح اليميني ذوى الاراء البرجوازية القومية في البلدان النامية الذين يميلون الى التهادن مع الامبريالية ويتخذون موقفا معاديا للاشتراكية .

ويعتبر الدور الحقيقي للقومية والاممية في عصرنا احد المسائل المحورية للصراع الايديولوجي . وقد كتب لينين يقول :

« القومية البرجوازية والاممية البروليتارية - هذان هما الشعاران المتعارضان اللذان لا يقبلان التوفيق ويتفقان مع المعسكرين الطبقيين الكبيرين في العالم الراسمالي ، ويعبران عن السياستين (أى النظريتين العالميتين) في المسألة القومية » .

وتبشر القومية البرجوازية بالتميز القومي لامتها وبموقف عدائي نحو الامم والشعوب الاخرى .

وهي ترتكز على العقلية والنفسية الذاتية للملكية الخاصة ، وعلى النظرة الاخلاقية والسياسية والمعنوية لطبقة المستغلين ، والبورجوازية الكبيرة هي التي تحدد على الدوام القواعد القومية للعقلية والسلوك بينما الاقسام البرجوازية الصغيرة من السكان هي كقاعدة عامة الوعاء الجماهيري وضحايا الاوهام القومية .

وحيث ان ايديولوجية البرجوازية هي الايديولوجية الحاكمة في المجتمع الرأسمالي، فان بعض الكادحين يخضعون كذلك للتأثيرات القومية ، بما في ذلك بعض العمال ، رغم ان القومية تتعارض جذريا مع المكانة التي تحتلها الطبقة العاملة في الانتاج الاجتماعي ومع مصالحها الطبقية .

وكثيرا ما تؤدى القومية الى الشوفينية ، الايديولوجية الرجعية لسيطرة أمة على اخرى . والعنصرية هي النتاج المشوه الكاره للانسان للقومية البرجوازية . والفاشية والصهيونية أمثلة تاريخية للانحطاط الشوفيني العنصري للقومية البرجوازية .

وفي الوقت الحاضر ، تسعى البرجوازية الاحتكارية الى الاستفادة من القومية والشوفينية والعنصرية لتبرير أسوأ سمات النظام الرأسمالي والسياسة الامبريالية : العدوان على الحقوق وزيادة استغلال العمال الاجانب ، والتمييز العنصري ضد السكان الزنوج والاقليات القومية الاخرى ، وتدعيم سياسة الاستعمار والاستعمار الجديد ، والنهج العدواني للدوائر الرجعية الامبريالية ، الخ • وتحاول البرجوازية بمساعدة القومية صرف الطبقة العاملة عن النضال الطبقي وتضليل الكادحين •

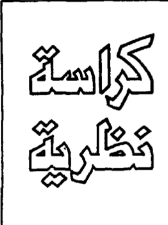
وتتناقض القومية تماما مع المصالح الطبقية والمبادىء المعنوية لطبقة العاملة وقد أشار فردريك انجلز في خطاب له الى الرفاق التشيك في مناسبة اول مايو ، الى ان الطبقة العاملة اممية بطبيعتها ، والى ان«عمال القوميات المختلفة» لهم نفس المصالح المشتركة ، وانه بمجرد انتكسب الطبقة العاملة السلطة السياسية ،سيقضى على كل مبررات الشقاق القومي » •

ولقد ادان لينين دون رحمة القومية البرجوازية • وكتب مدافعا عن المواقع الاممية للطبقة العاملة وحزبها الثوري يقول : ان الماركسيين يعارضون بحزم القومية في كافة اشكالها — من القومية الرجعية الفجةلدوائرنا الحاكمة والاحزاب اليمينية الاوكتوبرية الى القومية الاقل تهذيبا وتخفيفا للاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة » •

وخلال النضال ضد انتهازيي الدولية الثانية ، وضد الشوفينيين الاجتماعيين والقوميين من مختلف الاتجاهات ، صاغ لينين مبادىء الاممية البروليتارية التي اصبحت الاساس الراسخ لايديولوجية وسياسة الطبقة العاملة الدولية وأحزابها السياسية •

وتغتني الاممية في المجتمع الاشتراكي بمحتوى جديد وترتفع الى مستوى جديد: ويتسع أساسها الاجتماعي وتصبح مبدا وقاعدة للسلوك لا للطبقة العاملة فحسب وانما للفلاحين كذلك وللمثقفين العاملين، ولكل الطبقات والمجموعات الاجتماعية في المجتمع الاشتراكي • والسمة المميزة للاممية الاشتراكية هي انها جزء لا ينفصم من الوطنية •

ولقد اصبحت الاممية الاشتراكية قاعدة للعلاقات بين الدول الاشتراكية التي يوحدها نظام اجتماعي مشترك ، وتماثل اهدافها التاريخية • وفي الاممية الاشتراكية يتسع التضامن الطبقي والاخوة بين الجماهير العاملة في كل الدول الاشتراكية ، الى التضامن الثوري مع عمال العالم وحركة التحرر الوطني ، والقوى التقدمية في جميع انحاء العالم •

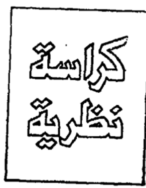


● من يخــــدم الجيش؟

الـــدور الســياسى للجـــيش فى البـــلدان النـــامـــيـــة

● الاقتصـاد الســياسى والتقـــدم الاجتـــماعى

● إبـــــــداع الماركســية اللــيـنـينـيـة



من يخدم الجيش ؟

الدور السياسى للجيش في البلدان النامية

درس هذا الموضوع فريق بحث عالمى ضم كلا من الدكتور م. كوسوك البروفيسور فى جامعة كارل ماركس « لايبزيج ، جمهورية المانيا الديموقراطية » ، ل. باديليا عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البوليفى ، وريبيرو ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البرازيلى ، والدكتور سيفورتيان، « مؤرخ سوفييتى » و س. سودبمان ممثل الحزب الشيوعى الاندونيسى فى مجلة السلم والاشتراكية وآراخاجادور عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى .

اصبح الجيش فى سير من البلدان النامية عاملا سياسيا رئيسيا ، وعاملا حاسما فى التحركات التقدمية منها او الرجعية . ومن هنا فان قضية التحالف بين القوى اليسارية والديموقراطية والجناح الوطنى فى الجيش ، وكذلك عزل الجناح الرجعى فيه تكتسب أهمية خاصة . ويحتاج دور الجيش فى البلدان النامية الى دراســـة أكثر دقة ، وذلك لمواجهــه التفسيرات غير الماركسية لتدخله فى الشـــئون الاجتماعية بمعالجة علمية . ان الاحزاب الشيوعية فى البلدان النامية تعير هذه القضية فى الوقت الحاضر اهتماما متزايدا وتحوى وثائقها معـــالجات نظرية للقضية المطروحة وتحليـــلات للاستراتيجية والتكتيكات الثورية ، الامر الذى يسمح باستشراف مواقف الجيش فى الاوضاع المختلفة .

***

ركز فريق البحث اهتمامه على ما هو مشترك بالنسبة لبلدان آســـيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية فى هذا الموضوع ، الامر الذى جعله قادرا على تحديد أوجه الشبه فى الظواهر الاجتماعية الناجمة عن وحدة مصائر حركة التحرر الوطنى . فعلى الرغم من أن هذه الحركة تعرضت لمحن قاســـية ومرت بهزائم ونكسات مؤقتة ، الا أنها تتطور بشكل حتمى الى حركة اجتماعية موجهة ضد أسس النظام الاستغلالى ذاتها . ان مايوحد شعوب القارات الثلاث هو النضـــــال ضد الامبريالية العالمية والرجعية الداخلية المرتبطة بها ، وتشاطر العناصر الوطنية فى الجيش ورغبة الشعب فى تصفية سيطرتهما .

ويلاحظ فريق البحث أنه عند تحليل النشاط السياسى الذى يقوم به الجيش فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وعند تحليل طابع الانظمة الناشئة عن هذا النشاط فلابد من تقييم السمات المميزة لكل قارة ولكل بلد . فأمريكا اللاتينية مثلا تســـبق آسيا وافريقيا بوجه عام من حيث مستوى التطور الاجتماعى والاقتصادى . ذلك أن دول هذه القارة « أقدم » من الدول الاسيوية والافريقية ، كما تكونت القوميات فى الاكثرية الساحقة منها ، أما فى آسيا وأفريقيا فمازالت الامم ، كقاعدة عامة ، فى عملية التشكل .

ولابد اذن ، من أن تؤخذ هذه الفروق بعين الاعتبار ، لدى تحليل الدور السياسى الذى يلعبه الجيش فى البلدان الافريقية والآسيوية وفى بلدان أمريكا اللاتينية .

(*) يستند هذا البحث أساسا الى التطورات السياسية فى بلدان آسيا وشمال افريقيا وامريكا اللاتينية .

« ... ان تاريخ الجيش عبارة عن تلخيص واضح لمجمل تاريخ أشكال المجتمع المدنى » (١) ، هذا ماقاله كارل ماركس وهو يتتبع عمليات التطور فى القوات المسلحة وفى المجتمع . وكانت الأدبيات الكلاسيكية للماركسية تعتبر القوات المسلحة بشكل أساسى ، اداة للعنف الرجعى والسيطرة الطبقية فى المجتمعات التناحرية ، غير أنها لاحظت فى الوقت نفسه أن الجيش أو قسما معينا منه فى الفترات الثورية ، لايبقى بمعزل عن المشاعر الاجتماعية التقدمية ، وانما يمكن أن يكون فى بعض الاحيان وعاء لهذه المشاعر ، وهذا ماتدل عليه تجربة ثورات عديدة .

لقد اعتبر الماركسيون ، على الدوام ، الديمقراطيين من العسكريين احتياطيا محتملا للقوى الثورية . ومن المعروف أن لينين خلال الثورة الروسية الاولى فى أعوام ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ حيا بحرارة انتقال بعض وحدات الجيش القيصرى الى جانب الشعب (٢) .

واشار أعضاء فريق البحث الى أنه تلتحق بصفوف الجيوش عناصر اجتماعية جديدة لاترتبط بالطغمة البرجوازية والاقطاعية وغريبة عنها من حيث أيديولوجيتها . ويمكن لهذه العناصر أن تصبح عاملا له وزنه فى النضال التحررى المعادى للامبريالية ، ولكن ، لابد من الاعتراف بشىء آخر هو أنه بقدر مايتعمق المضمون الاجتماعى لهذا النضال ، يتزايد نشاط العناصر الرجعية فى الجيش ، فيصبح أداة بيد الطبقات المستغلة وسلاحا من أسلحة الثورة المضادة .

ان التجربة السياسية للاحزاب الشيوعية تدل على أن نجاح حركة التحرر المعادية للامبريالية يتوقف على قدرتها على أن تفضح بسرعة مخططات العسكرية الرجعية ونزعات الاغتصاب لديها ، واستمالة جميع العناصر الوطنية ذات الفكر الشريف فى القوات المسلحة الى جانب القوى التقدمية .

وقال باديليا ان تطور الجيوش الامريكية اللاتينية يوضح بجلاء التفاعل بين العمليات الاجتماعية والعمليات التى تجرى داخل القوات المسلحة . ان تطور الرأسمالية في أمريكا اللاتينية الذى بدأ فى الثلث الاخير من القرن الماضى قد رافقه نمو طبقات جديدة . وحالما اشتد ساعد البرجوازية المحلية أخذت تعيد تنظيم المؤسسات السياسية والجيش .

---

(١) ماركس وانجلز ـ المؤلفات الكاملة ـ الطبعة الروسية ـ المجلد ٢٩ ـ ص ١٥٤ .
(٢) ف.١٠لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد ٨ ـ ص ٥٨٠ وما بعدها والمجلد ١٠ ص ٥٤ وما بعدها .

ففى عشية الحرب العالمية الاولى حل الجيش المحترف محل الجيوش الخاصة « للاكوديلو » (أى الزعماء) . غير أن هيئـــات الضبـاط ظلت بصورة رئيسية من ممثلى العائلات الاقطاعية وان ظهر الى جانب هؤلاء فى بعض الجيوش ، وعلى سبيل المثال الجيش البرازيلى ، ضباط ينحدرون من البرجوازية ، بما فى ذلك الفئات المتوسطة فى المدينة والريف . وقد وسع التجنيد الاجبارى العام الذى تم تطبيقه فى بعض البلدان ، القاعدة الاجتماعية للقوات المسلحة . .

وادى نمو النزاعات المعادية للاوليجاركية وللامبريالية ، وتصاعد نضال الطبقة العاملة وغيرها من الحركات الديمقراطية الى تزايد نشاط القوى التقدمية داخل الجيش . ولم تشـــهد فترة ما بين الحـربين العـالميتين الانقلابات الموالية للامبريالية ، والتى شجعتها الاوليجاركية والبرجوازية الكبيرة فحسب ، بل شهدت كذلك ظهور تطور جديد هو : قيام الجيش بأعمـال وطنية معادية للامبريالية مثل الـكفاح المسلح بقيـادة الجنرال ســاندوينو فى نيكاراجوا ، وحركة « التبنبنتيين » فى البرازيل . وعدد من الاعمال المشــابهة فى بعض البلدان الاخرى . وكانت ميول الجنود والضباط تعكس الى هذا الحد أو ذاك ، احتدام نضال الجماهير الكادحة .

وكان مقيضا للعمليات الاجتماعية التى جرت فى أمريكا اللاتينية فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية انتؤثر فى الجيش . ففى بوليفيا وجواتيمالا والاكوادور والسلفادور ، مثلا ، كانت مطالب العسكريين الراديكالية تتفق والمطامح السياسية للبرجوازية الصناعية التى كانت تسعى لتحطيم القبضة الامبريالية على الاسواق الداخلية لهذه البلدان . وان كان صـحيحا ان البرجوازية كلما احست بأن الثورة أخذت تتخطى أهدافها ، عمدت على الفور الى قطع جميع علاقاتها مع الضباط الذين كانوا حتى الامس حلفاءها

وادى تفاقم التناحرات الاجتماعية والنضال الثورى للشعب من أجل احداث تغيير أساسى فى النظام القائم ، منذ أواخر الستينات الى اشتداد ملحوظ فى الميول التقدمية فى صفوف الجيوش الامريكية اللاتينية . ولم يتم ذلك فيها كلها ، طبعا ، ولكن اذا ما أخـذنا فى الاعتبـار بيرو وباناما واكوادور حيث يجرى اضعاف مواقع الامبريالية وحيث تضار امتيازات الطبقات الحاكمة فاننا نستطيع أن نتحدث عن تغيرات هامة فى تفكير الضباط ونظريتهم العامة .

وقال كوسوك ، ان التطورات التقدمية التى طرات على الموقف السياسى للأوساط العسكرية فى عدد من بلدان أمريكا اللاتينية ينبغى النظر اليها فى سياق التعمق المستمر للازمة البنيوية التى شملت كذلك البناء الفوقى بما

فى ذلك الجيش بوصفه أحد المؤسسات الرئيسية لهذا البناء ومن جهة اخرى ، ففى ظل الازمة البنيوية تزداد كثيرا العدوانية السياسية لتلك الكتل العسكرية التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالبرجوازية الكبيرة والاقطاعيين . والدليل على ذلك ، الاحداث فى بوليفيا فى عام ١٩٧١ ، وفى أوروجواى فى عام ١٩٧٣ ، عندما أقام الرئيس بوردوبيرى بتأييد من الدوائر اليمينية فى الجيش دكتاتورية معادية للشيوعية ، وأخيرا ، أحداث شيلى . فالانقلاب العسكرى الفاشي فى شيلى ماهو الا محاولة من الرجعية لايقاف عملية الثورة الاجتماعية .

ان العسكريين الرجعيين يشكلون فى الانقلابات المعادية للثورة أداة فى يد الطبقات المستغلة وفى الوقت نفسه ، عنصرا مستقلا من عناصرها . وهم لايترددون فى القضاء على المنظمات السياسية والمؤسسات المدنية لهذه الطبقات . وهذا مايجرى فى شيلى حيث قضت الطغمة الفاشية على الحكومة الشعبية ثم حلت كذلك البرلمان الذى كانت اكثرية النواب فيه من الرجعيين . وبعد حل الاحزاب اليسارية حلت كذلك الاحزاب اليمينية (١) وجاء فى نداء الحزب الشيوعى الشيلى الى الشعب « ان الانقلاب العسكرى قضى على مؤسسات الدولة ولم يترك سوى السلطة القضائية القديمة الخاضعة للطغمة ودمية هو المراقب العام وتم القضاء على الدولة الشرعية وتحولت شيلى الى دولة بوليسية تتصرف فيها كما يحلو لها عصابات من العسكريين المسعورين الذين يطأون الدستور والقانون » غير أن الطغمة العسكرية ، بعد ان تخلصت من البرلمان والمنظمات السياسية للبرجوازية والاقطاعيين ، تنفذ **مباشرة** ارادة هذه القوى الطبقية ، فهى تعيد الصناعات المؤممة الى اصحابها السابقين وتعيد الى الاقطاعيين الاراضى التى كانت حكومة سالفادور الليندى قد وزعتها على الفلاحين .

وقال **سيفورتيان** ، فى معرض حديثه عن طبيعة العلاقات بين الاوساط العسكرية وهذه الطبقة او تلك ، ان سلوك العسكريين يمكن ان يكون مستقلا نسبيا عن المنظمات الطبقية كالاحزاب ، مثلا ، مما سمح لبعض انصار « الحكومة القوية » أن يؤكدوا بشكل ديماجوجى أن الجيش « غير منحاز » وان وظيفته الوحيدة هى الدفاع عن « المصالح العليا للامة » . ولكن الامر ليس كذلك بالطبع . فقد دلت اعمال الجيش المعادية للثورة فى الدول الافريقية والاسيوية على أن الطغمة العسكرية ، وان كانت تقمع المنظمات السياسية للطبقات المالكة ، تعمل مع ذلك بوفاء واخلاص من أجل المحافظة على الاسس الاقتصادية والسياسية لسيطرة هذه الطبقات . وكان هذا هو دور الاوساط العليا من العسكريين فى باكستان والسودان بعد انقلابى عام ١٩٥٨ ، وهذا أيضا هو دورها اليوم فى اندونيسيا .

---

(١) بعد عدة اشهر سمحت الطغمة العسكرية — الا وجدت نفسها معزولة تماما بقدر من « الشرعية » المحدودة للاحزاب اليمينية .

اما الاعمال المستقلة نسبيا للعناصر الوطنية العسكرية ، فان لها اساسا اجتماعيا مختلفا كليا . وتضطلع هذه الاوســـاط فى أحيان كثيرة ، خلال ثورات التحرر فى الشرق ، بدور المعبر عن أمانى بعض الفئات الاجتماعية والطبقات التى لاتتمتع بالامتيازات ، أى البرجوازية الصغيرة وقسم من رجال الاعمال الوطنيين ، والفئات المتوسطة ، غير أنها لاترتبط ارتباطا مباشرا بفئة واحدة أو بطبقة واحدة . وهذا الطابع بالذات هو الذى اتصف به نضال الضباط المصريين فى ثورة ١٩٥٢ . ويتعرض الجيش فى مرحلة نهوض النضال الثورى لتأثير شديد من الحركة الجماهيرية . وهذا مايؤكده تطور تلك الجيوش الافريقية والاسيوية التى تم انشاؤها فى غمرة الحروب المعادية للاستعمار ، ونعنى الجيوش فى الجزائر وبورما وأندونيسيا .

وقال **سودبمان** ، ان الوضع السياسى الذى ساد هذه البلاد فى ذلك الوقت أثر حتى على العناصر البرجوازية والاقطاعية بين الضباط . وكان الجيش الذى تألف من ممثلى مختلف الطبقات من الفلاحين حتى البورجوازية الوطنية أكثر صلة بالشعب فى أى وقت مضى . ففى أندونيسيا ، مثلا ، لعبت فصائل الميليشيا الشعبية التى انضمت فى سنة ١٩٤٧ الى القوات النظامية ، دورا ملحوظا فى جعل موقف العسكريين اشد راديكالية فى بداية الثورة . وحتى الآن مازالت العناصر البرجوازية الصغيرة السائدة تؤثر بقوة فى الضباط فى عدد غير قليل من بلدان آسيا وافريقيا .

وقال **سيفورتيان** ان الطابع الزراعى الذى تتصف به اقطار الشرق ، وضعف البرجوازية الوطنية والبروليتاريا فيها ، قررا سلفا النسبة الكبيرة للفئات غير البروليتاريا فى البنية الاجتماعية من البرجوازية الصغيرة فى المدينة والريف ومن الموظفين والمثقفين والانماط والمجموعات الاجتماعية الوسيطة . وينطبق هذا على الجيش بدوره ، وقد أدت النسبة المتزايدة من هذه العناصر فى العقود الاخيرة ، وما صاحبها من انخفاض عدد العناصر البورجوازية والاقطاعية الى تشجيع انتشار المشاعر الثورية بين صفوف الجيش . والغالبية العظمى من العسكريين المساهمين فى الكفاح الوطنى فى بلدان الشرق الاوسط ، هم من أبناء الفئات التى لا تتمتع بالامتيازات وفى العادة من أبناء العائلات منخفضة الدخل . ومعظم هؤلاء من الضباط لأن الجنود فى العادة أميون أو أشباه أميين . وكثيرا ما تتخطى رادكالية هؤلاء الضباط حد مطلب تحطيم المؤسسات الاقطاعية والبرجوازية الاكثر رجعية، وتلتقى مباشرة بفكرة الثورة الاجتماعية .

وقال **ريبيرو** ، ان الجيوش الامريكية اللاتينية تشهد توسعا فى التركيب الاجتماعى لهيئات الضباط . وتدل على ذلك ، مثلا ، الارقام التالية : ففى سنوات ١٩٤١ ــ ١٩٤٣ كان ١٩٫٨ ٪ من طلاب المدرسة العسكرية العليا فى البرازيل من أبناء الاقطاعيين والبرجوازية الكبيرة . أما فى النصف الاول من الستينات فقد انخفضت هذه النسبة الى نحو ٦ ٪ ، وازداد فى الوقت

نفسه عدد ممثلى الطبقات المتوسطة والدنيا ، الذين يتسمون باستجابة كبيرة للقضايا الاجتماعية التى تحتاج الى حل فورى ، ويميلون الى الافكار الديموقراطية .

واشار **اراخاجادور** ، الى انه لا يجوز نسيان الاتجاه العام نحو التمايز فى صفوف البرجوازية الصغيرة ، ذلك ان ضباط الجيش من ابناء العائلات منخفضة الدخل ، يمكن أن يبتعدوا عن بيئتهم ويخونوا المثل العليا الثورية ويصبحوا رجال اعمال ، ويتبنوا النظرة البرجوازية ، ففى بورما مثلا ، أصبحت هذه العناصر من ابناء الفئات المتوسطة فى أواخر الخمسينات ،على راس منظمة ذات طابع احتكارى هى « شركة تنمية بورما الاقتصادية » المرتبطة بالجيش ارتباطا وثيقا .

وقال **سودبمان** ، ان عمليات كهذه جرت كذلك فى الجيش الاندونيسى، فبعد الثورة ارتبط قسم من الضباط من أبناء الفلاحين والبرجوازية الصغيرة بالقوى المحافظة ، واقاموا معها علاقات اجتماعية وثيقة ، وتزوج بعضهم من بنات العائلات « الراقية » . وانضم هؤلاء البرجوازيون الصغار السابقون الى الفئة ذات النفوذ الشديد من البيروقراطية العسكرية والمدنية ، وعملوا يدا فى يد مع الطبقات المالكة . وأصبح بعض الضباط أغنياء وانضموا الى ما نسميه فى أندونيسيا بالطبقة الرأسمالية البيروقراطية .

وقال **كوسوك** ، ان أمريكا اللاتينية تشهد منذ سنوات عملية اجتذاب العناصر البورجوازية الى هيئات الضباط فى الوقت الذى تتناقص فيه باستمرار العناصر الاقطاعية ، وذلك نتيجة لنضج الرأسمالية النسبى فى بعض بلدان القارة . وقد دخلت البرازيل مثلا ، المرحلة التى تبنت فيها حتى العناصر الاقطاعية والكثير من العناصر البرجوازية الصغيرة النظرة العامة للبرجوازية .

ويجب الا يغيب عن البال أن العسكريين فى بعض بلدان أمريكا اللاتينية قد تغلغلوا فى قطاع الدولة الاقتصادى ، وهم يرتبطون من خلال ذلك (ومن خلال وسائل أخرى) ارتباطا وثيقا بالاوليجاركية .

وقال **ل . باديليا** ، ان العملية المتناقضة لتغيير التركيب الاجتماعى للقوات المسلحة ترافقها عملية أكثر تعقيدا هى تطور عقلية العسكريين ونظرتهم العامة .

ففى الجيوش الامريكية اللاتينية ينمو باستمرار تأثير القومية الثورية وهى أيديولوجية الفئات غير البروليتاريا (قسم من البورجوازية الصغيرة والطلاب والاوساط الديموقراطية من رجال الدين) . غير انه لايجوز

التغاضى عن ان وطنية الضباط قد تتدهور فى ظروف معينة الى اصلاحية عادية ، وهذه نزعة تشجعها البرجوازية بصورة نشــــطة ، اذ ترى فى الاصلاحات مخرجا من الازمة البنيوية . ويمكن للاوساط العسكرية أن تتبنى كذلك المفاهيم البرجوازية الصغيرة للثورة . وتوجد فى الوقت نفسه امكانية زيادة تأثير الافكار الماركسية ــ اللينينية بين قسم من العسكريين كما توجد امكانية التقارب بينهم وبين الحركة العمالية .

ان القومية البورجوازية تمارس اليوم تأثيرا كبيرا على أوساط الضباط . وهى فى بوليفيا عبارة عن ايديولوجية اصلاحية يتبناها العسكريون الذين يلجأون الى النظريات الاصلاحية لتبرير هيمنة البرجوازية ، ولخـــداع الفئات المتخلفة سياسيا ، ودعم الاوهام القائلة ان السلطة ترعى « مصالح الأمة بأسرها » .

والقومية الرجعية اساس ايديولوجي للتقارب بين الدكتاتورية البوليفية والدكتاتورية البرازيلية وكليهما تتمسكان بمعاداة الشيوعية والسوفييت والسياسة الرجعية ، والدعوة الى التفرد القومى .

وقال **سودبمان** ، ان الاوساط الحاكمة تفرس عن عمد المشاعر القومية الرجعية والمعادية للشيوعية ، وسط الضباط فى كثــــير من الجيوش الاسيوية . وفى أندونيسيا يصحب غرس الايديولوجية الرجعية فى القوات المسلحة الاندونيسية الاشارات المتــــكررة الى الدور « الاجتمـاعى » للعسكريين . وخلال عدة عقود كان الســـياسيون العسكريون اليمينيون يروجون لما يسمى بالوظيفة العسكرية والاجتماعية المزدوجة للجيش . وقد صيغ هذا المفهوم ، الذى تكمن جذوره فى الشكل المحلى لفــكرة الدولة الشمولية ، والذى تبناه يوما ما الايديولوجيون الاقطاعيون والبرجوازيون ، من أجل الابقاء على سيادة الفئة العسكرية فى المجتمع الاندونيسى . ولكن هذا المفهوم ليس بجديد فقد وصف كارل ماركس عبادة الجيش فى معرض فضحه لنظام الحكم البونابارتى ، كوسيلة لتبجيل الســـلطة المعـــادية للشعب .

غير أن الافكار القومية والتقدمية تتغلغل فى الجيش من خلال الفئـــات المتوسطة التى تتدفق الى الجيوش الافريقية الاسيوية فى العقود الاخيرة والعنصر الجديد هنا هو اتجاه الضباط الى اعتناق الايديولوجية الثورية الديموقراطية والاشتراكية ، كما تدل على ذلك افكار التقدميين فى الجيش فى بورما وسوريا والعراق والصومال والكونغو .

مع الشعب أم ضده ؟

أكد فريق البحث انه لابد عند تحليل الدكتاتوريات العسكرية وتطورها

من استخدام المعيار الطبقي الذى يتيح رؤية أوجه الشبه أو الاختلاف الاساسية بين أنظمة الحكم التى تنشا نتيجة لعملية عنف تقوم بها القوات المسلحة . والاجابة عن السؤال التالى : « الى جانب من يقف الجيش ؟ » هى التى تزودنا بمناخ ادراك الطبيعة الاجتماعية لديكتاتورية عسكرية ما . لكن علينا ان ندرس ايضا اشكال واساليب الادارة السياسية . فهذه الاشكال والاساليب تتعرض لتاثير الخصائص القومية النوعية ، ويمكن أن تكون بالغة التنوع .

واعرب أعضاء فريق البحث عن ثقتهم فى ان الاوساط العسكرية الوطنية فى البلدان النامية فى القارات الثلاث لا تستطيع تحقيق التغييرات التقدمية الا اذا اعتمدت على الشعب وتحالفت مع القوى اليسارية وغيرها من القوى الوطنية . اما اذا تصرف الضباط بصورة منعزلة فان أعمالهم لن تؤدى الى النجاح مهما كانت نواياهم نبيلة سامية . وفى الوقت نفسه فان وحدة الاوساط اليسارية والديمقراطية التى تضم القسم التقدمى من الجيش شرط لا بد منه لنجاح النضال ضد الدكتاتورية العسكرية الرجعية .

وقال ديبيرو ، ان تحليل أسباب نشوء نظام حكم عسكرى . رجعيا كان أم تقدميا ، يفترض دراسة ميزان القوى فى الجيش بالذات ودراسة الاوضاع الملموسة التى سبقت الانقلاب . ومن المهم الا يغيب عن بالنا انه نادرا ما تعمل مختلف الاسلحة (القوات البرية والجوية والبحرية) ككل واحد فى معظم بلدان أمريكا اللاتينية . واذا ماقامت بذلك بوصفها فئة خاصة ، فانها تسعى الى تعزيز مصالح البورجوازية الكبيرة والاقطاعيين ، والمثال الاخير على ذلك هو الانقلاب الفاشى فى شيلى الذى جرى تحت الاشراف المشترك لقواعد القوات البرية والجوية والبحرية وقوات الامن ، الذين فرضوا على البلاد دكتاتورية ارهابية معادية للشعب .

وينشأ نوع من الحكم العسكرى يختلف أساسا عن النوع السابق ، عندما ينجح القسم القومى ــ الوطنى من الجيش فى عزل الضباط الرجعيين ويقيم حكومة تقدمية معادية للامبريالية على غرار النمط القائم فى بيرو مثلا .

وسأتطرق بايجاز الى تجربة بيرو . تتالف القوات المسلحة هناك ، بشكل أساسى من أبناء الطبقات المتوسطة فى المدينة والريف . وكان الجيش قبل الانقلاب عام ١٩٦٨ يستخدم فى مكافحة حركة الانصار التى اشترك فيها الفلاحون . غير ان القسم الوطنى من العسكريين بدأ يفهم تدريجيا ان نظام حكم بيلاوندى تيرى محكوم عليه بالموت . ولم تكن الطبقات الحاكمة اى البرجوازية والاقطاعيون ، تقدم اية حلول للقضايا الملحة كالاصلاح الزراعى واعادة الثروات الوطنية التى اغتصبتها الامبريالية الى الشعب الخ . . وفى وضع لم تكن فيه القوى المناضلة من اجل الاشتراكية ، تشكل

تهديدا مباشرا لسيطرة هذه الطبقات ، سارت العمليه الثورية فى طريق خاص : فقد رفع الضباط الوطنيون فى بيرو راية التقدم المعادى للامبرياليه. واعتمد الجيش على القوى المعـــاديه للامبريالية فى تحقيق التغييرات الجذرية . وقد اشار المؤتمر الوطنى السادس للحزب الشيوعى فى بيرو فى عام ١٩٧٢ الى ان هذه العملية المعادية للامبريابية والاوليجاركيه تسير سيرا حثيثا .

وقال كوسوك ، ان تقسيم انظمة الحكم العسكرية الى مجموعتين كبيرتين، تقدمية ورجعية لا يستبعد تصنيفا أكثر تفصيلا . فبالنسبة لامريكا اللاتينية يمكن ان نتحدث بشكل أولى عن اربعة أنواع من انظمة الحـــكم ، وهى الدكتاتورية التقليدية ودكتاتورية الطغمة العسكرية ــ الارليجاركية والنظام العسكرى الوطنى التقدمى واخيرا وليس آخرا النظام الذى يقوده العسكريون اليساريون .

ومن الامثلة على الدكتاتوريات التقليدية نظاما الحـــكم فى باراجواى ونيكاراجوا وهما يمثلان أكثر القوى رجعية من الاقطاعيين والفئة العسكرية والبيروقراطية العليا . وتعتمد السلطة فى البلدين على جهاز القمع . ففى باراجواى ، مثلا ، جرى تكييف بنية المؤسسة العسكرية للوظائف الادارية والحكومية ، وتنظيم الحكومة على الأسس « الكودولية » (١) .

والدكتاتورية فى هايتى نوع تقليدى آخر من انظمة الحكم ، وان كان للسلطة فيها تركيبا متميزا حيث أن وظيفة القمع هنا « يتقاسمها » الجيش والقوات التأديبية المعروفة بـ « الفهود » . كما تستخدم الاوساط الحاكمة فى فرض سيطرتها الارهاب واستغلال المعتقـــدات الدينية وخـرافات الفودوية (٢) .

ان الدكتاتورية الموالية للامبريالية ، أى دكتاتوريات الطغم العسكرية تنبعث فى جو من الصراع الطبقى الحاد تحت تأثير التناقض الاساسى بين العمل وراس المال ، ومن أمثلتها نظام الحكم البرازيلى الحالى ونظام الحكم الارجنتينى فى أعوام ١٩٦٦ ــ ١٩٧٣ . وتمثل الدكتاتوريات من هذا النوع حكم البرجوازية الكبيرة والعناصر الاقطاعية ، وكليهما على ارتباط وثيق بالامبريالية الامريكية . ويدل توسع البرازيل الاقتصـــادى فى غيرها من بلدان أمريكا اللاتينية وحتى فى افريقيا على وجود ميول امبريالية كافية تتميز بها بعض انظمة الحكم من هذا النوع .

---

(١) نظام من الديكتاتورية الشخصية نجده فى امريكا اللاتينية ويراسه زعيم ــ كوديللو ــ يعتمد على الجهاز العســكرى البيروقراطى وعلى « الاتباع المقربين » وعلى جهاز ايديولوجى متشعب .

(٢) دين بدائى من اصل افريقى وتستخدمه السلطات لمساندة فكرة ان الدكتاتورية الرجعية نظام « جاء من عند الله » ولا يمكن تغييره .

وتتصف الدكتاتورية فى البرازيل ، شأنها شأن جميع أنظمة الحكم العسكرية ، بصفات البونابارتية أى بـ « الميل الى المناورة » (بين الطبقات) الامر الذى يتضمن رغم الاختيار الطبقى المحدد تماما للعناصر الحاكمة ـ قدرا معينا من « الاستقلال » فى العمل السياسى .

وتقوم فى بيرو وفى باناما وفى اكوادور انظمة حكم وطنية تقدمية ، ترافقها نزعة تقدمية سائدة فى القوات المسلحة . ويندرج تحت هذا الاتجاه التقدمى كذلك نظام الحكم العسكرى اليسارى فى جمهورية الدومنيكان وأعمال الضباط الوطنيين فى فنزويلا وجواتيمالا فى أواخر الستينات .

وقال **باديليا** ، ان مايسمى بالانظمة « القيصرية » فى بلدان امريكا اللاتينية ومنها مثلا نظام حكم أودريا فى بيرو ونظام حكم روخاس بينيليا فى كولومبيا ونظام حكم بيريس خيمنيس فى فنزويلا هى نوع من الديكتاتورية التقليدية وهذه الانظمة وليدة النزعة العسكرية الموالية للولايات المتحدة وقد تجسدت فيها سيطرة الفئات شبه الاقطاعية والاوليجاركية . على ان بعض هذه الانظمة لم تكن دكتاتوريات اقطاعية فحسب . ذلك أن بيريس خيمنيس مثلا ، اعتمد كذلك على فئة جديدة هى البرجوازية البيروقراطية المرتبطة بامبريالية الولايات المتحدة .

وقد اتصفت الانظمة السياسية للحكم الدكتاتورى الفردى بصفات مشتركة هى الفردية والاستبدادية والاعتماد الكلى على الجيش والقمع الوحشى للجماهير . وكانت الزمرة الحاكمة ، رغبة منها فى ترسيخ مواقعها ، توزع على الاشخاص « المقربين » المناصب المريحة والامتيازات ، مثلا ، مناصب القيادة فى الجهاز الاقتصادى وفى المجالس الادارية لاكبر الشركات الخاصة .

وهناك صفة مميزة أخرى لهذه الانظمة هى انها توفر لنفسها كسند نوعا من الحركات ذات الطابع الشعبى المشكلة تحت رعاية الحكومة تتشدق بشعارات قومية معادية للاوليجاركية ومعادية للشيوعية ، وتستهدف تأييد الدكتاتور مع الاحتقار الكامل للاحزاب السياسية .

واخيرا نشير الى ان الدكتاتوريات (القيصرية) لجأت كلها دون أى حياء الى الديماجوجية الاجتماعية الوقحة ، وحاولت اكتساب عواطف الشعب بعبارات طنانة ورنانة حول الدفاع عن السيادة القومية . غير ان هذه الانظمة افلست افلاسا شاملا فى أواخر الخمسينات وتخلت عنها حتى قواتها المسلحة .

وقال **سيفورتيان** ، ان تنظيم الحكم وأساليب الانظمة من هذا النوع تشبه كثيرا ممارسة الحكم فى ظل السيطرة العسكرية اليمينية فى بلدان آسيا

وأفريقيا . فهى تمارس أساسا « الاساليب » البونابارتية التى اشار اليهـا كل من ماركس وانجلز ولينين . وذلك ان دكتاتورية العسكريين الرجعيين المرتبطين بالبورجوازية الكبيرة والاقطاعيين ، تعتمد فى بلدان الشرق المعاصر، أولا ، على الجيش والشرطة والبيروقراطية ، وثانيا ، تعتمد فى كثير من الحالات على المنظمات السياسية المزيفة التى انشـئت السلطات بغيـة اصطناع التأييد الجماهيرى للنظام العسكرى البيروقراطي . وهذه المنظمات تستخدم فى العادة كبديل للاحزاب السياسية القائمة وتعـد منظمة « سكيبرجولكار » فى أندونيسيا ـ الاداة « المدنية » للاوساط العسكرية ـ مثالا نموذجيا لمثل هذه المنظمات .

وتبدو السمات البونابارتية فى السياسة الاقتصـادية والاجتماعية التى يمارسها العسكريون اليمينيون . لقد تحدث لينين بعد الثورة الروسية الاولى فى ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ عن البونابارتية الزراعية « التى تميز بهـا اصـلاح ستوليبين(١) ، قاصدا بذلك السياسة الزراعية التىتنشط تطورالراسمالية فى الزراعة وتخلق « فئة من الفلاحين الاكتوبريين المعادين للثورة بوعى » (٢) تشكل سندا للحكم القيصرى . ونستطيع انتحدث عنالبونابارتية الزراعية التى تلازم الدكتاتوريات العسكرية فى آسيا ، مثال ذلك نظام حكم أيوب خان فى باكستان . فاصلاحه الزراعى المحدود جدا ، ادى الى نشوء برجوازية الريف وانتقال الاسياد اشباه الاقطاعيين الى الاشـكال الراسمالية فى اقتصادهم . كما تستخدم « الاساليب » البونابارتية على نطاق واسع فى ايران . وتشكل « الثورة البيضـاء » تعبيرا مكثفا عنها جـرى تحويل النظام الملكى الاقطاعى الى نظام ملكى بونابارتى اى بورجوازى من حيث الاساس بالاعتماد على أدوات الدكتاتورية ، اى على الجيش وجهاز القمع .

وأشار **سودبمان** ، الى ان الانظمة العسكرية الرجعية تتجه نحو التطوير الشامل للراسمالية . وقد فرضت هذا النهج فى أندونيسيا باسـاليب العنف ، الفئات العليا الكومبرادورية فى الجيش والبرجـوازية العسكرية البيروقراطية . وهذه القوى هى التى تشجع أشكال الاقتصاد المعادية للامة، وتعيد الى الراسماليين جانبا من المؤسسات المؤممة وتشمل هذا الجانب برعايتها ، وتباع أملاك الدولة للراسماليين لقاء ثمن زهيد . وغالبا مايكون الضباط الكبار وفى بعض الاحيان حتى الضباط المتوسطين هم المشترون . وتشكل خزينة الدولة فى الغالب كذلك مصدرا للدخل لهذه العناصر . ولقد كان الفسـاد الذى انتشر على نطاق واسع وسيلة « للتراكم البدائى » بالنسبة لقسم معين من ضباط الجيش . ولقد تغلغل الجيش فى جهـاز

---

(١) كان الاصلاح الزراعى المسمى باسم ستوليبين الوزير القيصرى محاولة لاعادة تنظيم النظام الزراعى شبه الاقطاعى فى روسيا باساليب العنف البوليسى لكى يلائم مصالح كبار ملاك الارض والبورجوازية المعادية للثورة .
(٢) ف.ا.لينين المؤلفات الكاملة ـ المجلد ١٥ ـ ص ٢٤٥ .

الدولة ويستغل الضباط مناصبهم الادارية بغية الحصول على امتيازات اقتصادية .

ويتسم كل من النظامين العميلين فى كوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية بطابع أكثر رجعية وهما يجسدان سيطرة الامبريالية الامريكية والرأسمالية العالمية ، والاوساط المتطرفة فى الرجعية من الطبقات المالكة المحلية .

وقال **سيفورتيان** ، ان تدهور الديكتاتوريات الرجعية ثم انهيارها فى باكستان والارجنتين ومنذ فترة قصيرة ، فى تايلاند ، دليل على حتمية انهيار كل أنواع البونابارتية . فالانظمة الدكتاتورية التى ترتدى رداء الديموقراطية المزيفة (ومن هذه الانظمة الاخيرة ، مثلا ، النظام « النيابى » الرئاسى فى باكستان فى الستينات) ، وكذلك أكثرها استبدادا قد برهنت على أنها قصيرة العمر . وفى الارجنتين كان ضغط القوى الشعبية من القوة بحيث اضطرت الدكتاتورية العسكرية الرجعية الحاكمة الى الموافقة على اجراء انتخابات عامة هزمت فيها . ولكن العسكريين اليمينيين يتمسكون حتى الان بمخططاتهم المعادية للديموقراطية .

ان حتمية انهيار الدكتاتوريات الرجعية تكمن فى طبيعتها ، لانها تمثل حكم الفئة العليا من المستغلين والبيروقراطية العسكرية والمدنية ذات الامتيازات التى تضطهد جميع الطبقات والفئات الاجتماعية الاخرى . أما الاسباب التى تؤدى فى العادة الى تفسخ الحكم فهى تتلخص فى ضيق القاعدة الاجتماعية لمثل هذه الانظمة وأزمة المؤسسات الحكومية (بما فى ذلك الجيش) والاخفاقات فى السياسة الداخلية والخارجية فنظام الحكم الذى يدعى الوقوف « فوق المجتمع » يطيح به المجتمع فى النهاية .

وقال **أراخاجادور** ، ان أحد الاسباب الرئيسية لانهيار الدكتاتوريات العسكرية الرجعية ، هو السياسة غير الديمقراطية للمستغلين الذين يستخدمون الحكومة العسكرية البيروقراطية فى تعزيز مصالحهم ، والذين يتخذون من الجيش سندا وحيدا للسلطة . وتتخذ قضية الديمقراطية فى ظل النظام المعادى للامبريالية الذى تحقق نتيجة لانقلاب عسكرى ، طابعا طبقيا مختلفا تماما .

ان تاريخ العراق فى العقود الاخيرة حافل بالانقلابات العسكرية . وقد اتصفت انقلابات عامى ١٩٣٦ و ١٩٤١ بصفة معادية للامبريالية . ثم دشن الانقلاب الثورى فى العراق فى عام ١٩٥٨ عهدا جديدا فى تاريخ العراق . غير أن سنة ١٩٦٣ شهد انقلابا أطاح بحكومة عبد الكريم قاسم دبرته مجموعات سياسية متناقضة ، وجر على البلاد احداثا خطيرة معروفة لدى الجميع . وبعد ثمانية اشهر قام جنرالات الجيش من القوميين اليمينيين بانقلاب . ثم فى عام ١٩٦٦ فشلت ثلاث محاولات انقلابية ، وحدث فى عام ١٩٦٨ تغيير وطنى قام به البعثيون يسندهم فى ذلك الجيش .

ومن انقلاب الى آخر تطورت ميول الاوساط العسكرية بشكل ملحوظ في اتجاه راديكالي غير انه حتى عمليات الجيش المعادية للامبريالية قد تحققت دون الاعتماد على الشعب . وكان العسكريون في أغلب الحالات يتأرجحون بين التيارات السياسية المختلفة رازحين تحت الوهم القائل بأنهم قادرون على حل قضايا العمال والفلاحين دون الاعتماد عليهم .

انه لمن الحماقة أن نتوقع ان يحقق الضباط اليمينيون تغييرات تقدمية ، ان تحالفهم مع الاحزاب المعادية للشعب يتمخض ، عادة ، عن نوع من نظام الحكم العسكري المتطرف في عدائه للديمقراطية . غير ان لأنظمة الحكم التي يقيمها الضباط الوطنيون مصلحة موضوعية في اشاعة الديموقراطية واشراك العمال والفلاحين والقوى الراديكالية الاخرى في حل قضايا المجتمع وهذا شرط لابد منه لتحقيق التحالف بين الشيوعيين والاوساط الوطنية التي استولت على الحكم نتيجة عملية عسكرية ، ومثال على تحالف كهذا الجبهة الوطنية والقومية التقدمية التي تشكلت في العراق في عام ١٩٧٣ (١) وتدل تجربتنا على أن آفاق الديموقراطية تتوقف بدورها وبدرجة كبيرة جدا، على مدى اتساع الحركة الجماهيرية وقوة المنظمات اليسارية وقبل كل شيء الحزب الشيوعي .

وقال **سودبمان** ، ان اضفاء الديمقراطية على النظام العسكري الثوري امر ضروري وخاصة في البلدان التي كان الجيش فيها قد شارك مشاركة واسعة في اداء الوظائف السياسية والادارية والاقتصادية .

ففي بورما ، بعد الانقلاب التقدمي الذي وضع حدا للحكم البرجوازي في عام ١٩٦٢ تولى العسكريون الحكم في العاصمة وفي المناطق ، فقد أصبح قائد الوحدة العسكرية المرابطة في منطقة معينة ، في الوقت نفسه ، قائدا للمنظمة المحلية لحزب البرنامج الاشتراكي البورمي ، ورئيسا للادارة المدنية في هذه المنطقة . غير ان هذا النظام الذي ساعد على تعزيز حكم الديموقراطيين الثوريين ، يحد مع ذلك من نشاط جماهير العمال والفلاحين .

واتجهت الاوساط الحاكمة الان نحو جعل النظام اكثر ديمقراطية ، وهي تخطط لوضع دستور تقدمي ، وتتخذ خطوات ترمي الى تحويل حزب البرنامج الاشتراكي البورمي الى حزب جماهيري بعد أن كان حزبا ضيقا يتألف من الكوادر الحزبية التي يشكل الضباط نواتها . وقد كان المؤتمر الثاني لهذا الحزب الذي انعقد في عام ١٩٧٣ خطوة هامة في هذا الاتجاه .

واشار **كوسوك** ، الى أن تجربة بعض بلدان أمريكا اللاتينية تدل على أن

---

(١) تضم الجبهة حزب البعث الحاكم والحزب الشيوعي العراقي .

اوساط الجيش الوطنية التقدمية قادرة على تمهيد الطريق أمام التحولات الثورية ، غير انه لا يمكن التقدم في الثورة بنجاح في ظل الرعاية العسكرية وفي الظروف الراهنة يصبح الموقف من الحركة الشعبية ومدى الارتباط المباشر معها ، قضية جذرية . ولكن سياسة زعماء الجيش تكشف عن ميل الى توجيه الثورة بالاوامر الادارية « من أعلى » .

وينبغي أن ناخذ في الاعتبار ان الاساس غير المتجانس الذي يسود فيه العنصر البورجوازي الصغير لنظم حكم العسكريين الوطنيين يؤدي الى عدم الاستقرار والتغيرات الحادة في التوجيه الاجتماعي . وهذا يتجلى أيضا في المذاهب النظرية التي تتبناها الاوساط العسكرية الوطنية التقدمية اذ تتلخص ايديولوجياتها في الصيغة التالية « لا الراسمالية ولا الاشتراكية ـ بل طريق خاص » . غير انه لا يوجد طريق ثالث .وكل شيء يتوقف في الواقع على ما اذا كانت أنظمة الحكم العسكرية التقدمية تستطيع الاندماج عضويا بالثورة الشعبية ، أم انها ستتحول تحت الضغط اليميني ، نحو الراسمالية « الديمقراطية » . ونقول بالمناسبة ان هذا الاتجاه الاخير تشجعه بنشاط الدوائر الامبريالية .

الامبريالية وجيوش البلدان النامية

في السنوات الاولى بعد الحرب لم تكن الامبريالية ترى في جيوش بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية سوى ملحق لجهاز الحرب لديها يلعب دور حارس حدود ما يسمى « بالعالم الحر » من خطر عدوان « الشيوعية العالمية » . غير ان السياسيين والايديولوجيين الامريكيين بدأوا في أواخر الخمسينات يرون في النشاط السياسي الذي يقوم به العسكريون اليمينيون عاملا جديدا من عوامل « الاستقرار » في البلدان المتخلفة ، وأعلنوا ان الجيش أداة لصبغ « النظام الاجتماعي والاقتصادي بالصبغة الحديثة » .

واشار فريق البحث الى ان حرص الامبريالية على فرض الدكتاتورية العسكرية المعادية للشعب على بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، يزداد بالنظر الى الخطر المباشر للثورة الاجتماعية ، وبسبب ازمة المؤسسات الرجعية الاجتماعية والاقتصادية . وآخر دليل ساطع على ذلك الانقلاب في شيلي التي قامت به الطغمة الفاشية التي أعلنت نفسها « منقذة » للطبقات المستغلة من « الخير الشيوعي » :

وقال كوسولد ، ان اهتمام الولايات المتحدة بأنظمة الحكم العسكرية في أمريكا اللاتينية ازداد بشكل خاص في السنوات العشر الاخيرة ، اي بعد اخفاق المخططات الاصلاحية للتحالف من أجل التقدم .ويركز الاستراتيجيون والايديولوجيون في الولايات المتحدة اهتمامهم الآن على « النموذجين »

المتعارضين تماما « لنماذج السلوك العسكرى » وهما « نموذج » البرازيل و « نموذج » بيرو . ويرى النظريون القريبون من البنتاجون ان افضل شكل من أشكال التدخل العسكرى هو « النموذج » البرازيلى ، ويقولون ان انقلاب سنة ١٩٦٤ كان أفضل طريقة لحماية مصالح الولايات المتحدة فى أمريكا اللاتينية ، وانه ينبغى لبلدان القارة ان تسلك الطريق الذى سلكته البرازيل ويوصى هؤلاء النظريون وزارة الخارجية والعسكريين باتخاذ موقف مرن من نظام الحكم فى بيرو فيما يتعلق بـ « القومية المتضخمة » للاوساط الحاكمة ذات العقلية المعادية للامبريالية ويتجنب المواجهة المباشرة معها . ويقولون ان من الافضل تنشيط العناصر اليمينية بين العسكريين ، ومن ثم توجيه تطور البلاد فى الطريق الراسمالى . وتأخذ الحكومة الامريكية هذه التوصيات بعين الاعتبار .

النضال من أجل كسب الجيش

كان الشيوعيون على الدوام يعلقون أهمية كبيرة على عملهم فى صفوف الجيش . ففى مرحلة التحضير للثورة الاشتراكية فى روسيا أشار لينين اكثر من مرة الى اهمية القيام بالدعاية والتحريض فى صفوف الجنود والضباط واقامة الاتصالات فى الاوساط العسكرية بغية تدريب الكوادر الثورية الواعية فى القوات المسلحة . وكتب لينين يقول « ان البلاشفة قد اكتسبوا فى الجيش ، قبل نوفمبر ١٩٧١ **قوة** سياسية « **ضاربة** » ضمنت لهم التفوق الساحق فى النقطة الحاسمة وفى اللحظة الحاسمة (١). وفى سياق الحديث حول أهمية عمل الحزب فى القوات المسلحة ، قال لينين « فى وقت الانتفاضة لا يكفى النشاط الدعائى وحده ، بل ينبغى أن يكون هناك قتال فعلى (جسدى) من أجل كسب الجيش » (٢) اذ لايمكن للبروليتاريا أن تقوم بالثورة وهى غير مسلحة .

وفى الظروف الراهنة ، يمثل النضال من أجل اضفاء الطابع الديمقراطى على الجيش ومن أجل تحقيق الاصلاحات التقدمية فيه مجالا هاما من مجالات النضال (٣) وستكون هذه الاصلاحات تحقيقا لمصالح الجماهير الغفيرة والجزء الاساسى من العسكريين ، والاغلبية الساحقة من الامة . وكتب تبيتلبويم ، عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعى الشيلى قائلا : « **ان أراد الشعب أن يكون سيد مصيره ، لا بد له أن يعمل على اشاعة الديمقراطية فى القوات المسلحة فهذا أمر له أهميته**

(١) ف.ا.لينين « المؤلفات الكاملة » ـ المجلد ٣٠ ـ ص ٢٦٢ .
(٢) ف.ا.لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد ١١ ـ ص ١٧٥ .
(٣) انظر على سبيل المثال نداء الحزب الشيوعى الفرنسى الى القوات المسلحة الذى نشرته صحيفة الاومانيتيه فى ٢٤ يوليو ١٩٧٣ .

الحيوية » والواقع أن النظر الى الجيوش فى البلاد النامية باعتبارها عناصر تؤدي وظائف مهنية خالصة فى اطار دستورى يتغافل النقطة الرئيسية وهى : الطابع الطبقى للجيش .

واشار أعضاء فريق البحث الى أن تجربة نشاط الاحزاب الشيوعية فى البلدان النامية تؤكد الاهمية الدائمة للمفهوم الماركسي القائل انه ينبغى لكل حركة ثورية ان تناضل من أجل كسب الجيش . ذلك ان انتصار الثورة هو كقاعدة ، أمر مستحيل فى وجه قوات مسلحة متلاحمة مضادة لها . ومن المهم ، بغية انجاح الثورة اجتذاب الجنود والضباط الوطنيين .

وتساءل **اراخاجادور** ، ما هو الموقف الذى يجب ان يقفه الشيوعيون من العسكريين الذين يلعبون دورا ملحوظا فى الحركة المعادية للامبريالية ؟ وقال ان احدى مهامنا الكبرى أن نقدم لهم الاتجاه الاجتماعى والسياسى الصحيح . ومن الضرورى فى هذا الصدد تحقيق تنسيق فى العمل بين القوى اليسارية والضباط الوطنيين . فقد كنا قد حققنا تحالفا لهذا الفرض فى العراق فى مرحلة ثورة يوليو ١٩٥٨ . وقد تظهر امكانية مماثلة فى البلدان الاخرى ، وعلى الشيوعيين أن يسترشدوا دائما بما قاله لينين من أن « السخط وحده داخل الجيش لا يكفى لتحقيق النجاح للحركة ، فهناك حاجة أيضا لاتفاق مباشر مع العناصر الثورية الديمقراطية المنظمة فى القوات المسلحة (١) .

غير أن نفوذ الرجعية فى الجيش قد يظل قويا جدا حتى بعد نجاح الثورة التحررية فالرجعية تعمل على عزل الجيش عن السياسة وطرد العناصر الراديكالية وأنصار الشيوعيين منه . ففى ظروف النظام الوطنى، كما هو الحال فى العراق ، يصبح النضال من أجل اشاعة الديمقراطية فى الجيش من أكبر مهام القوى اليسارية . وتفترض هذه المهمة اشراك أفراد الجيش فى الحياة العامة ، ورعاية واحترام حقوق الجنود وزيادة رواتبهم واقامة علاقات ديمقراطية بين الجنود والضباط واعادة الوطنيين الى الجيش اذا كانوا قد أخرجوا منه لاسباب سياسية . وبالنظر الى عدم تجانس بعض الجيوش فى آسيا وافريقيا من حيث القومية والدين ، لابد من مقاومة الميول العنصرية والشوفينية فى الاوساط العسكرية . كما أن مصالح النضال ضد الامبريالية تتطلب تحديث السلاح واتقان تدريب أفراد الجيش .

وقال **سودبمان** ، ان ظروف أندونيسيا تختلف كلية ، حيث يسود عندنا نظام حكم عسكرى رجعى يضطهد الاوساط اليسارية وجميع الديمقراطيين اضطهادا قاسيا . ويعمل الشيوعيون على اقامة جبهة وطنية تضم الى جانب العمال والفلاحين والفئات المتوسطة والقسم

(١) ف . ا . لينين ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد العاشر ص ١٥٣ .

التقدمي من البرجوازية الوطنية ، الجنود والضباط الوطنيين . وقيام جبهة كهذه من شانه ان يسمح بشن نضال ضد العناصر المعادية للشعب في الجيش .

ان العمل المشترك بين الاوساط اليسارية والديمقراطية ، من شانه ان يمارس تأثيرا ملحوظا في القوات المسلحة . فقد استطاع الحزب الشيوعي والمنظمات التقدمية في اندونيسيا خلال فترة التمردات المضادة للثورة (١٩٥٩ — ١٩٦١) ان يوسعا تأثيرهما في الجيش ، بل أن يدفعا بعض العناصر اليمينية والمعتدلة من الضباط الى خوض النضال ضد المتمردين الانفصاليين ولكن فيما بعد ، عندما سلكت قيادة الحـــزب الشيوعي الاندونيسي طريق الانتهازية اليمينية ثم الانتهازية « اليســـارية » ، لم تلبث فاعلية نشاط الشيوعيين في الجيش أن انخفضت ، وعزز أعداؤهم مواقعهم تعزيزا تدريجيا .

اننا نفهم طبعا ، ان النظام الحالي لن يتنازل عن السلطة عن طيب خاطر . غير ان الحزب الشيوعي الاندونيسي يعارض معارضة نامة ، خوض الكفاح المسلح فورا ، لان الكفاح المسلح يتطلب تحضيرا دقيقا مسبقا ، ولا يمكن أن ينجح الا في ظروف أزمة سياسية حادة تؤدي الى نشوء وضع ثوري .

وقال ريبيرو، اننا اذ نحدد موقف الشيوعيين من جيوش قارتنا ، لابد لنا من أن نذكر التقاليد العميقة للحركة الثورية الشيوعية في بلدان أمريكا اللاتينية . فان الكثيرين في الجيش يعرفون دون شك ، المواقف السياسية للاحزاب الشيوعية، ويعرفون شعارات الحركة النقابية ، ويعرفون نضالنا في سبيل المصالح الوطنية وحقوق الشعب العامل . ويعتبر الشيوعيون ان من الممكن أن يشترك الضباط والجنـــود ذوو الميول الوطنيـــة والديمقراطية ، في الجبهة الواسعة المعادية للامبريالية والمعـــادية للاوليجاركية . وتبذل الاحزاب الشيوعية في أمريكا اللاتينية قصـــارى جهودها لكسب أنصار لها في الجيش . وتعمل الاحزاب الشيوعية بدأب ومثابرة من أجل اجتذاب اكثر أوساط الجيش راديكالية الى جانب الطبقة العاملة ، أو على الاقل ، من أجل عزل القسم الرجعي من الجيش .

وليس هذا عملا سهلا ، فلا ينبغي المبالغة في تقييم عمق الروح الثورية في الجيش وحتى ان كان في السلطة انصار الاصلاحات من العسكريين . ذلك أن العسكريين الرجعيين يمكن أن يتظاهروا لبعض الوقت بقبول حكومة تقدمية ، كما حدث في شيلي . ولكن طالما ظلت الميول الراديكالية في جيوش معظم بلدان أمريكا اللاتينية ضعيفة ، فان القوات المسلحة التي يشرف عليها الرجعيون ستعارض الاتجاهات التقدمية . وهؤلاء الرجعيون هم الذين اغتالوا وأعدموا العسكريين الوطنيين في شيلي عشية الفتنة الفاشية ، وهم الذين يقومون الان بالتطهير الدموي في الجيش .

ولا يجوز لنا أن ننسى ما قاله لينين من أنه « كلما أسرعت البروليتاريا فى حمل السلاح ... اقتربت اللحظة التى يتردد فيها الجيش ، وازداد عدد الجنود الذين سيفهمون أخيرا ماذا يفعلون ، ويقفون الى جانب الشعب ضد الوحوش وضد الطاغية وضد قتلة العمال العزل ونسائهم وأطفالهم » (١) .

وقال **كوسوك** ، ان الامر المهم فى العمل الايديولوجى هو النضال ضد المفاهيم البرجوازية والبرجوازية الصغيرة عن تدخل الجيش فى الحياة السياسية . لقد وجد ولا يزال يوجد ما يمكن وصفه بأنه جبرية معادية للجيش ، أى اعتبار كل تدخل من العسكريين فى السياسة تدخلا رجعيا خالصا . وفى أمريكا اللاتينية يطلقون على هذه الظاهرة اسم « العقلية المدنية » ، أى التمسك بالاساليب المدنية للحكم ، ويهمل أنصار هذا المذهب من ممثلى الاوساط البرجوازية اليمينية عن قصد الجانب الطبقى لقضية الحكم ، ويجعلون مسألة شكل الحكم مسألة مطلقة . وهناك أيضا نوع آخر من التطرف هو أن بعض الايديولوجيين البرجوازيين الصغار — ومن بينهم التروتسكيون الجدد يتحدثون عن « الثورة العسكرية » الاصيلة ، ويزعمون أن الطريق الوحيد لنجاح الثورة فى أمريكا اللاتينية هو طريق العمل العسكرى ان أنصار « الثورة العسكرية » يتجاهلون عملية التمايز فى هيئات الضباط ، ويعتبرون الجيش قوة فوق الطبقات مدعوة الى تحقيق التغيير الجذرى للنظام القائم دون مشاركة الشعب .

واشار **باديليا** ، الى الخطر الكبير على الحركة الثورية الذى تشكله آراء أولئك « اليساريين » الذين يدعون الى مواقف متعارضة تماما . وقد وجدت هذه الاراء أكمل تعبير عنها فى نظرية انيبال كيجانو — وهو عالم اجتماع من بيرو — التى تقول ان تدخل العسكريين فى أمريكا اللاتينية يؤدى حتما الى التحديث الراسمالى للمجتمع .

وهذا ما يقول به اليساريون . فقد كانوا فى زمن حكومة توريز الديمقراطية المعادية للامبريالية فى بوليفيا ، ينكرون أدنى احتمال لقيام العسكريين بعمليات تقدمية ويدعون الى القضاء على الجيش القائم ، مصورين جميع الضباط كاستغلاليين ورجعيين يجب شن « الحرب الشعبية » ضدهم . والحقت هذه الديماجوجية اضرارا بالغة بالقوى الوطنية فى الجيش وفى المجتمع ، وعرقلت التقارب بينها ، واتاحت للعسكريين اليمينيين فرصة نشر الافتراءات الاستفزازية فى الجيش ضد الشيوعيين وكل المنظمات الشعبية .

وقال **سيلورتيان** : ان الانتهازيين « اليساريين » فى بلدان آسيا يتخذون موقفا عقائديا جامدا وانعزاليا من قضية تدخل الاوساط العسكرية الوطنية

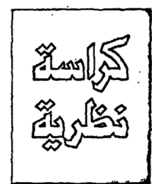
(١) ف.١٠.لينين — المؤلفات الكاملة — المجلد الثامن — ص ٩٩ .

فى السياسة . فقد وصمت قيادة الحـــزب الشيوعى البورمى الموالية للماوية منذ البداية ، النظام التقدمى فى البلاد بانه « دكتاتورية عسكرية رجعية معادية للشـــيوعية » ثم ، بعد تحقيق التحولات الاجتماعيـــة والاقتصادية الجذرية لم تتمكن قيادة الحـــزب من فهم الطبيعة الثورية الديمقراطية لحكم العسكريين ، بل على العكس اتخذ الحـــزب الشيوعى البورمى ، اتجاه « النضال الثورى المسلح » . وهكذا التقى فى الحقيقـة بالقوى المحافظة الاقطاعية الانفصالية البرجوازية اليمينية التى تحـــارب الحكومة .

لقد اجمع أعضاء فريق البحث على الراى القائل . بأن على العلماء الماركسيين أن يعيروا اهتماما كبيرا لقضية الدور السياسى الذى يلعبه الجيش فى البلدان النامية ، لان امعان الفكر فيها مهم للغاية فى النضال ضـــد الامبريالية والرجعية الداخلية الذى يحتدم على الجبهات السياسية والعســـكرية والايديولوجية . وأشاروا بهذا الصدد الى ضرورة الدراسة العميقة للتراث النظرى للكلاسيكيات الماركسية فيما يتعلق بقضايا الجيش ، كما ينبغى دراسة التجربة المظفرة لثورة اكتوبر الاشـــتراكية العظمى والثورات الاشتراكية فى البلدان الاخرى ، وفى كوبا ، مثلا . واشاروا كذلك الى الاهمية الراهنة التى تكتسبها تحليلات ماركس وانجلز ولينين للبونابارتية ومختلف مظاهرها .

ان الشيوعيين لا يحملون أوهاما ولا يعتقدون ان الدولة القديمة بوصفها آلة الاضطهاد فى ايدى الطبقات المستغلة وجهاز القمـع الملحق بهـــا ، ستتنازل عن مواقعها بلا قتال . فقد دلت الانقلابات فى البرازيل (١٩٦٤) واندونيسيا (١٩٦٥) وبوليفيا (١٩٧١) والانقلاب الفاشى فى شيلى وغيرها من الاعمال المعادية للشعب التى قام بها العسكريون فى البلدان النامية ،دلت على عدوانية وغدر اوساط الجيش الرجعية . وفى المعارك العنيفة التى تخوضها شعوب القارات الثلاث ضد الامبريالية وفى سبيل التحرر الوطنى والاجتماعى قد تحدث هزائم مؤقتة . ولكن ، مهما كانت تعرجات التاريخ ، فان الغد ليس للجنرالات السفاحين ولا الاوليجاركيات . لقد تغير ميزان القوى فى العالم لصالح الاشتراكية والحركة العمالية العالمية ، وهنا يكمن أهم عامل من عوامل تفاقم الازمة وانحلال نظام الظلم والاستغلال الذى ولده نظام الدولة هذا وأهم مؤسساته وهى الجيش . ففى هـــذه المؤسسات بالذات تنضج بذور الاحتجاج الاجتماعى ، وتشمل الحركة الثورية اكثر فأكثر جيوش البلدان النامية . ولهذا السبب لم يعد حتميا ذلك الدور ، دور « حارس النظام » وأداة القمع المضاد للثورة ، الذى لعبه الجيش فى كل النظم التناحرية . اذ يمكن أن تكون الرســـالة الاجتماعية للجيش رسالة تقدمية .

●



الاقتصاد السياسى والتقدم الاجتماعى

بقلم : هنريك شولاج

كان التفسير المادى للتاريخ واكتشاف جوهر الانتاج الرأسمالى « فائض القيمة » اعظم انجازين لماركس ، وقد وفرا ـ كما أكد انجلز ـ اساسا نظريا علميا حقا لاكثر أحلام البشرية اشراقا عن مجتمع عادل يعيش فيه عاملون احرار متساوون ، ويخلو من كل استغلال . وقد لعب الاقتصاد السياسى الماركسى ـ شانه شان المادية التاريخية ـ دورا بارزا فى تحويل الاشتراكية من ايتوبيا الى علم .

ويصف لينين مذهب ماركس الاقتصادى بانه « المحتوى الرئيسى للماركسية » و « أعمق واشمل تاكيد وتطبيق تفصيلى » لنظرية ماركس . وينبع دور الاقتصاد السياسى ومكانه فى اطار الافكار النظرية للماركسية اللينينية من حقيقة انه يدرس القوانين الموضوعية لتطور علاقات الانتاج وتفاعلها مع القوى الانتاجية اى مع اساس حياة المجتمع ذاته . كذلك فان التحليل الاقتصادى النظرى امر لا غنى عنه للعلوم الاجتماعية الاخرى .

ويعنى هذا أن الاقتصاد السياسى الماركسى اللينينى يلعب دورا هائلا فى تشكيل استراتيجية وتكتيكات النضال الثورى للطبقة العامله ، وفى قرارات الاحزاب الشقيقة التى توجه البناء الاشتراكى والشيوعى . وفضلا عن ذلك لابد من تقدير الاهمية الايديولوجية للاقتصاد السياسى الماركسى الذى يدافع باتساق فى المواجهة بين الايديولوجيات اليوم عن المفهوم العلمى الوحيد لقوانين التطور الاجتماعى وقواه الدافعة ، ومن هنا يعبر بصوره نظرية عن المصالح الاساسية لطليعة التقدم العالمى ـ الطبقة العاملة ـ وللاشتراكية .

وللاقتصاد السياسى كعلم مستقل ثلاث وظائف اجتماعية : وظيفة تتصل بالمعرفة ووظيفة أيديولوجية ووظيفة اقتصادية . وتختلف طبيعة العلاقات بين هذه الوظائف والدلالة النسبية لكل منها فى الفترات التاريخية المختلفة والمجتمعات المختلفة . فالخلاف الاساسى بين النظريات الاقتصادية البورجوازية وبين الاقتصاد السياسى الماركسى اللينينى هو المسئول عن الفوارق الاساسية فى أصالتها العلمية واتجاهها الطبقى وقيمتها السياسية.

ومن هنا يحق لنا أن نقول انه مع ظهور الاقتصاد السياسى الماركسى فقدت كل المذاهب الاقتصادية الاخرى كل قيمة علمية حقة ، وكفت عن خدمة أغراض المعرفة العلمية للقوانين الكامنة للحياة الاقتصادية للمجتمع ولحياته السياسية فى التحليل الاخير . ولا يقلل هذا من الدلالة التاريخية للتقدم الذى حققه الاقتصاد السياسى الانجليزى فى القرن التاسع عشر الذى عبر عن أفكار البورجوازية كطبقة صاعدة . فنحن نعرف أن التحليل الانتقادى لكتابات آدم سميث ودافيد ريكاردو ساعد كثيرا فى انضاج النظرية الاقتصادية الماركسية . ولكن فى حين كانت نظرية العمل كمقياس للقيمة انجازا لا نزاع فيه للاقتصاد السياسى قبل الماركسى فانها لم تكتسب محتوى علميا كاملا متسقا الا حين طورها ماركس الى نظرية فائض القيمة ، بما يتصل بذلك من استخلاصات بشأن الاستغلال والتناقضات التى لايمكن توفيقها بين العمل وراس المال ـ بين الطبقة العاملة والبورجوازية ـ والتى تؤدى حتما الى انفجار ثورى .

ولقد اتضح العجز العلمى للفكر النظرى البورجوازى بشكل خاص فى فترة تطور الرأسمالية الى الامبريالية ، فى الفترة التى ظهرت فيها الازمة العامة للرأسمالية وتطورت رأسمالية الدولة الاحتكارية ، فى عصر الثورة البروليتارية وظهور المجتمع الاشتراكى وتدعمه . وكان الاقتصاد السياسى الماركسى هو الذى حلل التغيرات الكيفية فى الميكانيزم الاقتصادى للرأسمالية ، واكتشف القوانين الاساسية للنظام الاقتصادى الاشتراكى ، وقدم الخطوط المرشدة للبناء الاشتراكى .

وقادت الشواهد التاريخية الوفيرة الجديدة الى مرحلة مثمرة للغاية فى

الاقتصاد السياسي الماركسي ارتبطت باسم لينين الذى وضع النظرية العلمية عن الامبريالية ، وارسى أسس الاقتصاد السياسي للتكوين الشيوعى . وتؤكد خبرة العقود الاخيرة والعمليات الاجتماعية والاقتصادية التى تجرى فى العالم اليوم كل التأكيد الدقة العلمية لافكار لينين واستخلاصاته فى مجال الاقتصاد السياسي واللينينية ككل . وقد أكد اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية فى عام ١٩٦٩ فى وثيقة أقرت بالاجماع أن « انتصار الثورة الاشتراكية فى عدد من البلاد ، وظهور النظام الاشتراكى العالمى ، ومكاسب حركة الطبقة العاملة فى البلاد الاشتراكية . وظهور شعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات السابقة على مسرح التطور السياسي الاجتماعى كعناصر مستقلة ، والمد الذى لم يسبق له مثيل فى النضال ضد الامبريالية – **ان هذا كله برهان على أن اللينينية صحيحة تاريخيا ، وأنها تعبر عن الاحتياجات الاساسية للعصر الحديث » . وبالعكس لم يؤكد التاريخ أيا من نبوءات الاقتصاديين البورجوازيين التى لم تثبت وصفاتهم العديدة للقضاء على علل الاقتصاد الرأسمالى أمام مجلس الاختبار .**

وهذا هو السبب فى ان المذهب الاقتصادى الماركسى اللينينى هو الذى يقوم كلية فى القرن العشرين بالوظيفة العلمية للاقتصاد السياسى ، فالمفهومات البورجوازية عن التطور الاقتصادى ليست فى مستوى هذه المسئولية .

لقد عكس الاقتصاد السياسي الماركسى دائما الاساس الاقتصادى للمجتمع وحياته وفسره وسعى الى تغييره وفق خطوط ثورية . وادت دراسة القوانين الاقتصادية الموضوعية للرأسمالية الى استخلاص أن انهيارها وانتقالها الى الاشتراكية مسألة محتومة . واصبحت هذه النتيجة العلمية قضية أساسية من قضايا البرنامج الشيوعى فى النضال من أجل مصالح الطبقة العاملة . وتحولت الى تحديد واضح للوظيفة الايديولوجية للاقتصاد السياسى ، التى سارت خطوة خطوة مع نمو التناحرات الطبقية ، وتصاعد النضال الثورى للعمال . وأدى حل المشكلة التاريخية .. مشكلة الربط بين الاشتراكية العلمية ونضال الطبقة العاملة الى رفع الدور الايديولوجى والسياسى للمذهب الاقتصادى العلمى الى مستوى جديد كيفيا . وأصبح هذا المذهب عاملا ايديولوجيا لا غنى عنه للهجوم الثورى ضد السلطة الرأسمالية وفى بناء المجتمع الجديد .

واليوم بعد تحليل الاقتصاد السياسى لتوازن القوى العالمى وانجازات الاشتراكية واتجاهات وتناقضات الامبريالية وكل الجزء غير الاشتراكى من العالم أساسا تضع عليه الحركة الشيوعية العالمية استراتيجيتها وتكتيكاتها . وكان اجتماع عام ١٩٦٩ مثالا لتحويل هذا التحليل الى برنامج عمل محدد . وتعتبر الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلاد الاشتراكية نشر المعرفة الاقتصادية بشكل منظم من أهم عوامل التربية الايديولوجية للشعب العامل ، فمعرفة العاملين فى مختلف المجالات

الاقتصادية وبشكل عام مجموع السكان والمثقفين والشباب لاسس الاقتصاد السياسي العلمي تساعد الى حد كبير فى زيادة مساهمتهم الواعية فى بناء المجتمع الاشتراكي الشيوعي .

ويصور غالبية المنظرين مذاهبهم الاقتصادية على انها «علم خالص» لا تشوبه أي قيود ايديولوجية . غير انه سواء كان هذا ادعاء مقصودا أم خطأ عن حسن نية فان قضية لينين القائلة ان نظرية الاقتصاد السياسي «علم متحيز مثله مثل الابيستمولوجيا» حقيقة موضوعية . ويعني هذا ان كل مفهوم اقتصادي سياسي بورجوازي هو مفهوم ايديولوجي من البداية الى النهاية . واكثر من هذا فمع فقدان الاقتصاد السياسي البورجوازي لقيمته العلمية فان وظيفته الايديولوجية هي التي اصبحت حاسمة . لقد أصبح تبريرا للرأسمالية ، وتشويهها للطبقية الحقة للعلاقات والتناقضات الاقتصادية الراسمالية . وبعد انتصار الثورة الاشتراكية الاولى ظهرت كل أنواع الدراسات التي يمكن ان تسمى «الاقتصاد السياسي البورجوازي للاشتراكية» لكنها نوع خاص من الايديولوجية المعادية للشيوعية .

وأخيرا فاذا تحدثنا عن الوظيفة الاقتصادية للاقتصاد السياسي ـ فاننا نستطيع أن نقول مع قدر من التحفظ بالنسبة لفترات بعيدة لا تكشف عن الكثير «مثل فترة المذهب التجاري» ان النظرية لم تبدأ فى التأثير حقا على العمليات الاقتصادية والسياسة الاقتصادية للأمم حتى القرن العشرين . وينبغي ان يكون واضحا ان الوظيفة العملية للاقتصاد السياسي الماركسي اللينيني كنظرية تنظم التطور الاقتصادي للمجتمع وتوجهه لايمكن أن تتحقق تماما الا فى ظروف البناء الاشتراكي والشيوعي . وعلى العكس لم يكن هناك مكان فى ظل رأسمالية المنافسة الحرة لاستخدام المفاهيم النظرية العامة للاقتصاد السياسي البورجوازي لاغراض اقتصادية عملية . وعلى اى حال لم يكن للطبقة الحاكمة مصلحة موضوعية فى تطبيقها على نطاق البلاد . وقد تغير الوضع مع تطور الراسمالية الى الامبريالية وظهور رأسمالية الدولة الاحتكارية . فقد أدركت الدوائر الحاكمة فى المجتمع البورجوازي حاجتها الى نظام محدود من الخطوط المرشدة لتشكيل السياسة الاقتصادية للدولة التي زاد دورها فى الاقتصاد الراسمالي كثيرا . وكانت النتيجة تغييرا كيفيا فى الاقتصاد السياسي البورجوازي عموما ارتبط بمؤلفات جون م. كينز « الثورة الكينزية » .

وحددت أفكار كينز الخط العام للمفاهيم الاقتصادية البورجوازية لفترة طويلة . ومكنت المدافعين عن راس المال الاحتكاري ـ فى المقام الاول ـ من توسيع ترسانتهم الايديولوجية . فبدأوا يصورون أشكال احتكارية الدولة للراسمالية كنقيض للمنافسة المبرية المدمرة ، وضمانا

« للرفاهية العامة » . وفى نفس الوقت دعا الاقتصاديون البورجوازيون الدولة ـ مقتفين اثر كينز ـ الى تنظيم الاقتصاد ، وقدموا توصياتهم فى هذا الشأن . ونتيجة لذلك فان وظيفة الاقتصاد السياسى البورجوازى من الزاوية الاقتصادية العملية اتسعت الى حد ما ، وأخذت تمارس تأثيرا أكبر على قرارات الحكومة الاقتصادية . ومن المهم أن نؤكد أن الاقتصاد السياسى البورجوازى رغم حديثه عن « الرفاهية القومية » يظل مدافعا متحمسا عن مصالح البورجوازية .

فالمحتوى الطبقى للاقتصاد السياسى هو الذى يحدد فى نهاية الامر طبيعة الوحدة والترابط بين وظائفه الاجتماعية الثلاث ، وبالنسبة للمفاهيم الاقتصادية البورجوازية يجد هذا تعبيرا عنه فى نبذ الموضوعية العلمية فى مجال النظرية ، والتبرير الرجعى فى مجال الايديولوجية ، والبحث المحموم عن طرق ووسائل الابقاء على نظام الاستغلال . وعلى العكس يقدم الاقتصاد السياسى العلمى ـ وهو جزء لا يتجزأ من النظرية العامة للماركسية اللينينية ـ انعكاسا موضوعيا لقوانين التطور الاقتصادى ، كعامل ضرورى فى تشكيل أيديولوجية الطبقة العاملة ، ويوجه الممارسة الاقتصادية للاشتراكية .

لقد اصبح ميكانيزم اقتصاد كل بلد والاقتصاد العالمى معقدا . وازداد كثيرا عدد العوامل التى تؤثر فيه . واكتسبت المنافسة بين النظامين الاشتراكى والراسمالى فى اطار الاقتصاد العالمى أبعادا هائلة ، وارتبطت بشكل جدلى ببروز عملية التعاون التكنيكى والاقتصادى .

ولم يواجه العلم الاقتصادى أبدا مثل هذا التنوع فى العمليات والظواهر والمشكلات . كما لم يشعر المجتمع ـ طبقاته وقواه السياسية الاساسية ـ بمثل هذه الحاجة الشديدة الى النظرية الاقتصادية .

ويحتاج المجتمع الاشتراكى النظرية الاقتصادية العلمية فى المقام الاول ويستخدم انجازاتها وتوصياتها باستمرار . قال لينين : « اننا لا نقدر الشيوعية الا حين تكون قائمة على الحقائق الاقتصادية » . وبالتالى فان الاشتراكية تقدر العلم الاقتصادى ـ وبشكل خاص أساسه النظرى الاقتصاد السياسى . وهى توليه ثقتها كعامل محدد فى الادارة .

لقد حل الاقتصاد السياسى الماركسى اللينينى بعض المشكلات النظرية الاساسية للبناء الاشتراكى والشيوعى . وأرسى تماما نظام تخطيط الاقتصاد القومى وادارته . وتحددت تماما قوانين الاقتصاد السياسى ومقولاته . وصيغت بالتفصيل المشكلات الاقتصادية لفترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وكذلك مسألة أشكال الملكية وتحسين علاقات الانتاج فى المجتمع الاشتراكى .

ان مسيرة الاشتراكية الاقتصادية ، ومعدلات التنمية العالمية ، والاداء وفقا للخطة ، والاستقرار ورفع مستوى المعيشة باستمرار ــ ان هــذا كله شــاهد على الــكفاءة العملية للعلم الاقتصادى المــاركسى اللينينى ، فضلا عن مزايا النظام الاشتراكى .

وغنى عن البيان ان البناء الاشتراكى والشيوعى يطرح مشكلات جديدة امام نظريتنا الاقتصادية ، وأمام النظم الاقتصادية الخاصة والتطبيقية . وهناك ثلاث مجموعات اساسية من هذه المشكلات ، تشمل الاولى تحسين التخطيط الجارى وطويل الاجل والتنظيم والادارة والحوافز الاقتصادية ومن المعروف جيدا ان هذه المسائل تلقى ما تستحق من اهتمام فى الاتحاد السوفييتى وبولندا والبلاد الاشتراكية الاخرى . وقد تحقق فى السنوات الاخيرة نجاح كبير فى زيادة كفاءة ميكانيزم الاقتصــاد القومى فى البــلاد الاشتراكية الشقيقة . ويستند هــذا النجاح الى قرارات الاحــزاب الشيوعية والعمالية الحاكمة ، ويعبر عن قضايا الاقتصاد السيــــــاسى الماركسى اللينينى .

وهناك مجموعة اخرى من المشكلات ترتبط بالعملية الجديدة نسبيا ــ والطبيعية بلا نزاع ــ وهى عملية التكامل الاقتصادى الاشتراكى ، وهنا يدرس اقتصادنا السياسى الاقتصاديات الاشتراكية لا فى أبعادها القومية وحدها بل فى أبعادها الدولية أيضا .

وأخيرا تشمل مجموعة المشكلات الثالثة ــ تلك المشكلات التى تثور مع الوصول الى مرحلة جديدة كيفيا هى الاشتراكية المتطورة . والحق ان بعض المسائل التى عددناها فى المجموعتين السابقتين تنتمى بشكل او اخر الى هذه المجموعة . وانما ينبغى النظر اليها من زاوية مختلفة بعض الشىء فى ظل ظروف الاشتراكية المتطورة . فمشكلة الربط بين مكتسبات الثورة العلمية التكنيكية ومزايا الاشتراكية ، ومشكلة تطبيق الاشــكال الاقتصادية المــكثفة على نطاق اوسع ، وزيادة كفاءة الانتاج الاجتماعى والادارة الاقتصادية الى اقصى حد هى مشكلات لها اليوم أكبر قدر من الاهمية .

ولا يمكن الانتهاء بالدور الذى يلعبه الاقتصاد فى التقدم الاجتماعى الى مجرد توسع سريع فى القوى الانتاجية . فهناك كذلك مشكلة اخرى هى : ماذا نفعل حتى يصبح نمو القوى الانتاجية عاملا أكثر فعالية فى تطــوير اشكال ارقى من النظام الاشتراكى والتقدم نحو الشيوعية . فلابد أن يتنبأ العلم الاقتصادى بالاتجاهات الاساسية للتطور الاقتصادى القومى ، وأن يضع الادوات الفعالة للتحكم فى هذا التطور .

ويمكننا الاقتصاد السياسى الماركسى الليثينى من وضع الحلول العلمية

التى توجه التطور الاقتصادى نحو معايير ارقى ، فلا زيادة الانتاج ولا التقدم العلمى التكنيكى هدف فى ذاته بالنسبة للاشتراكية ، وانما هو مجرد وسيلة وهو الاداة المحددة لتحقيق الاهداف بعيدة الاجل للشعب التى يعد أهمها رفع مستوى رفاهيته على الدوام .

كما يتركز جهد كبير فى هذه الايام على تفهم الاتجاهات والسمات الاكثر أهمية للرأسمالية العالمية المعاصرة . وعلى أساس تحليل السمات الرئيسية للرأسمالية الذى قدمه ماركس وانجلز ، ونظرية لينين عن الامبريالية باعتبارها أعلى مراحل الرأسمالية وآخرها يولى الدارسون الماركسيون اللينينيون اهتماما كبيرا لدراسة رأسمالية الدولة الاحتكارية التى تتسم بخصائص جديدة كيفيا تنبع من تحوير بعض القوانين التى تحكم التطور الرأسمالى .

لقد زاد اصطباغ الحياة الاقتصادية والسياسية بالصبغة الاحتكارية الى حد هائل ، وحدثت فى العقود الاخيرة تغيرات أساسية فى الاحتكار ، الاساسى الرئيسى للامبريالية . وتجسدت التغيرات بعيدة المدى فى نظام العلاقات الانتاجية الرأسمالية فى اتساع تنظيم الدولة وبرمجتها على نطاق الاقتصاد القومى . ومع امتزاج سلطة الدولة وقدرة الاحتكارات فى جهاز واحد اصبح هناك أساس اجتماعى أوسع للصراع الطبقى للبروليتاريا ، ويسهل ازدياد قوة الاشتراكية العالمية من نجاح هذا الصراع . كذلك تمارس الاشتراكيةالعالمية تأثيرا هائلا على كل العمليات فىالعالم الرأسمالى ، فتقوض مواقعه وتجبره على أن يتكيف مع الظروف التاريخية الجديدة .

ان دراسة أزمة النظام الاستعمارى للامبريالية وتحلله ، والطابع المعادى للاقطاع والمناهض للامبريالية لثورات التحرر الوطنى ، وطرق تطور الدول المتحررة من القهر الامبريالى ، وأخيرا وليس آخرا طريق التطور غير الرأسمالى والاتجاه الاشتراكى ــ ان هذه كلها مهام خاصة يؤديها بجدارة الاقتصاد السياسى الماركسى اللينينى .

ومن هنا نستطيع أن نقول ان الاقتصاد السياسى الماركسى اللينينى ، ودراسته للرأسمالية من الدعائم العلمية الرئيسية لبرنامج نضال الطبقة العاملة العالمية المعادى للامبريالية . وهو يساعد الاحزاب الشيوعية والعمالية وكل القوى الديمقراطية والتقدمية فى العالم الرأسمالى والبلاد النامية على وضع استراتيجيتهاوتكتيكاتها الثورية بتزويدها بمعرفة قوانين التطور الاجتماعى .

ومازال أمام الاقتصاد الماركسى اللينينى مشكلات كثيرة ينبغى أن تعالج وتحل شأنه فى ذلك شأن اى علم آخر ربما باستثناء القانون الرومانى حيث يبدو أن كل شىء قد درس واتضح . ذلك أن التطور الاقتصادى لكل من

الاشتراكية والرأسمالية. يطرح مسائل بالغة الاهمية لم تكن معروفة من قبل . وفضلا عن ذلك لايمكن أن نغفل ظهور مكتسبات للعبقرية الانسانية مثل السيبرناطيقا وتحليل النظم وما اليها وهى تفتح الباب للنماذج الاقتصادية الرياضية وللدراسة العمليات الاقتصادية بواسطة الحاسبات الاليكترونية .

غير أن هذا الامر قد استخدم فى السنوات الاخيرة ذريعة لمحاولات اعلان ضرورة ــ بل حتمية ــ حدوث « ثورة » فى الاقتصاد السياسى . وقد ظهرت مثل هذه الافكار فى بولندا أيضا . ويزعم دعاتها أن الاقتصاد السياسى « عموما » يعانى أزمة « صيغ » أى مجموعة من الفرضيات الاولية ، ونظرية رئيسية أساسية مقبولة من الجميع . وهم يدعون الى استبداله بعلم جديد . وبالنسبة للاقتصاد السياسى العلمى للرأسمالية مثلا فقد تكون هذه الصيغة هى نظرية فائض القيمة .

وهذه الدعوة الى « ثورة » فى الاقتصاد السياسى لاتفترض مقدما نظريتين اقتصاديتين متناقضتين ــ النظرية الماركسية اللينينية والنظرية البورجوازية ــ وانما نظرية واحدة ماتتسم بصيغ مشترك . غير أنه منذ ظهور « رأس المال » ومنذ أن احدث كارل ماركس انقلابه القوى حقا فى الاقتصاد السياسى ، ثم منذ كتاب لينين عن الامبريالية ــ الذى يعد استمرارا وتطويرا لرأس المال ــ لم يعد أحد يستطيع أن يتحدث عن « نظرية أساسية مشتركة » تقوم مستقلة عن الخلافات وصدام المعايير الطبقية .

وليست لدى الدارسين الماركسيين حاجة الى بناء اسس من المفاهيم لاقتصادهم السياسى العلمى أو الى مراجعة مبادئهم الاساسية . فالتقدم فى العلم الاقتصادى لايتحقق بنبذ النظريات القديمة وانما بالتطوير الدءوب الخلاق للتركة العلمية للكلاسيكيات الماركسية اللينينية .

ان الاقتصاد السياسى الماركسى اللينينى علم لا مجموعة من العقائد الجامدة . ومن هنا فانه يغتنى بالخبرة الجديدة للتطور الاقتصادى الاجتماعى والسياسى ، ولصراع البروليتاريا الطبقى وبناء مجتمع جديد ، وبالطبع لم تعد بعض قضايا « رأس المال » مناسبة بعد أن مر أكثر من مائة عام على صدوره ، لكن منطقه الرئيسى ، ومنهج ماركس المادى الجدلى ، مازالا صالحين كما كانا من قبل ، ومازالا يزودانا بمفتاح الظواهر الحاسمة فى عصرنا . فلاتزال القضايا الرئيسية للنظرية الاقتصادية الماركسية اللينينية ــ والتى أكدها تطور المجتمع ــ تحتفظ بدلالتها .

ولا يمكن لاولئك الذين يريدون « ثورة » فى العلم الاقتصادى الماركسى اللينينى أن يجيبوا على السؤال التالى : ماهى أزمة « صيغة » الاقتصاد

السياسي للرأسمالية أي نظرية فائض القيمة حجر الزاوية في تعاليم ماركس ؟ والحق انه لايمكن الاجابة على هذا السؤال ، لان ماركس تمكن باكتشافه للقانون الاقتصادي الذي يحكم حركة المجتمع البورجوازي من ان يتتبع طريق الرأسمالية التاريخي من لحظة مولدها حتى انهيارها .

كذلك أكد تاريخ القرن العشرين استخلاص لينين — مؤسس الاقتصاد السياسي العلمي للامبريالية . لقد حدد لينين الصيغة الاحتكارية المتزايدة وتطور رأسمالية الدولة الاحتكارية باعتبارها جوهر هذه المرحلة الاعلى والاخيرة للرأسمالية . ويعني رفض هذه « الصيغة » للاقتصاد السياسي للرأسمالية الاحتكارية المعاصرة انكار التطور الاقتصادي والسياسي غير المتوازي للامبريالية ، وفي النهاية رفض نظرية لينين عن الثورة الاشتراكية التي أكدت الانتصارات التاريخية للنظام الاجتماعي في قارات ثلاث أعماقها وجوهرها .

واذا كانت هناك أزمة « صيغ » فانها أزمة الاقتصاد السياسي البورجوازي وان كان قد اتخذ بعد الحرب العالمية الثانية خطوة الى الامام لمواجهة الاحتياجات العملية لرأسمالية الدولة الاحتكارية .

لقد واجه الاقتصاد السياسي البورجوازي الحديث ومعالجته التقليدية للمشكلات الاقتصادية كثيرا من النقد في الفترة الاخيرة باعتباره مزيجا تلفيقيا من عناصر النظرية الاقتصادية وبعض المبادىء السياسية لسميث وريكاردو وساي ومالتس وكلارك ومارشال ووالراس وبيجو وكينز و « الكلاسيكية الجديدة » و « الكنزية الجديدة » . ويأتي هذا النقد من الاجنحة ومن المؤخرة — خلال تنديد الباحثين بالرأسمالية والتناقضات التي تظهر داخلها (ج . جالبرايث الولايات المتحدة الامريكية) أو خلال تعبيرات السخط من الاستخدام الزائد للمعادلات الرياضية بالغة التعقيد (١) والهجمات المتمردة « لليسار الجديد » ومختلف القوى « اليسارية الجذرية » .

ونحن نجد اعترافا صارخا بالازمة الراهنة في الاقتصاد السياسي البورجوازي لذي حجة في هذا الشأن هي جوان روبرتسون البريطانية ، انه افلاس آخر للنظرية الاقتصادية التي لاتجد ماتقوله عن هذه المسائل بالتحديد وهي التي يعتبر الجميع — فيما عدا الاقتصاديين — حلها أكثر الحاحا (٢) .

(١) من بين النقاد اوسكار مورجينستيرن الاقتصادي الامريكي ، وهو من كبار دعاة الاتجاه الرياضي في مجال البحث الاقتصادي « انظر اوسكار مورجينستيرن » ثلاث عشرة نقطة حاسمة في النظرية الاقتصادية المعاصرة : تفسير « جورنال اوف ايكونوميك ليتيراتشور » — العدد ٤ — ديسمبر ١٩٧٢ .

(٢) جوان روبرتسون « الازمة الثانية للنظرية الاقتصادية » — « ذي اميريكان ايكونوميك ريفيو » — المجلد ٦٢ عام ١٩٧٢ — العدد الثاني .

وتفترح جوان روبرتسون بعد هذا الاعتراف التحول الماركسى . وليست هى وحدها فى ذلك . فعالم الاقتصاد السويدى ج . ميردال بدوره يقول « كثيرا ما أخذ الاقتصاديون الغربيون المحدثون نظريات عن ماركس ، وعادة دون ان ينسبوها اليه » (١) . ويعدد مارتن برونفينبريز الاقتصادى الامريكى تسعة اكتشافات هامة قام بها ماركس وظل الاقتصاديون البورجوازيون ـ حسب قوله ـ يتجاهلونها حتى الثلاثينات ـ وينبغى «اعادة اكتشافها» (٢) وهذا لايعدو ان يكون اعترافا بالقوة الحيوية للاقتصاد السياسى العلمى الوحيد القائم .

وفى رأينا ان من الخطأ تماما الحديث عن الحاجة الى « ثورة » فى الاقتصاد السياسى للاشتراكية ، وان كانت هذه الفكرة ايضا قد ظهرت فى بولندا حيث يظهر من حين لآخر من يقترح احلال «صيغة» جديدة محل القديمة ، ويحددها بأنها التنظيم المباشر للاقتصاد على أساس هدف طويل الاجل هو السعى للتوصل الى أفضل تسيير للجهاز الاقتصادى .

وهذه المقابلة بين النظرية السياسية العامة ونظرية التخطيط ليس لها مايبررها ولو من زاوية أن أفضل تخطيط هو مفهوم محدد يتكيف مع كل مرحلة ليلائم كل عناصر العلاقات الاقتصادية الداخلية والخارجية . ومن الخطأ أن نعتبر التخطيط الافضل جزءا من الاقتصاد السياسى للاشتراكية . ويزداد ضرر هذه المقابلة لانها تتجاهل كلية تعقد الميكانيزم الاقتصادى للمجتمع الاشتراكى ، وبذلك فانها تشحذ فأس دعاة مختلف المفاهيم المراجعة عن « اشتراكية السوق » التى يحاول واضعوها كقاعدة أن يفرضوا « طريقا ثالثا » ما بين الفوضى الراسمالية والاقتصاد المخطط . ومن بين حججهم مضاربات على اخطاء ذات طابع ادارى محض لادارة الاقتصاد القومى . وتستهدف هذه الحجج اخفاء هدفهم الرئيسى ، وهو القضاء على نظام التخطيط المركزى .

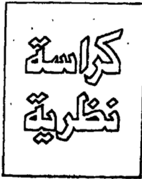
ان الاقتصاديين فى البلاد الاشتراكية الشقيقة لايسعون الى « ثورة » فى الاقتصاد السياسى للاشتراكية . والامر الضرورى هو تطويره وتعميقه بما يتفق مع المرحلة الحالية للاشتراكية المتطورة وهى مرحلة جديدة كيفيا للبناء الاشتراكى والشيوعى . وهذا شىء يتفق مع المنهج العلمى الذى يقوم على مبدأ أن كل موضوع أكثر نضجا يتطلب علما أكثر تطورا .

●

---

(١) ج. ميردال « ماساة آسيا : بحث فى فقر الامم » ـ المجلد الاول ـ نيويورك ـ ١٩٦٩ ص ٦٧٤ .

(٢) « ذى امريكان ايكونوميك ريفيو » ـ عام ١٩٧٢ ـ العدد الثانى ـ ص ٦٢٨ ـ ٦٣٠



إبـــــداع الماركسية اللينينية

بقلم : جاس هول

الماركسية الخلاقة هى وحدها الماركسية اللينينية . فالابداع النظرى وحده هو الذى يمكن أن يصون الماركسية اللينينية والدفاع عن الماركسية اللينينية وتطويرها يجب أن ينطلق من حقيقة أنها علم ، وانعكاس مختبر للواقع ، وأنها كيان فكرى موحد ، ففلسفتها ونظريتها وسياستها والمساهمات المبدعة فى نموها خلال العملية الجدلية كلها تنتمى الى نفس النوع ، ولو أن واحدا من هذه العناصر أصابه نقص فان هذا النقص ينعكس على كل العناصر الاخرى عاجلا أو آجلا : والنظرة الفلسفية القائمة على المادية هى وحدها التى تتسق مع النظرية الثورية ، وهاتان بدورهما لا تتسقان الا مع السياسة التى تقوم على قبول أساسية الصراع الطبقى . ومن ثم فان الدعائم الايديولوجية للماركسية اللينينية تقوم على أساس من الطبقة العاملة . والأيديولوجية غير الثورية لن تنتج ممارسة ثورية ، كما أن الايديولوجية المعادية للطبقة العاملة ستؤدى الى أعمال الخيانة الطبقية المضادة للثورة .

وبحكم الطبيعة الموحدة للماركسية اللينينية فان المراجعة او التشويهات فى أى من المجالات ستؤدى حتما الى تشويه الماركسية اللينينية . وهكذا يجب أن يكون الدفاع عن الماركسية اللينينية كيانا فكريا موحدا علميا ومترابطا من الناحية المنطقية .

صلاحية المعرفة وشرطها التاريخى

معايير اختبار صلاحية اى كيان فكرى علمى متعددة الجوانب ومعقدة كما هو شأن ما تعكسه من واقع متغير أبدا . وليست معايير اختبار الماركسية اللينينية استثناء . فلأن الماركسية اللينينية علم فانها لا بد وان تمر بعملية متواصلة من الاختبار واعادة الاختبار لقضاياها الاساسية. وهذا امر ضرورى لمعرفة ما اذا كانت الحياة والتجربة قد طرحت ابعادا جديدة ، أو عناصر ونطورات جديدة للواقع . وتلك عملية لا تنتهى ، وتتسم المعرفة المكتسبة بطابع التراكم .

ولا بد أن تمر الماركسية اللينينية بعملية اختبار متواصلة فى ضوء منطلقاتها النظرية الاساسية ،والظروف التاريخية التى تطرحها العملية التاريخية ، ولا بد من النظر الى الحاضر من زاوية منطلقاتها النظرية .

وبالطبع ينبغى على المرء الا يجرى مقارنات ميكانيكية بين العلوم . لكن هناك معالجة علمية ومعالجة غير علمية فى كل مجالات البحث . فبالمعالجة العلمية يدرس المرء الواقع كما هو ـ قوانين حركته وأسباب كل عناصره وآثارها وعلاقاتها المتبادلة . اما المعالجة غير العلمية فهى رد فعل سطحى وذاتى للواقع ، وجهد لوضع مفهوم عقلى مجرد ـ خيالى وغير مناسب ـ بدلا من الواقع وضده . ان المعالجة العلمية سبر للماضى والحاضر ، وسبر للاسباب والآثار الجذرية ، ودراسة لكل خاصية مفردة ولعلاقتها بالكل . أما فى العالم غير العلمى فان المرء يخلق صورته الذاتية بكل ما تنطوى عليه من قوى وقوانين خيالية .

وينبغى الدفاع عن الماركسية اللينينية بكل ما هى عليه من صدق ، ولكن بنفس المعنى المشروط ، من حيث أن كل العلوم تتفق مع الحقائق الموضوعية أو تقترب منها . والمؤكد أن كيان المعرفة العلمية يتزايد دائما، لكنه يظل تقريبيا على الدوام . ويرجع الى طبيعة الواقع المتغيرة أبدا . لكن هذه العلاقة بين الماركسية اللينينية والواقع ليست دحضا لصلاحيتها أو دقتها بل هى البرهان القاطع على صلاحيتها ودقتها . والواقع أن هذا هو ما يميز العلم الحى الحقيقى عن « علم جاف بال » هو مجرد سرد « لمقتطفات » مجردة ، أو صور لا يربطها رابط .

ان النظرية ـ الماركسية اللينينية ـ التى تقوم على العمليات الواقعية وتعكسها ـ نظرية ثورية لا يمكن استحضارها سحريا ، انها لا تزدهر فى جو روحانى ، كما لا تنمو فى ظل الرايات القومية ، وانما هى تنشأ عن المجموع الكلى للخبرات الثورية فى كل بلاد العالم . ومن ثم فان النضال من أجل المزيد من تطوير علم الماركسية اللينينية هو فى الواقع نضال من أجل الفهم العميق لقوانين الواقع المتطور وعملياته ، انه نضال لاكتساب رؤية طبقية أعمق للقوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى ، نضال من أجل أن تبقى الماركسية اللينينية مواكبة للتطورات فى العملية التاريخية بحيث تستمر كعملية تعكس الخبرات الجديدة ابدا والمتراكمة وتقربها بصورة اكثر سلامة ودقة . فالدفاع عن الماركسية اللينينية وتطويرها عملية مترابطة لا تنفصل .

ومن الضرورى رفض كل الافكار التى تنكر الصلاحية المطلقة للماركسية اللينينية كعلم . ان لها كعلم اجتماعى صفاتها المميزة ، الا ان كل المحاولات لاستخدام هذه السمات المميزة كبرهان على أنها ليست علما ينبغى أن تدحض . ويحاول الكثيرون استخدام حقيقة أن العلم « مشروط » ، أى أنه « تقريبى » لانكار صلاحية الماركسية اللينينية ككل . ففى كتب « المراجعين » تتحول مسألة « التقريب » هذه الى تصريح ومنفذ لادخال مفاهيم انتهازية مراجعة على الماركسية اللينينية .

وبعد أن يطمئن هؤلاء الى انهم خلقوا رأس جسر مراجع ينتقلون الى الخطوة التالية باعلان أن الماركسية اللينينية ليست علما قابلا للتطبيق الشامل ، ومن هنا تصبح المسألة مسألة التقاط واختيار ، لكن الالتقاط والاختيار ليسا عملية عشوائية . فما يلتقط هو ما يمكن تحريفه لكى يساند المفهومات المراجعة الانتهازية غير الثورية . وما يختار هو عبارات منتزعة من سياقها قد تبدو عند النظرة السطحية وكأنها تؤيد المفهومات غير الماركسية والمعادية للماركسية . ان أمثال هؤلاء « المنظرين » لا يقبلون على الارجح فرض حدود قومية على العلوم الاخرى ، ويرون فى ذلك انتهاكا لقانون شمولية الفكر العلمى ، وانهم لعلى حق فى ذلك ، لكن نفس القانون العلمى ينطبق على الماركسية اللينينية . فظاهرة تقريب الحقيقة ظاهرة شاملة .

والقول بأن « الماركسية اللينينية لا تقوم على منطلقات أساسية مبدئية ومن ثم لا يمكن تطبيقها فى كل البلدان » هو اساءة استخدام للحقيقة القائلة أن كل العلوم « مشروطة » . فعندما اعلن فى عام ١٩٥٩ أن « اللينينية عديمة الجدوى للصين ، وأن الصين ستتبع طريق الماوية لا اللينينية » كان هذا انكارا للماركسية اللينينية كعلم . ومن ثم فقد أغلقت الصين أبوابها أمام الكيان العالمى للخبرة الثورية المتراكمة . لقد

كان هذا رفضا للعالم الحقيقى ، وقوانين حركته الاساسية واسبابها! وآثارها والصراع الطبقى ودور الطبقات ، وهى كلها أمور شاملة ، تنطبق فى الصين بدورها .

وأولئك الذين يقولون أن الماركسية اللينينية « مشروطة » ومن ثم لا تجسد « الحقائق الشاملة » انما يكشفون عن جهل أساسى بكل العلوم . فلو أن المرء قبل مثل هذا الهراء لكان عليه أن يرفض كل الكيانات الفكرية للعلم لانها جميعا « مشروطة » الى هذا الحد أو ذاك .

لقد حدد لينين الموقف الماركسى من هذه المسألة بوضوح بالغ حين قال ان كل موقف ايديولوجى « مشروط تاريخيا » ، وأن هذا لا يضعف بأى حال صلاحية العلم أو دقته .. فمن زاوية المادية الحديثة ـ اى الماركسية ـ فان حدود اقتراب معرفتنا من الحقيقة الموضوعية المطلقة مشروطة تاريخيا ، لكن وجود مثل هذه الحقيقة غير مشروط ، كذلك فان حقيقة أننا نقترب منها أكثر فأكثر غير مشروطة . ان خطوط الصورة مشروطة تاريخيا ، لكن حقيقة أن هذه الصورة تعكس نموذجا له وجوده الموضوعي حقيقة غير مشروطة .. « وباختصار فان كل ايديولوجية مشروطة تاريخيا ، لكن الحقيقة غير المشروطة هي انه نتجاوب مع كل ايديولوجية علمية حقيقة موضوعية ، طبيعة مطلقة »

والماركسية اللينينية حقيقة « مشروطة » يمكنها أن تقضي على كل الخيالات والعقائد الجامدة التى تزعم أنها ليست علما ، أو أنها لا تقوم على منطلقات اساسية قابلة للتطبيق الشامل .

والعقائدية الجامدة شكل من أشكال المراجعة ، وتجريداتها الجامدة غير علمية شأنها شأن مقابلها اليمينى المراجع . أنها بالمثل تشوبه للماركسية . فالعقائدية ليست ـ ولا يمكن أن تكون ـ دفاعا عن كيان فكرى ابداعى لانها ذاتها غير مبدعة . وترداد التجريدات الجامدة غطاء للانتهازية . ففي الجمود العقائدى تستخدم عبارات ثورية طنانة لتغطية ممارسة انتهازية مضادة للثورة .

وتتطور الماركسية اللينينية وتنمو عن طريق النضال المستمر لتوضيح كل نواحى البلبلة أو الغموض . انه نضال لتضييق الهوة بين الحقيقة النسبية والحقيقة المطلقة . وكل معايير اختبار صلاحية الماركسية اللينينية ينبغى أن تتفق مع هذا المقياس . وهكذا فان تمزيق أوصال الماركسية أداة كل المعادين للماركسية اللينينية . انهم يحاولون انكار وحدتها الداخلية الكامنة . وهم لا يستطيعون اعطاءها صورة قومية ضيقة مشوهة الا بانكار شموليتها .

عامل للمعرفة والتغيير

الماركسية اللينينية هي في نفس الوقت اداة للملاحظة وأداة لتغيير ما نلاحظه ، ومن هنا فان علاقتها بالواقع هي علاقة الاخذ والعطاء . ولهذا تصبح الماركسية اللينينية جزءاً لا يتجزأ من الحقيقية الموضوعية. ومن ثم فان المعيار الصحيح لصلاحيتها ينبغي أن يكون هو اختبار فعاليتها كأداة للملاحظة وكأداة للتغيير .

ولا يكفي العلم لكي يكون عاملا في تغيير الواقع أن يلاحظ أو أن يوافق على أن ثمة تغييرات تحدث بل لابد أن يفهم القوانين والقوى التي تسبب العملية التاريخية وتسيرها . ولابد أن يصبح هو نفسه عاملا في أحداث التغيير . وهذا يخلق الاطار لعلاقة جدلية بين القوى الموضوعية والقوى الذاتية التي تحرك العملية التاريخية . والقوة الذاتية التي تستجيب للعوامل الموضوعية وترتبط بها بشكل صحيح هي وحدها التي يمكن أن تصبح قوة تستطيع أن تحدث التغيير . ومن الضروري اختبار ما اذا كانت فكرة أو قضية تقوم على فهم صحيح لقوانين التغيير ، وعلى التقدير الصحيح للقوى التي تحرك التغيير . وعلى هذا الاساس وحده يمكن للعلم ذاته أن يصبح عاملا في توجيه التغيير وتسييره .

وتنعكس علاقة الاخذ والعطاء التي تربط العلوم بالواقع في المفهوم الاساسي للوحدة بين النظرية والممارسة في الماركسية اللينينية ، وهذه هي الرابطة التي تنشط كلا من النظرية والممارسة . وهذه الوحدة أكثر من مجرد مصاحبة ، انها وحدة جدلية ، ولو أن هذه الرابطة قد قطعت لتحولت النظرية الى عبارات مجردة هشة ، وتأثرت الممارسة بالنزوات الذاتية للانتهازية .

ولا يمكن للماركسية اللينينية أن تراقب الاحداث وتقيمها بصورة سلبية . فالسلبية والانتهازية ينتميان لنفس النوع . ومن ثم فان الماركسية اللينينة قوة تستند دائما الى الاحداث ، قوة تدفع وتختبر على الدوام ، أنها ــ بمعنى ما ــ حركة سياسية متواصلة. فالقوة الثورية لاتستطيع ان تتخذ موقف «الترقب السلبي» ازاء التطورات الموضوعية، فهذا يؤدي الى الاعتماد على التلقائية ، وهو لا يمكن أن يخلق وضعا موضوعيا غير موجود في عملية التطور . لكنها ينبغي من الناحية الاخرى أن تستخدم الى أقصى حد الامكانات القائمة في كل لحظة . وهذا يتطلب حساسية كبيرة لاساليب التفكير الجماهيري ، وكثيراً ما يكون هذا ملجأ مريحا للانتهازية . وهكذا فان الطريقة التي يستجيب بها الحزب للتطورات الموضوعية تمثل مجالا هاما للاختيار ومقياساً له .

ومن هنا يصبح مفهوما لماذا يحاول كل خصوم الماركسية اللينينية ـ بطريقة او اخرى ـ قطع الصلة بين الماركسية اللينينية وواقع عمليـة الحياة التاريخية . فهم بهذه الوسيلة يحاولون استئصال قلبها الثورى وزرع قلب غير ثورى مكانه .

ان النضال من أجل نقاء الماركسية اللينينية ليس مناقشة حول صيغ مجردة خالية من الحياة ، أو معركة حول مقتطفات من الكتب . فمسألة الذى تقترب به المفهومات من الواقع الموضوعى وتعكسه فى كل مرحلة من مراحل العملية التاريخية ، وكيف يمكن أن تؤثر فيما نلاحظة ، هى قلب كل اختبار وكل معيار عند تحديد صحة كل القضايا ، وكل المفـاهيم الايديولوجية .

الواقع فى مواجهة الخيال

لان عمليات الحياة الواقعية لا تؤيد المفهومات المراجعـة والمواقف الانتهازية للمراجعين ـ من اليمينيين واليساريين ـ فانهم يخلقون واقعا « زائفا » ، ويلفقون عمليات عالمية وقوى اجتماعية لتتوافق مع مواقفهم الخاطئة ، فى محاولة منهم لاعطاء صورهم المصطنعة مظهر الصدق . ولان العالم الواقعى وخبرة الحياة الواقعية بدحضان أفكارهم فانهم يصطنعون عوالم خيالية تعمل فيها قوى خيالية وقوانين خياليـة ، ويحـاولون مراجعة الماركسية اللينينية ، حتى تتفق مع العوالم الخيـالية التى صاغتها انتهازيتهم .

وهناك علاقة اخذ وعطاء بين الانتهازية والمراجعـة ، اذ تجمع بينهما رابطة الدم ، وحيثما تجد احداهما فمن المؤكد أن تجـد الاخـرى ، فالانتهازية بجميع اشكالها تسوية للخلافات مع العدو الطبقى واستسلام له . وهى تصبح فى شكلها المتطور تماما تسليم له ، وهى استسـلام أيا كان الستار الذى تختفى وراءه . والمراجعة ستار نظرى لمثل هـذا الاستسلام الانتهازى .

وحين تنهار كل مشروعات الانتهازيين والمراجعين وتفضحها عمليـات العالم الواقعى فانهم ينسجون عالما خياليا ويتخذونه نقطة انطلاق لهم . انهم يتراجعون خلف عبارات غامضة مجردة شبه صوفية . ومن الصعب مناقشة مثل هذه « الاقتباسات » تماما كما تصعب مناقشة فقرات من اغنيات الاطفال أو من أقوال كونفوشيوس ـ لانها كتبت بحيث يكون لها أكثر من معنى . والفارق الوحيد هو أن أحدا لا يروج لاغنيات الاطفـال أو أقوال كونفوشيوس بوصفها شيئا علميا .

ولنلق نظرة على بعض المفهومات الانتهازية الملفقة . وعلى سبيل المثال

فان مفهوم العالم الذى تعتبر فيه « حثالة البروليتاريا هى القوة الثورية الوحيدة » مفهوم يقوم على الخيال ، وليس له أساس فى العالم الواقعى أو فى الخبرات العالمية ، انه ليس حقيقة ، لكنه ستار ملائم لاولئك الذين رفضوا الدور الثورى للطبقة العاملة .. وهو حقيقة أساسية .
فالانتهازية تستلزم مراجعة التقييم الماركسى اللينينى الصحيح لدور الطبقة العاملة . وهكذا نراهم يضعون بدلا منه مفهوم أن « الفلاحين هم القوة الثورية » . وثمة ألوان مختلفة كثيرة لهذه الفكرة مثل «القوى الموجودة ، خارج عملية الانتاج ، العناصر التى لا تنتمى الى الطبقة العاملة » أو « أفقر العناصر » هى وحدها التى يمكن أن تكون قوى ثورية حقا . ويقف البعض صراحة مؤكدين أن « الطبقة العاملة أصبحت جزءا من المؤسسة الراسمالية » . وفى عالم المراجعة الخيالى تؤدى مثل هذه المفهومات الى افكار خيالية عن النضال مثل « محاصرة المدن بقوى الفلاحين المسلحة » أو أفكار «الشيوعية الفورية » عن طريق «كوميونات الفلاحين » بوصفها « قدوة لبناء المجتمع الشيوعى » .ورفض الطبقة العاملة كقوة ثورية هو الفكرة المركزية التى توحد كل خيالات المراجعين .

ويحاول المراجعون دائما الايحاء بأنهم يتعاملون مع الواقع . والمثال على ذلك هو الطريقة التى يعالجون بها التغيرات فى تركيب الطبقة العاملة ، أنهم يستندون الى مقدمة صحيحة هى أن ثمة تغيرات قد حدثت فى تركيب الطبقة العاملة بسبب الثورة التكنولوجية ، لكنهم ينحرفون من هذه المقدمة العامة الصحيحة الى مستنقعات الانتهازية . ويبداون فى تعداد ألوان القمصان ـ هذا القدر من القمصان البيضاء وهذا القدر من القمصان الزرقاء . أما علاقة الطبقة العاملة بالانتاج ـ وهى العنصر الاساسى فى الاستغلال ـ فتنحى جانبا . وهكذا يستخلصون أن التركيب تغير بصورة جذرية حتى كادت الطبقة العاملة تختفى كطبقة .

وهناك ايضا المفهوم القائل انه « لاحاجة للثورى بأن يهتم بوجود وضع ثورى أو عدم وجوده لان الثورى الحق يخلق أوضاعه الثورية » . وليس هذا سوى موقف خيالى آخر . فمثل هذا المفهوم الذاتى الفردى ينكر كل الخبرة التى تجمعت تاريخيا . انه يرفض دور العوامل الموضوعية من الاسباب والنتائج ، ويرفض من جديد دور الطبقة العاملة . وهو مفهوم مصطنع لا تربطه علاقة بالعالم الواقعى . ولابد ان تلقى على كاهل أولئك الذين دعوا الى مثل هذه السياسة واضحة البطلان مسئولية الجرائم الهائلة التى ارتكبت ضد الحركة الثورية والاضرار التى الحقتها بها هذه المفهومات . فمثل هذه المفهومات تخدم دائما قوى الثورة المضادة .

ففى اطار المعايير القائمة على أساس العالم الواقعى للطبقات والصراع

الطبقى ، وفى اطار قوانين الحركة الواقعية والقوى الطبقية الواقعية تعد هذه المفهومات ـ فى أفضل الاحوال ـ مفهومات غير واقعية وخادعة ومن ثم غير مقبولة على الاطلاق . أنها انعكاسات نظريات غير ثورية لا تمثل الطبقة العاملة ، وهى من تأثيرات أيديولوجية العدو . فقوى الرأسمالية تريد للطبقة العاملة والحركة الثورية أن تشغلهما مشكلات مفتعلة فى عالم خيالى .

ففى عوالم الخيال حيث لا يضطر المرء الى التعامل مع قوى واقعية ، أو حيث لا يمكن أن تكون هناك وسيلة لاختبار المفهومات ومعرفة ما اذا كانت حقا أدوات للتغيير قد تبدو هذه المفهومات مؤقتا وكأنها انعكاس للواقع . كما أنها يمكن أن تبدو مقبولة فى اطار خبرة محلية ما ، لكنها كتعميمات تصبح شراكا خطيرة . ونحن فى هذه الحالة ـ شأننا مع كل الافكار الخاطئة الاخرى ـ لا نناقشها بشكل مجرد فحسب ، فهى نظريات خاطئة ضللت قوى مناضلة كبيرة . ففى عملية محاولة « خلق وضع ثورى » حيث لم تكن الظروف الموضوعية تدعم مثل هذا المفهوم تحطمت مجموعات ثورية كثيرة ، ولذلك فان هذه المفهومات فى اطار معارك الحياة الواقعية ـ هى مفهومات مضادة للثورة . يتضح عدم صمودها أمام اختبار الواقع من خلال التجربة دائما بثمن باهظ فى أغلب الاحوال . وهكذا فان علاقة السبب والنتيجة بين الافكار والممارسة عنصر ضرورى لاختبار صلاحية الفكر ومعيار له .

أن السلاح الرئيسى فى ترسانة رأس المال الاحتكارى هو محاولة اعاقة تطور وعى الطبقة العاملة . وهدفه هو خلق البلبلة وتمويه الطبيعة الطبقية للرأسمالية وللاستغلال الرأسمالى . ولقد كان هدف الايديولوجية الرأسمالية دائما هو تقديم صورة لها « كعالم خيالى » لا توجد به طبقات ولا صراع طبقى ، صورة لعالم خيالى مقسم على أسس قومية ، صورة لعالم تحل فيه القومية محل الوعى الطبقى العمالى وأممية الطبقة العاملة . انها صورة « كلنا أسرة واحدة سعيدة » . وهذه الصورة هى أساس سياسة التعاون الطبقى التى يروج لها فى صفوف الطبقة العاملة . وعالم الانتهازية الخيالى استجابة لهذه الضغوط الطبقية المعادية .

العقدة المراجعة

بيد أن هناك ـ كما فى كل الامور ـ قوانين لتطور المراجعة تنطبق على كل من أنواعها اليمينية اليسارية . فهى جميعا ترفض أساسا التركيب الطبقى فى العالم الواقعى ، وهى جميعا ترفض بشكل أو آخر جوهر الرأسمالية الطبقى ، وترفض الصراع الطبقى كقانون أساسى للحركة فى ظل الرأسمالية ، وترفض الطبقة العاملة كطبقة أسند لها

التاريخ دورا ثوريا خاصا . وهذا قانون لكل المفهومات المراجعة . ففى عالمها الخيالى لا توجد طبقات أو تبدو هذه الطبقات مقلوبة ، وهى جميعا تريد أن « تراجع » وجود الطبقة العاملة فتسلبها اياه ، كما تسلب الماركسية اللينينية مضمونها الطبقي العمالى وهى جميعا ترفض بدرجة أو أخرى الطبقة العاملة كقوة ثورية . وبهذا المعنى الاساسى ترفض المراجعة القوانين الموضوعية للتطور الراسمالى وتحاول تحريفها ، لان هذه القوانين هى التى تحدد دور الطبقات وطبيعتها ، بما فى ذلك دور الطبقة العاملة وطبيعتها . انها تنكر الاستغلال الطبقى كعملية أساسية تؤدى الى ظهور الطبقات والصراع الطبقى . فالموافقة على الدور التاريخى للطبقة العاملة كفصيلة متقدمة فى النضال من أجل التقدم الاجتماعى لا يمكن فصلها عن الموافقة على القوانين الموضوعية التى تحكم المجتمع الرأسمالى . كما لا يستطيع المرء أن يفصل العلاقة بين السبب والنتيجة عموما . وهذا يقودنا الى جوهر المعاييرالتى ينبغى الحكم بها على أفكار أحزاب الطبقة العاملة ومفهوماتها .

فالنزاع الذى لا يقبل التوفيق بين طبقات المستغلين والمستغلين هو الواقع الموضوعى للعالم الراسمالى وتجاهله يعنى تجاهل الصراع الطبقى . ولذلك فانه أكثر العناصر أساسية فى كل المعايير التى يقاس بها المضمون الماركسى اللينينى . انه العامل الحاسم فى النضال من أجل الافكار — أفكار أى طبقة ؟ أنه العنصر الرئيسى فى مسائل السياسة — سياسة لمصلحة اى طبقة ؟ وهو ينطبق على الثقافة والاخلاق والمعنويات — أى المصالح الطبقية تعكس ؟ انه جوهر السلطة الاقتصادية والسياسية — سلطة أى طبقة ؟ انه العنصر الرئيسى فى تقييم النظام الاقتصادى والسياسى للمجتمع — اى طبقة تقوده وتشكله ؟ .

وجوهر التحول فى السلطة الاقتصادية والسياسية للطبقة العاملة هو ديكتاتورية البروليتاريا . ولقد كان الموقف من السلطة السياسية والاقتصادية الطبقية معيارا أساسيا منذ عهد ماركس . وقرر لينين بقوة أن « الماركسى هو فحسب ذلك الذى يوسع اعترافه بالصراع الطبقى ليشمل ديكتاتورية البروليتاريا » . فعدم الاعتراف بدكتاتورية البروليتاريا يعنى السير بالصراع الطبقى حتى لحظة السلطة الاقتصادية والسياسية ثم التخلى عنه فى هذه اللحظة الحرجة للغاية .

وتتفجر الانتهازية فى النقطة التى يكون فيها ضغط العدو أكثر حدة . ويبلغ حقد العدو حد الجنون حين تنتقل السلطة الاقتصادية والسياسية الى ايدى الطبقة العاملة . وهكذا فان الاستسلام الانتهازى فى مسألة ديكتاتورية البروليتاريا يعد استجابة لحدة غضب طبقة تفقد قدرتها على التحكم .

ويواصل الانتهازيون ترديد الافتراءات القديمة : « أنها انفصال كامل

عن كل التقاليد الديمقراطية للماركسية » ، «انها حكم طبقة واحدة فحسب » ، « نحن فى حاجة الى اشتراكية ذات وجه انسانى » ، وما تكشف عنه مثل هذه العبارات انما هو وجوه معادية للطبقة العاملة .
وليس المعيار هو تقبل عبارة ديكتاتورية البروليتاريا وانما هو تقبل جوهر المسألة . وجوهر ديكتاتورية البروليتاريا هو أن البروليتاريا تمارس سلطاتها فى تحالف مع الشعب العامل ، وانما فى تحالف تكون للطبقة العاملة وافكارها وسياستها وثقافتها وكوادرها فيه التأثير السائد . ولا يتناقض هذا التأثير السائد بأى حال مع مصالح القطاعات الاخرى فى التحالف ، وانما هو يتناقض تناقضا أساسيا مع طبقة المستغلين . انه تحالف له قاعدة ديمقراطية شعبية واسعة ، تحالف يقضى على حكم الاقلية الذى تمارسه طبقة المستغلين .

ويتضمن معيار الاعتراف بجوهر ديكتاتورية البروليتاريا ما اذا كان هناك موقف طبقى من الاممية البروليتارية . فسلطة تتبع سياسة قومية طبقية تمزق وتقسم قوى الاشتراكية وتفترى عليها ، سلطة تقدم تنازلات مبدئية لقوى الامبريالية من أجل مكاسب ذاتية ضيقة ، سلطة تتأثر أساسا بأفكار عناصر من غير الطبقة العاملة أى الفلاحين والطبقة الوسطى ، سلطة كهذه لاتتفق مع معايير ديكتاتورية البروليتاريا ومقاييسها.

ان بناء مجتمع اشتراكى فكرة من افكار الطبقة العاملة ، وديكتاتورية البروليتاريا عنصر لا ينفصل عن تلك العملية ، ولأن « الصراع الطبقى يؤدى بالضرورة الى ديكتاتورية البروليتاريا » فان الصراع الطبقى وديكتاتورية البروليتاريا والاشتراكية كلها عناصر لعملية تاريخية واحدة .

وتحاول المراجعة بكل اشكالها دائما تنحية القضايا الطبقية الاساسية، والمعالجة الطبقية العمالية الاساسية للتطورات . ولأن الطبقة العاملة هى العامل الثورى الاساسى فى الصراع الطبقى فان التكيف المراجع يتخذ شكل تعديل الدور التاريخى للطبقة العاملة أو رفضه ، ومن أجل اضفاء مظهر من الصدق على هذا الرفض تبرز المراجعة دائما مجموعة أخرى مثل « الفلاحين » أو « حثالة البروليتاريا » أو « الفقراء » او المقهورين عموما » باعتبارها « قطاعا ثوريا متقدما » جديدا . وليس هذا بالطبع ممكنا الا فى عالم خيالى ، أنه ليس سوى ستار ، اما فى جوهره فهو انتهازية . والمراجع حين يفعل ذلك يرفض ضرورة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين ، فضلا عن التحالفات والائتلافات بين الطبقة العاملة وضحايا العنصرية ، وقوى التحرر الوطنى ، وضحايا الامبريالية ، فى النضال ضد الامبريالية . ان الانتهازية شكل من أشكال التكيف والاستسلام للعدو الطبقى ، انها مساعدة للرأسمالية فى جهودها لاخفاء الجوهر الطبقى لنظام استغلالها ، ويكفى أن تحك جلد أى لون

من الوان المراجعة لكى تجد تعبيرا عن « الافتقار الى الثقة فى الطبقة العاملة » ، الافتقار الى الثقة فى القوى التى تحرك العملية الثورية العالمية ، الافتقار الى الثقة فى الاشتراكية .

ويؤدى رفض القضايا الماركسية اللينينية الاساسية بشأن الطبقات والصراع الطبقى بالمراجعين الى محاولة تشويه المفهوم الماركسى عن التناقض الرئيسى . فهم يحلون محل التناقض الواقعى بين الطبقةالعاملة والطبقة الرأسمالية ، وبين الامبريالية والاشتراكية ـ أى الشكل العالمى لهذا التناقض ـ عالما خياليا يختفى فيه التناقض الطبقى وتحل محله « أنواع متعددة من التناقضات » ، عالما خياليا تتناقض فيه «البلاد الصغيرةوالمتوسطة » ـ اشتراكية وفاشية وامبريالية ـ مع البلاد الكبيرة ـ اشتراكية وامبريالية ، عالما خياليا تتناقض فيه بلاد « العالم الثالث» مع بقية العالم ، عالما منقسما الى « مناطق » تتناقض فيها « الدول العظمى » مع بعضها البعض ، وتتناقض مجتمعة مع بقية العالم . والغرض من هذه التناقضات الخيالية واضح للغاية . فكل تناقض مختلق يهدف الى اخفاء سياسة محددة للاستسلام الانتهازى. فسياسة عدم مساندة معارك الطبقة العاملة يغطيها القول بعدم وجود صراع طبقى وسياسة خيانة مصالح الجماعة الاشتراكية تغطيها « تصفية » التناقض بين الاشتراكية والامبريالية . ومفهوم « الانواع المتعددة من التناقضات» ستار لانواع متعددة من الخطايا الانتهازية .

أن مفهوم التناقض الطبقى الرئيسى ليس تقييما صحيحا للواقع المعاصر فحسب ، بل هو كذلك مرشد لسياسة الطبقة العاملة ، لتصرفات الطبقة العاملة . وأولئك الذين يريدون الاستسلام ، الذين يريدون القفز فوق هذا التناقض الطبقى ، يحاولون تغطية خيانتهم بمحاولاتازالته.

فللطبقة العاملة دورها الخاص كفصيلة متقدمة فى النضال من أجل التقدم الاجتماعى ، فى النضال من أجل التطويح بالرأسمالية وبناء الاشتراكية ، وتلك نقطة انطلاق أساسية تقرر ما اذا كانت المفهومات « الجديدة » انعكاسا للحقيقة ، للواقع ، أم أنها تحريفات انتهازية أو تشدق عقائدى جامد بالعبارات لا يبدو « واقعيا » الا فى عالم خيالى .

الاقنعة الايديولوجية

لقد وجدت دائما ـ ولا تزال توجد اليوم ـ صلة وثيقة بين المراجعة اليمينية واليسارية لان لكل منهما نفس العلاقة بالقضية الطبقية ، ولان كلا منهما شكل من اشكال الانتهازية ، ولان كلا منهما تعكس الاستسلام لضغط الطبقة المعادية . وكثيرا ما تتعايشان لدى نفس الفرد او المجموعة

من الافراد . وكل منهما تستطيع ان تحل دون عناء محل الاخـــرى ، انهما تصلان الى مائدة التهدئة من اتجاهات مختلفة ، لكنهما تركعـــان معا على نفس الجانب من المائدة . والنتيجة الخالصة لكل منهمـــا هي التكيف مع ضغط الطبقة المعادية .

وتبدا الانتهازية المراجعة فى اغلب الاحـــوال دفاعـــا عـــن موقف «تكتيكى» يبدو مشروعا ، دفاعا عن « تنازل » تكتيكى ، لكن لها منطقها الداخلى ، ومن المهم للغاية فى الصراع ضد الانتهازية ــ كما هو الشأن مع أكثر الجراثيم فتكا ــ ان نتمكن من اكتشاف الجراثيم فى وقت مبكر . من الضرورى أن نكون قادرين ــ فى مرحلتها الاولى ــ على التمييز بين الانتهازية وبين التكتيكات الصحيحة المشروعة اللازمة للنضال . وكثـــيرا ما لا يكون هذا سهلا . فلا يمكن اختبار الآراء والافكار بصـــورة كاملة الا عندما ترتبط بأحداث ملموسة ، عندما ترتبط بالواقع .

وتظهر طبيعة المراجعة الانتهازية بوضوح فى النضال ضد الامبريالية. فضغوط العدو الطبقى قوية ، وخطر الاستسلام لهـــذه الضغوط قائم دائما ولقد كانت هذه الضغوط بالتحديد هى التى دمرت معظم الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التابعة للدولية الثانية . لقد ابتلعتها المراجعة الانتهازية . وقامت بمراجعة المـــاركسية لتستر انتهازيتها . وتبـــدو الانتهازية فى هذا المجال فى التخفيف من الطبيعة الطبقيـــة الوحشـــية للسياسة الامبريالية . وحتى فى يومنا هذا يتخذ التكيف الانتهازى شكل تبرير ضم أراض شعب آخر بأنه « ضرورى لايجاد حدود يمكن الدفاع عنها » ، ويغوص المدافعون عن العـــدوان الاسرائيلى فى هذا المستنقـــع الانتهازى .

ويحدث التكيف (والاستسلام فى اغلب الحالات) استجابة لضغوط الطبقة الحاكمة فى البلد المعين . وكثيرا ما يحدث هذا التكيف تحت ستار عبارات صحيحة « ضد الامبريالية » بشكل عام أو ضد امبرياليـــة بلد آخر مع التزام الصمت ازاء امبريالية بلدها أو التخفيف منها . وتؤدى مثل هذه الانتهازية بسرعة بالغة الى محاولات لمرجعة المفهومات الثورية للماركسية اللينينية كستار . فالحزب الماركسى اللينينى الذى لا يتخـــذ موقفا من امبريالية بلده انما يتعدى على القـــومية البورجوازية . ولا يمكن أن يؤدى طريق التكيف مع نزوات العدو الطبقى الى انتصـــارات للطبقة العاملة . فالتكيف الإنتهازى يدمر النسيج الأيديولوجى والسياسى اللازم للنضال ضد العدو الطبقى .

والنضال ضد العنصرية جانب آخر من المعايير التى يقاس بها الموقف الايديولوجى لحزب الطبقة العاملة الثورى . فالعنصرية سلاح للامبريالية ولهذا فكثيرا ما يصحب التكيف الانتهازى مع السياسة الامبريالية فى

البلد المعين تخفيف النضال ضد العنصرية . والتكيف مع العبقرية علامة هامة على نفوذ الانتهازية المفسد فالواقع انه من المستحيل فصل النضال ضد الامبريالية عن النضال ضد العنصرية ، ويمكن أن تظهر الانتهازية فى النضال ضد العنصرية بأشكال مختلفة ، اذ قد يبدو هذا التكيف فى التزام الصمت ، وقد يظهر فى طرح أفكار تأجيل النضال الى موعد لاحق ، وقد يظهر فى اعتبارات تكنيكية الى فكرة أن الجماهير ليست مستعدة للنضال ضد العنصرية • وكل هذه المبررات تتسم بالانتهازية . انها تكيف مع الايديولوجية العنصرية ذاتها .

وخلال أكثر من خمسين عاما وجهت اثقل مدافع الايديولوجية الامبريالية الى أفكار الشيوعية بشكل عام ، وتركزت بشكل خاص على الاتحاد السوفييتى . والعداء للسوفييت شكل خاص من العداء للشيوعية . وهذه هى الجبهة الرئيسية وحلبة القتال الحاسمة بالنسبة للامبريالية العالمية . وهذا أمر مفهوم من زاوية الامبريالية ، فهو انعكاس لعلاقات القوى العالمية الجديدة . ومن جديد ــ وكما هو متوقع ــ تظهر المراجعة والجمود هنا ستارا لسياسة التكيف والاستسلام للضغوط الامبريالية .

لذلك فان العداء للشيوعية والسوفييت حلبتان رئيسيتان لاختبار تأثير الانتهازية . وقد أصبح هذا أهم معيار لاختبار صلابة أحزاب الطبقة العاملة الايديولوجية . فالاغطية المراجعة والعقائدية الجامدة العديدة تظهر كاقنعة أيديولوجية ، فليس هناك ما يمكن أن يسمى شيوعية معادية للسوفييت أو ماركسية لينينية معادية للسوفييت .

وتظهر هذه الانتهازية فى أقنعة كثيرة • فمفهوم « الدولتين الاعظم » وشكله الاكثر من صراحة عن « الدولتين الامبرياليتين » هو وليد انتهازية المراجعة والجمود العقائدى . انه عرض للسلام يتقدم به للامبريالية ، انه تكيف واستسلام لضغط الايديولوجية الامبريالية فى حلبة العداء للشيوعية . والهدف من هذا التكتيك هو تحريك بعض القوى فى معسكر الاشتراكية ،فى معسكر التحرر الوطنى،خطوة نحو معسكر العداء للشيوعية ، انها طريقة يقول بها المستسلمون الانتهازيون لسادتهم الامبرياليين « انتصروا . . اننا معكم فى مجال واحد على الاقل من مجالات العداءللشيوعية» . فمفهوم « الدولتين الاعظم » شكل من العداء للشيوعية . وكبار ممثلى الامبريالية الامريكية يشجعون بحماس مفهوم « الدولتين الاعظم » . فهم يدركون بوضوح الدافع الكامن وراء هذا الشعار . انهم يعرفون انه يخفف حدة الهجوم على السياسة الامبريالية ، يعرفون انه هجوم على وحدة البلاد الاشتراكية ، وانه يهدف الى دق أسفين بين البلاد النامية وحركات التحرر الوطنى وبين الاتحاد السوفييتى .

وليست الانتهازية تنازلا مباشرا للطبقة الحاكمة فجسب بل هى كذلك

طريق للمناورة الديماجوجية بين الجماهير الواقعة تحت تأثير الايديولوجية المعادية . ويمكن للانتهازية ان تنفذ خلف تكيف تكتيكي مع الجماهير المتأثرة بهذه الايديولوجية . وقد يفسر ذلك في البداية بأنه طريق لكسب أصوات الجماهير الواقعة تحت تأثير الايديولوجية البورجوازية ، الا انه تأتي لحظة تترك فيها الانتهازية حلبة الاعتبارات التكتيكية وتنتقل الى التكيف الانتهازي الصريح . وما أن تنطلق هذه العملية حتى تتسع ، وتقود خطوة الى خطوة تالية . وبعد قليل تسير الانتهازية في ذيل الجماهير المتأثرة بأيديولوجية العدو .

وفي هذه الفترة التي تدفع فيها الموجات الثورية العملية التاريخية يرتدي التكيف الانتهازي والتبرير المراجع بصورة متزايدة اثوابا ذات مظهر يساري راديكالي . ولقد بدأ ذلك منذ ايام لينين : « لقد بينت جدلية التاريخ ان انتصار الماركسية قد اجبر أعداءها على ان يتخفوا كماركسيين » . ومع تحول ميزان القوى العالمي زاد بالتالي هذا الاتجاه . ومن هنا زادت ضرورة شحذ الاسلحة والمعايير التي يمكن الدفاع بها عن الماركسية اللينينية ضد الانتهازية التي تتستر بعبارات ذات رنين يساري راديكالي . وقد عقد هذا بصورة ما النضال من اجل نقاء الفكر الماركسي اللينيني .

ويظهر الكثير من معايير اختبار الافكار – في أكثر أشكاله حدة – في النشاط اليومي لاحزاب الطبقة العاملة . وهي تظهر في الموقف الشامل لحزب ما ، وهناك بعض نقاط الاختبار المحددة مثل : ان السياسة ينبغي أن تميل في اتجاه النضال ، وان الحركة الثورية ينبغي ألا تقبل ابدا – صراحة أو ضمنا – فكرة « المشاركة » مع العدو الطبقي . ومن الحقائق الاساسية انه لايمكن سد الهوة التي يخلقها نظام الاستغلال الطبقي أو تخطيها . وينبغي أن تؤثر نقاط الانطلاق هذه على النشاط اليومي لحزب الطبقة العاملة الثوري ، فهي جزء من المعايير في النضال ضد تأثيرات الانتهازية .

هل يتناقض هذا « الميل » نحو الصراع مع سياسة التحالفات أو الائتلافات أو الجبهة المتحدة ؟ . . كلا على الاطلاق . فالواقع ان « الميل » نحو الصراع هو الذي يضفي معنى خاصا على سياسة الجبهة المتحدة . فحين لا ينقل الشيوعيون المفهومات الطبقية الى الجماهير والى التحالفات والائتلافات فان الباب يفتح على مصراعيه أمام نفوذ الانتهازية . ومن ناحية أخرى فان ادخال المفهومات الطبقية بصورة مجردة أو جامدة يقود الى الحلقية والانعزالية . ومهمة الشيوعيين هي تقديم وجهة نظر الطبقة العاملة بطريقة تقنع كل القوى بأن مثل هذه السياسة الطبقية تخدم مصالحها على أفضل وجه .

المعالجة الطبقيـــة للانفراج

من الضرورى بالطبع النظـر الى كل الحقائق وهى تتـكشف فى اطار العملية التاريخية . ومن ثم فان الصراع الطبقى العالمى اليوم يدور فى اطار نظامين اجتماعيين واقتصـــاديين عالميين . ومن خـــلال الدولة الاشتراكية تملك الطبقة العاملة سلطة الدولة والقوة العسكرية . وتؤثر هــذه الحقيقة على الصراع الطبقى فى كل بلد راسمالى . ويجب ان تتعامل الدول الاشتراكية مع الدول الرأسمالية على مستوى العلاقات بين الدول ، فهى ترتبط بعلاقات دبلوماســـية وتجارية . وتتضمن العلاقات تبادلا علميــا وطبيا وثقافيا وفى مجال استكشاف الفضــاء . لــكن هــذا لا يغير أو يلغى حقيقة ان الصراع الطبقى بين الطبقتـــين المتعارضتين ـ يظل نقطة الانطلاق الرئيسية بالنســـبة للماركسية اللينينية . فحقيقة وجود نظامين عالميين تقدم معايير جديدة لاختبـار صلاحية **السياسة والبرامج** .

والانفراج كلمة تصف العلاقات الجديدة بين البـــلاد الاشتراكية والراسمالية . لكن كلا منهما يأتى الى المائدة من اتجاه مخالف للآخر . فهما يأتيان بمصالح طبقية متعارضة . وقد أصبح الانفراج ممكنا اليوم لوجود مستوى جديد فى ميزان القوى العالمى . وتناضـل الاشتراكية من أجل الانفراج من موقع النفوذ المتزايد والقوة الجديدة . وتضطر الامبريالية لقبول الانفراج لانها تتعامل من موقع الضعف المتزايد .

وهناك تحول فى السياســـة الخارجية الامريكية . انه تحول من سياسة الحرب الباردة للعدوان المباشر الى سياسة التراجع والمناورة ، انها سياسة تواصل البحث عن نقاط الضعف ، سياسة فرق تسد . وهى تحاول وضع قوة فى مواجهة اخرى مع الاســتفادة من الاثنين . لــكنه ليس تحولا من سياسة أمبريالية الى سياسة معادية للامبريالية. فهى تواصل سياستها العدوانية ، لـكنها مجبرة ـ بصورة متزايدة ـ على المناورة .

والى المدى الذى تجبر فيه الامبريالية الامريكية على التـخلى عن سياستها العدوانيـــة المباشرة فان من الممكن اقامة علاقات قائمة على الانفراج . وبالنسبة للبلاد الاشتراكية فان من الممكن لها أن تقيم علاقات قائمة على الانفراج ، وأن تفعل هـــذا على أساس الدفاع عن مصالح الطبقة العـــاملة . فاالانفراج بالنسبة للبلاد الاشتراكية سياســـة نضال ضد الامبريالية ، إنه نضال من اجل السلام العالمى . وسياســة الأتحاد السوفييتى تتفق كلية وبوضوح مع هذه المعايير .

لــكن من الممكن كذلك ايجاد علاقات قائمة على الانفراج واتبـــاع

سياسة التكيف الانتهازى مع ضغوط الامبريالية . فالحديث عن « الدولتين الاعظم » يعنى الدوران فى فلك الامبريالية ، وشن حملة افتراء ضد الاتحاد السوفييتى يعنى الاستسلام لضغوط الامبريالية المعادية للشيوعية ، ومساعدة قاهرى بنجلاديش وشيلى تعنى معاونة الامبريالية .

ان هناك جانبا يتبع سياسة ثورية ماركسية لينينية طبقية فى علاقات الانفراج . وجانبا يتبع سياسة انتهازية ـ سياسة استسلام معادية للطبقة العاملة وللاشتراكية وموالية للامبريالية .

ان الصراع الطبقى ـ وجهة النظر الطبقية ـ هو بالنسبة للماركسيين اللينينيين نقطة انطلاق أساسية . انه النجم المشرق فى مجرة الواقع ، وذلك لان الصراع الطبقى هو العنصر الاساسى فى حقيقة العملية التاريخية. والدور التاريخى الذى تقوم به الطبقة العاملة حقيقة تقررها هذه العملية التاريخية . ومن هنا يكون مفهوما لماذا يحاول كل الانتهازيين ـ المراجعين والعقائديين الجامدين ـ دون استثناء مراجعة المفهوم الماركسى اللينينى حول المسألة الطبقية .

وينبغى ان تختبر النظرية الثورية فى علاقة الاخذ والعطاء مع المعارك اذ يجب مزج النظرية الثورية بالعملية الثورية العالمية بحيث تؤثر كل منهما على الاخرى . فالنظرية الثورية مرشد للممارسة الثورية ، لكنها بدورها تتأثر بها . اما النظريات التى لا علاقة لها بالطبقة العاملة ، النظريات غير الثورية والبورجوازية الصغيرة ، فانها فى علاقة اخذ وعطاء وامتزاج بالانتهازية والاستسلام والثورة المضادة .

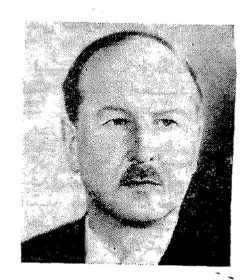
ان هناك جانبا يخدم مصالح الطبقة العاملة والقوى المناضلة ضد الامبريالية ، ويخدم قضية التقدم الانسانى كلها ، وجانبا يخدم مصالح الطبقة الرأسمالية وكل المرتبطين بها ، وقوى الرجعية بشكل عام .

ولا ينبغى أن يكون اختبار صلاحية النظريات عملية جرد سنوى . فلا يمكن فصل الاختبار عن ممارسته اليومية . ويجب الا يترك النضال من أجل نقاء الماركسية الى مؤتمر خاص ما ، أو لكادر خاص ، أو لكتب خاصة ، اذ يجب الا يفصل عن الممارسة الثورية . انه مهمة يومية لكل الكادر الثورى .

ولا يتوقف تطوير الماركسية اللينينية ابدا شأنها فى ذلك شأن كل ميادين العلم ، فهى تنمو من الحكمة والخبرة المتجمعة المتراكمة للطبقه العاملة والشعب فى العالم اجمع .. وانها الحقيقة ، انها افضل ما انتجه العقل الانسانى .

●

اشترك فى هذا العدد



● بوريس بونوماريوف

عضو المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى .

● جاس هال

السكرتير العام للحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة الامريكية .

● ل . باديليا

عضـــو اللجنة المركزية للحـــزب الشيوعى البوليفى

● اراخاجادور

عضـــو اللجنة المركزية للحـــزب الشيوعى العراقى

● م . كوسوك

أستاذبجامعة كارل ماركس ـلايبزج ـ جمهورية المانيا الديموقراطية .

● فولوديا تيتاليويم

عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعى الشيلى

SOCIALIST STUDIES

JULY 1974

MAIN SUBJECTS

● تشيدى جاجان

السكرتير العـــــام لحزب الشعب التقدمى فى جويانا

● د . محمد محمود عبد الرءوف

خبير التخطيط الزراعى بمعهـــد التخطيط القومى

●●●

دراسات اشتراكية

مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
بالتعاون مع مجلة
السلم والاشتراكية

رئيس مجلس الإدارة :
فكرى أباظة
نائب رئيس مجلس الإدارة :
صالح جودت

رئيس التحرير :
إبراهيم عبد الحليم

***

الاشتراكات :

ثمن العدد : جمهورية مصر العربية ١٠٠ مليم — عن الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا . فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ فى سائر أنحاء العالم ونصف دولار او ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو شيك مصرفى قابل الصرف فى جمهورية مصر العربية والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب : القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



أ. سميرنوف